الشقائق النعمانية

في شرح الروضة السلوانية

في علم الصيد

كتاب يتناول علم الصيد وأهميته ومنافعه ومضاره وطرقه
وهو شرح للقصيدة المعروفة باسم «روضة السلوان»
للشيخ عبد الجبار الفجيجي

تأليف
الشيخ أبي راس الناصر المعسكري
المتوفى ١٢٣٨هـ تقريباً

دراسة وتحقيق
الأستاذ حمادو بن عمر

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title :	**Al-šaqaʾiq al-Nuᶜmāniyyah fi šarḥ al-Rawḍah al-Salwāniyyah**
	(A book deals with The Science of hunting Its importance, its pros and cons and its ways)
Classification:	Science of hunting
Author	: Al-šayḫ Abu Rās al-Nāṣir al-Muᶜaskari
Editor	: Hamdadou benᶜOmar
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages	: 256
Size	: 17*24
Year	: 2010
Printed in	: Lebanon
Edition	: 1st

الكتاب :	الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية
التصنيف :	علم الصيد
المؤلف :	الشيخ أبو راس الناصر المعسكري
المحقق :	حمدادو بن عمر
الناشر :	دار الكتب العلميـــة – بيروت
عدد الصفحات :	256
قياس الصفحات:	17*24
سنة الطباعة :	2010
بلد الطباعة :	لبنـــان
الطبعة :	الأولى

ISBN 978-2-7451-6887-0

ISBN 2-7451-6887-8

جميع الحقوق محفوظة
2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ينتمي هذا العمل إلى البحث في تراث الفكر الأدبي الإسلامي، وإذا كان هذا الصنف من الموروث العلمي يحظى باهتمام واضح من الباحثين الأكاديميين وغيرهم، فإن من أسباب ذلك حتما القيمة العلمية التي تبرز في ذاته، ثم تواصله مع غيره من عامة شرائح المجتمع الإنساني، إلى جانب ذلك الزخم الكبير كما ونوعا مشكلا دعامة ضخمة تعكس أهم تجليات الهوية العربية والإسلامية.

إذا كان هذا هو واقع التراث الأدبي في عموم أرجاء الأمة الإسلامية، وإذا كنا على دراية من أنّ قسما من هذا التراث المغاربي ذو هوية ضاربة جذورها في عمق البيئة الأدبية والتاريخية، وأنّ جله لا يزال مخطوطا قابعا داخل رفوف خزائن المكتبات الخاصة والعامة ينتظر الدراسة والتحقيق، بالرغم من احتوائه على معلومات قيمة ونفائس لا يستهان بها قد تساعد الباحث على فهم الواقع الأدبي والتاريخي و... لتلك الحقبة التاريخية من الزمن، تبينّ لنا أنّه يحتاج إلى عناية أكبر من ذوي الهمم العلمية العالية، الغيورة على تراث أجدادها وآبائها.

وعلى هذا الأساس فإنّ محاولتنا هذه إنما هي في الحقيقة اجتهاد يراد به رد الاعتبار إلى تراثنا العربي الإسلامي، وإيماننا بأنّ السعي وراء تحقيق هذا التراث يخدم بشكل أو بآخر ثقافتنا العربية الإسلامية ومكوناتها من جهة، ورد الاعتبار للغة العربية وهويتها من جهة ثانية.

القسم الأول

التقديم للمؤلف والكتاب

دوافع التحقيق

إنّ التجربة المتواضعة التي خضتها عندما أقدمت على تحقيق تراث الشيخ محمد بن سليمان المستغانمي الندرومي، زادت من قوة عزيمتي على تحقيق أو إعادة تحقيق تراثنا العربي الإسلامي في فنون مختلفة؛ الأدبية منها والتاريخية والعقائدية والفقهية،... ذلك أن هذا التراث يعكس ذاكرة تلك الأمة عبر الأزمنة الغابرة والتواريخ الماضية، إضافة إلى أن هذا التراث يقرأ ذهنيات وعقليات هؤلاء الأعلام من خلال مدوناتهم وكناشاتهم، ومن ثم فهم الواقع من خلالها.

وكون أن هؤلاء العلماء الأعلام أقرب من غيرهم بتفسير كثير من المصطلحات والعبارات والمفردات التي وردت ضمن متون تلك المدونات، وهذا من شأنه يعيننا على إعادة صياغة وفهم كثير من الظواهر المختلفة التي كانت كائنة آنذاك.

ثم إلى متى يمكننا ترك تراثنا يحققه غيرنا أو يبقى حبيس الرفوف، أليس من الواجب نفض الغبار عنه؟ أليس من باب أولى أن ينشر ليحقق فيما بعد؟ كل تلك الأسئلة كانت محل عناية واهتمام من لدني جعلتني أُقدم على تحقيق هذا الكتاب بلا منازع رغم ترددي في بداية الأمر.

مؤلف الكتاب وعصره

تعد الفترة الأخيرة من العهد العثماني خصوصا تلك الفترة الممتدة ما بين 1737م إلى 1823م، من أحلك الفترات في تاريخ الناحية الغربية والتاريخ الجزائري عامة، وذلك بسبب سيطرة الأوربيين على حوض البحر الأبيض المتوسط، وسياسة الحكام والسلاطين العثمانيين اتجاه الرعية. إلى جانب هذا شهدت المنطقة سلسلة من الاغتيالات، والصراع على الحكم في أوساط الحكام العثمانيين. فقد كان الانقلاب على الحكام وعزلهم أحد السمات البارزة في المسار السياسي في الجزائر. ولعل من نتائج ذلك انتشارالفساد في الجهاز الاداري.

لكن هذا لم يمنع من وجود نقاط إيجابية ساهمت في إعطاء دفع قوي لمختلف الشرائح الاجتماعية، أن تعبّرعن رأيها ومشاركتها في كل ميادين الحياة المختلفة مثل: الجهاد في سبيل الله، حيث يعد تحرير مدينة وهران من يد الإسبان عام(1206هـ/1792م)، بمثابة عملية تحريرية كبيرة تمت على يد الباي محمد بن عثمان الكبير، مما دفع بعلماء وشعراء عصره يمدحونه في حياته ويرثونه من بعد مماته، ومن جملة الأحداث التي كانت فاتحة عهده حوادث درقاوة.

أ) بيئته السياسية:

يعد العامل السياسي من أهم العوامل الأساسية في حياة الدول من جهة، وعلى حياة العلماء والمؤرخين من جهة أخرى. فهو يؤثر على كتاباتهم وتوجهاتهم، بطريقة أو بأخرى. فيصبح المؤرخ أو المؤلف يؤرخ لحدث ما انطلاقا من البيئة السياسية، التي وجد فيها. فيعبّر بقلمه عن ذلك الحدث التاريخي، الذي يراه مهما. وله تأثير كبير على الحياة السياسية في البلاد، ومدى انعكاساتها على العلماء والمؤرخين في تلك الفترة. ولمعرفة هذه الأحداث التي عاصرها أبو راس، يجدر أن نتناول بعض جوانبها في هذا البحث.

1) انتقال مقر الباي إلى معسكر:

إنّ العصر الذي عاش فيه أبو راس هو آخر العهد العثماني بالقطر الجزائري

على وجه العموم، ومنطقة معسكر على وجه الخصوص. أي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. فأبو راس الناصر - وبحكم مجاورته للسلطة العثمانية - كان يشعر بهذا الخطر، ويزنه حق وزنه، فالتحرش الإسباني بالمغرب الأوسط، كان ضمن هذه الرهانات التي أثرت في محتوى أعمال أبي راس الناصر، وعليه جاءت جل مواضيعه لها الأثر الكبير على الحالة السياسية في ذلك العصر.

إنّ انتقال عاصمة الغرب الجزائري من مازونة إلى معسكر سنة (1115 هـ/ 1701م)، كما أثبتنا ذلك سابقا، فقد جعلت الباي مصطفى بوشلاغم[1]، ينتقل من مازونة إلى معسكر حيث استمرت على هذه الحال إلى غاية سنة(1206هـ/ 1792م)[2] وتعاقب على حكمها تسع بايات[3].

لقد أثر في أبي راس كثيرا ما كان شيخه عبد القادر المشرفي المعاصر لتلك الأحداث يحكيه له، عن تلك الأحداث التي أدت إلى سقوط وهران سنة(1501م)، في يد الاسبان. فقد حزت هذه الأحداث في نفسية أبي راس، واعتبر ذلك خطوة لصالح النصارى ضد المسلمين بعد أن استولوا على الأندلس سنة(1492م/ 798هـ)[4].

إنّ انتقال العاصمة إلى معسكر، قد أحدث تغييرا كبيرا على الأحداث السياسية في المنطقة. وعلى المدينة بصفة خاصة. فقد أصبحت مركزا قياديا مهما في مواجهة أبشع الحملات الصليبية اتجاه المغرب الأوسط. وزيادة على هذا كانت هناك عدة اضطرابات، وحوادث تزعمها بعض رؤساء ورجال القبائل والطرق

(1) وهو الذي خلف الباي شعبان الذي قتل سنة 1686م، وهو الذي نقل البايلك من مازونة مصطفى بوشلاغم المعروف عند الإسبان بـ: (Dpgotillos) أي صاحب الشلاغم، إلى معسكر.

(2) وهو تاريخ سقوط وهران في يد العثمانيين وفتحها عنوة بعد الزلزال الذي أصاب المدينة.

(3) وهم على التوالي: الباي مصطفى بوشلاغم، الباي بوكابوس، الباي حسن، الحاج عثمان، إبراهيم الميلي، الحاج خليل، محمد بوطالب الحجامي المشرفي، محمد بن عثمان الكبير. انظر كتاب بايات الغرب الجزائري.

(4) محمد سي يوسف، دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص: 138.

الصوفي، ضد السياسة العثمانية بالجزائر، وأخص بالذكرحوادث درقاوة التي جرت البلاد إلى فوضى كبيرة. وقد مست شظاياها بعض العلماء من بينهم الشيخ أبي راس، وقبل حوادث درقاوة هناك عامل مهم يتمثل في التقسيم والجهاز الاداريين اللذين كانا معروفين آنذاك.

2) حوادث درقاوة:

تعتبر هذه الحوادث من بين أسباب تزعزع ثقة سكان الجزائر اتجاه الولاة العثمانيين، إلى جانب بايات وهران، الذين استعملوا طرق القمع والتعذيب. وقد أشار كثير من المؤرخين إلى حوادث درقاوة، فتحدثوا عنها، كحديثهم عن بقية التمردات والاضطرابات التي كانت تتجدد المرة تلوى الأخرى طيلة العهد العثماني ثم يخب لهيبها. فقد بدأت هذه الحوادث سنة 1805م/1219هـ وبقيت مستمرة طيلة العهد العثماني، وإن كانت تختلف قوة وضعفا[1].

ومن بين المؤلفين الذين تعرضوا لأحداث درقاوة، والذين اشتهروا بموالاتهم للأتراك: حسن خوجة، صاحب كتاب: "الأعيان في أخبار مدينة وهران". وكذلك مسلم بن عبد القادر صاحب دفتر: "بايات وهران". والمؤرخ أبو راس الناصر الذي خصها بتأليف سماه "درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة". ولقد سجل الشعراء الشعبيون، الذين كان جلهم ينتصر للثوار، الكثير من جوانب هذه الأحداث، فعلى سبيل المثال نجد أبياتا من قصيدة لشاعر شعبي[2] سجل فيها أول

(1) محمد الطيبي، أبو راس الناصر المعسكري، العصر والعصارة، المرجع السابق، ص: 6.

(2) قيل إن صاحب القصيدة هو الشيخ بوعلام السجراري، من قرية سجرارة بنواحي المحمدية، بمعسكر. ومن نظمه:

حكى قصة الأجواد مع العثمانيين النوبة يوم أن فزع ابن الشريف أوجاد
دوك اتراك الكرسي دهوفا ترار صحبه قالوا الأجواد على حرمنا نزكاو
انعقد أوغاشي الجوار عقد محبة في فرطاسة شاو أنها وتلاقاو
بالسيف أونارالمشط اود في الحرية وأفرايس العثمانيين لى الطريق أبقاو
اتغلبوا العثمانيين واسلموا في الضربة أهل العقد البيضاء كامل انغزاو
دار الذيب العولة من لحم العثماني

=

معركة وقعت بين عبد القادر ابن الشريف الدرقاوي بطل هذه الأحداث، وباي وهران مصطفى منزالي بفرطاسة. وقد هزم فيها الباي، ولم ينجح إلا بفضل بعض أنصاره، الذين ساعدوه في الفرار إلى مدينة معسكر ممتطيا جوادا من دون سرج.

كما أشاد الشاعر بعدها في الإشادة والتنويه بابن الشريف والثوار، وصبغ ثورتهم التي كانت عام 1805م/1219هـ بالدينية (إن صحّ التعبير)، والنصر الإلهي. ثم ذكر كيفية دخول ابن الشريف منتصرا إلى قاعدة الباي الثانية " معسكر" وكيف تمكن من هزيمة الجيش العثماني ومحاصرته في قاعدة الباي الأولى فيما بعد "وهران". فخيم الهلع على الباي مصطفى الذي طلب الاستغاثة ويد العون من الباشا. هذا الأخير الذي استجاب لندائه وأمد أسطوله بالجيش على رأسه بايا جديدا، هو محمد بن عثمان الصغير بعد عزل الباي مصطفى المنهزم[1].

ومن بين أسباب هذه الحادثة على سبيل المثال: يرى حمدان خوجة أن تلك الأحداث كانت نتيجة لتسرب الانحلال، والضعف في الحكومة المركزية. فكان هذا الجيش يثور، ويتمرد المرة تلو الأخرى حسب الأهواء، والمطامع، ولقد تطرق عثمان خوجة لأسباب حوادث درقاوة[2]. فقال: "وأكبر المظالم التي حدثت بالجزائر، قد نجمت عن إسناد مناصب البايات إلى أشخاص ليسوا ذوي جدارة، ولا كفاءة. ومن هؤلاء الأشخاص شخص يدعى مصطفى[3] (المنزالي) الذي كان

=

EL MAHDI EL BOUABDELLI ,DALIL EL HAIREN OU ANIS ESSAHRAN FI AKHBAR MADINATI OUAHRAN,Bulltin de la société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, Oran, n - 01, 1975,T1,P: 03

(1) Bulltin de la société,op .cit .n - 01 p: 03.

(2) نسبة إلى العربي الدرقاوي صاحب الطريقة المشهورة في عهد الملك سليمان العلوي، وكان مقره بني زروال، وصاحب الحادثة هو ابن الشريف الدرقاوي. انظر مسلم بن عبد القادر خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، ص: 71. محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران، ص: 108. شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تعريب محمد منزالي، ص: 125.

(3) يقصد به الباي مصطفى منزالي، وهو الذي وقعت بينه وبين ابن الشريف معركة فرطاسة الشهيرة، وكان من حماة أبي راس، وهو الذي بنى له مدرسة بمعسكر. راجع:

=

صنيعا للخزناجي، ومحبوبا لديه فعين بايا لوهران. بعدما التزم بدفع مقدار كبير من المال، مقابل هذا التعيين. وليست لهذا الباي أية علاقة، ولا أدنى ارتباط مع شيوخ القبائل. بل على العكس من ذلك، كانت عبقريته تظهر في سلب أموال الرعية، وإرسالها إلى حامية، أي إلى قاعدة عسكرية عثمانية أخرى، وهذا من دهاء البايات آنذاك في تلك الفترة حتى يتسنى لهم جمع أكبر عدد من الأموال.

ويذكر صاحب دليل الحيران: "أن سبب قيام السيد عبد القادر ابن الشريف... أنه لما ذهب إلى المغرب عند السيد محمد بن أحمد الدرقاوي، وأخذ عنه الذكر، قال له: "سيدي إنّ بوطننا قوما يقال لهم الترك، لا شيء لهم من دعائم الإسلام، ويظلمون الناس، ولا يعبؤون بالعلماء، والأولياء. نسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي لتستريح منهم العباد. وتطهر منهم البلاد، فقال له: عليك بجهادهم وقتالهم. وإن الله ينصرك عليهم بكاملهم، فظنّ أنّ تلك القولة بمثابة النصرة، وأنه أدرك لامحالة فخره.

وهو ما أدّى به إلى مخالفة الشرع والمنطق، فابتدع أمورا يمجها الطبع وينكرها الشرع، واقتدى به كثير من الناس وأخذوا عنه عامة، خصوصا أهل الصحراء". [1] فبقي هو وأصحابه ينتمون إلى التصوف والصلاح...، فدعا أهل الصحراء إلى البيعة كالأحرار[2] وغيرهم فأجابوه.

بعد أن استتب الأمر للشيخ العربي الدرقاوي، دعى أهل الصحراء لبيعته. فاستجابوا له. وأقام الدرقاوي يأمر، وينهى إلى أن سمع به الباي مصطفى منزالي،

=

cit, P: 3 .Bulltin de la societé, op

(1) يتبين لي أن أهل الصحراء هم أهل البادية إن صح التعبير، فإنهم يجيبون كل داعية يدعوهم إلى الجهاد باسم الدين والتضحية في سبيل الله وبحكم انعزالهم عن المدن وما يجري فيها من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية خاصة إذا جاء أمر من عالم متصوف يدعي أشياء تنافي الشرع. محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران، ص: 208.

(2) قبيلة عربية بنواحي مدينة سعيدة معروفة بالشجاعة والشهامة وكان ولاؤها بمثابة تأييد واسع استغله الدرقاوي في مواجهته ضد الأتراك أي بنواحي جبل عمروش في معسكر. المصدر نفسه: 208

وأعدّ له جيشا عظيما. وتلاقى الجمعان بفرطاسة، ودارت الحرب بينهما، وحمي الوطيس. فانهزم الباي وسبي من سبي، وأسر من أسر، وبقيت محلة الباي بما فيها غنيمة للدرقاوي.

وكان من خبر الباي محمد بن عثمان(•)، أنه لما قدم وهران، وجد الدرقاوي محاصرا لها من كل جانب ومكان، والناس في ضيق شديد كطول الحصار، وانقطاع الإمدادات البرية نظرا لاستيلاء الدرقاوي على المدينة وضواحيها، وتحكمه في المعابر، والمنافذ المؤدية إليها. فكان قدومه إليها بمثابة النجم الصاعد في السماء. و"صار الدرقاوي يعد جنوده كل يوم بفتح وهران، "[1]. ويحرّضهم على دخولها، وهدمها، وتخريبها.

وبعد وصولهم لسيدي مبارك[2]، لقيتهم فرسان البرجية[3]، مع من انضم إليهم. فتعرضوا إليهم، وهم سائرون، وتكلم المدفع الرباني من سيدي مبارك. سمعه من كان غائبا، وشاهده خارجا من القبة من كان حاضرا. فنصرهم الله على درقاوة، وهزمهم هزيمة شنيعة، فكان يوما عظيما، جرح من جرح وأسر من أسر، وغنم الحاضرون منهم كالبرجية وبني شقران غنائم كبيرة. لم ير بعضهم بعدها رائحة الفقر أبدا. فلله در فرسان البرجية، ومن انضم إليهم، أشفوا الغليل، وأبردوا الغليل[4]. غير أن الدرقاوي لم يستسلم، ولم يرض بالهزيمة وراح يجمع جموعا

(•) يقول مسلم بن عبد القادر عن الباي محمد بن عثمان الملقب بـ(أبو قابوس أو أبو كابوس) الذي تولى الحكم آخر عام 1223هـ/: "... اشتغل في أيامه بقطع آثار الدرقاوي، حتى إن الرجل إذا أراد هلاك الرجل ينسب إليه ذلك، ومهما دخل أحد في يده منسوب إليه، إلا فعل به ما فعل، ولا يقبل فيه شفاعة شفيع وقد أبدع قتلا غير معروف عند الملوك"، مسلم بن عبد القادر، بايات وهران، المصدر السابق، ص: 97 - 98.

(1) محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران، المصدر السابق، ص: 212.

(2) سيدي مبارك منطقة بنواحي المحمدية بمعسكر شرقا بإقليم وهران، وبها يوجد ضريح الولي الصالح والقطب الهمام سيدي مبارك.

(3) المصدر نفسه، ص: 213.

(4) محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران، ص: 214.

كثيرة من قبائل الصحراء بموافقة بني عامر وأمجاهر[1] عام 1805م/1219هـ. وهكذا صارت الأمور بين مد وجزر إلى أن هزم الدرقاوي بفضل رجال المخزن[2]، الذين قتلوا خلقا كثيرا من أتباعه، وغنموا أموالا عظيمة.

ولعل من أهم النتائج الأساسية لهذه الحوادث، هو مقدرة الباي محمد الكبيرأن يقضي على هذه الأحداث الخطيرة. [3] التي جرّت البلاد إلى وابل من المأساة، والمعاناة المتعددة الجوانب. ليتفرغ إلى الحياة العلمية، وإصلاح شؤون الرعية، والسهر على مصالح العباد والبلاد. لقد كانت حالة البلاد في تلك الفترة تزداد سوءا بعد سوء بسبب التمردات والانقلابات. هذه الأحداث التي كانت تسود الإقليم الغربي على وجه الخصوص، والبلاد على وجه العموم. أي في ظرف اثنتي عشر سنة (1805 - 1817م/1219 - 1231هـ)، اعتلى عرش البلاد خمسة باشاوات قتل منهم أربعة، ومات واحد منهم موتا طبيعيا[4].

وقد تعرض إلى هذا الموضوع كثير من المؤرخين الأجانب على حد قول المهدي البوعبدلي إلى هذه الفترة، وهم متفقون مع الكاتبين: "محمد بن يوسف الزياني، وحمدان خوجه". ويذكرون لذلك أسبابا بغاية الوضوح والتفصيل، ولنقتصر على ما قاله واحد منهم وهو "كاط"[5] E. cat" حينما قال: "... عندما اندلعت ثورة

(1) عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين من الأعراب مع الأسبان كبني عامر، المصدر السابق، الورقة: 8 و36.

(2) المخزن: هو الجيش الموالي للحكم العثماني، وكان هذا الجيش يتألف من خمسة أعراش جالية وهي: الدوائر، الزمالة، الغرابة، البرجية والمكاحلية بنوع شداد في الحرب على عكس غيرهم من: الحشم، مجاهر، بني شقران، وبني عامر وهم أعراب ليست لهم جرأة في الحروب. انظر: دليل الحيران، المصدر السابق، ص: 218.

(3) كانت نهاية الدرقاوي على يد الباي محمد الكبير سنة 1817م. انظر: أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد بن عبد الكريم، مطبعة محمد، القاهرة، ط1 - 1969.

(4) Bulletin de lasociété,op .cit p15

(5) كاط: أستاذ مدرسة الآداب بالجزائر، ألّف كتابا سماه: التأليف الصغير للجزائر والمغرب وتونس (Petite histoire de l'algerie) طبعه أدولف جوردان بالجزائر بالجزائر سنة =

فرنسا عام 1789م، امتنع الباشا حسن أن ينضم إلى أعداء الثورة لعلاقاته الحسنة مع فرنسا، رغم تدخلات انكلترا وإغراءاتها[1].

أما صاحب دليل الحيران فإنّه يحمّل بايات وهران مسؤولية تصرفاتهم. ويرى بأنهم بالغوا في الظلم، والتعدي على الشعب الجزائري. وهذا ما نلحظه جليا بالإيالة الغربية تحديدا. حيث نجدهم فتحوا باب الارتشاء والوشايات والانتقامات الشخصية على مصراعيه.

إضافة إلى أعمال البايات في الأمصار، الذين كانوا يجمعون الضرائب المجحفة، التي كانوا يفرضونها على الرعية بما لا تطيق. كما عاصر أبو راس الناصر أحداثا كثيرة طيلة ست وثمانين عاما من حياته تبتدئ عام 1737م وتنتهي عام 1823م أي ست سنوات قبل الاحتلال الفرنسي، منها حملة "أوريقي"[2]. وحملة "اللورد اكسموت"[3] الأوروبيين على الجزائر، وفتح وهران.

كما عاصر أبو راس كذلك الثورة الفرنسية[4]، وظهور الدعوة الوهابية[5] التي

=

p .Ibid15 .1891

(1) لقد أنقذها من شبح المجاعة التي كانت تهددها فسهل لها شراء القمح، وأقرضها خمسة ملايين فرنك من دون فائض. . . كما وقع عزل كثير من البايات - ثم تبعتها - إجراءات استثنائية ضد القناصل الأوربيين. فغصبت أموالهم، وأهين كثير منهم ومن هؤلاء قناصل انكلترا، والسويد، والدانمارك، فقد عوملوا بإهانة وقسوة، بخلاف قنصل فرنسا، فإنّه كان محاطا بالتجلة والتقدير"ينظر: Idib p: 15.

(2) حملة أوريقي: كانت هذه الحملة عام 1775م، قام بها الأسبان وجهزوها في قادس، قرطاجنة، بوشلونة، وتألفت من 400 سفينة. راجع:

Saint James ,Degarmment, Relation entre la France et régence d Alger au xvii siècle, et Garrot Henri ,histoire générale Alger,1910,P 1189.

(3) حملة اللورد أكسموت: كانت هذه الحملة بأمر من الملك الإنجليزي. Ibid,p 1189

(4) الثورة الفرنسية: كانت هذه الثورة عام 1789م. راجع:

Saint James ,Degarmment Relation entre la France et régence d Alger au xvii siècle, p 225

(5) قد أفرد لها الشيخ أبو راس تأليفا خاصا بها سماه: "منحة الوهاب في ذهابي وما وقع لي بمكة مع الوهابي "راجع يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ص: 243.

انتقد علماءها الذين لقيهم بمكة عام 1811م. وكذا الحملة الفرنسية في مصر، التي أبدى بعض ملاحظاته حول آثارها على مصر والشام في كتابه "الحلل السندسية في فتح وهران والجزيرة الأندلسية"، خاصة إذا علمنا أن أباراس ألّف كتبا عن أخبار ملوك الترك، والروم[1].

وملوك فرنسا[2]، وتحدث في مؤلفاته عن نابليون، وعن الفرنسيين، والإنجليز، والهولنديين[3].

وما تجدر الإشارة إليه هو أن أبا راس من الناحية السياسية ينتمي إلى جماعة العلماء الذين دعموا النظام العثماني، وسلطانه بالجزائر. ويتجلى موقفه هذا، خاصة بعدما رثى الباي بوكابوس بعد موته بمرثية أوردها في رحلته المعنونة: "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ومنته"، ثم الباي محمد الكبير الذي أهداه قصيدة "نفيسة الجمان في فتح ثغور وهران". إذن هذا الموقف صادر من اعتبارات العصر نفسها[•]. فأبو راس عاش فقيرا يتيما محتاجا يعرف معنى حقيقة العيش، قبل أن يعيش مقربا من البايات، ورعايتهم له رافضا للهجرة. لكن في الوقت نفسه كان خائفا من تلك المضايقات التي دفعت أمثاله إلى الهجرة[4].

---

(1) من بين هذه المؤلفات نذكر: درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة، المسك المروم في أخبار الترك والروم، مخطوط موجود بمكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي.

(2) من بين هذه المؤلفات نذكر: تحفة النفسا في أخبار فرنسا، أقوال التأسيس عما وقع أو سيقع من الفرنسيين.

(3) مولاي بلحميسي، محاضرات ألقيت بملتقى أبي راس الناصر بمعسكر، بتاريخ: 28/27 - 10 - 1998م معسكر، ص: 05.

(•) الطيبي محمد، العصر والعصارة، ص: 09.

(4) قضية الهجرة هي التي أشرت إليها في "قضية النسب"، فأبو راس عند ذكره لطبقة من الأشراف وعلى أنهم شريفي النسب دون طبقة أخرى، كان هذا بمثابة زلزال أصاب هؤلاء القوم وعلى أنه طعن في شرفهم ونسبهم، واستدللت على ذلك بما رواه لي الأستاذ جيلالي جلول، حينما حاورته في هذه القضية فذكر لي ذلك بإيجاز شديد، خوفا من إثارة الفتنة من جديد. وأنني لن أسلم منهم حيا أو ميتا، واكتفى بذكر أن أبا راس عند تأليفه لكتاب النسب: "مروج الذهب في نبذة النسب ومن غلى الشرف انتهى وذهب". أخذه تلميذه. والذي لم يذكر لي

3) الحملات الصليبية على وهران:

لقد وعت الجزائر مدى خطورة الأبعاد الحقيقية للحملات الأوربية الصليبية ضدها. ولذلك صمم شعبها، وقيادتها، على تصفية الوجود الاسباني في البلاد. بمختلف الوسائل، وبأي ثمن مهما كان غاليا. ومن هنا كانت قضية تحريروهران، والمرسى الكبير، وطرد الاسبان من الاهتمامات الكبرى للجزائر[1]. ولكن ظروف السلطة العثمانية بالجزائر العاصمة لم تسمح، ولم تكن إمكانيات الأهالي وحدها كافية لطردهم. وعندما حقق الداي الحاج مصطفى انتصاره على سلطان المغرب الأقصى مولاي إسماعيل في جديوية وطارده إلى فاس. اهتم بأمر بايلك الغرب وعين عليه مصطفى بوشلاغم المشار إليه سابقا.

فأخذ يستعد لتصفية الاسبان بالإقليم الغربي، وعندما أصبح محمد بكداش دايا بالعاصمة، أمده بقوات كبيرة بقيادة صهره أوزن حسن، وشدّد الحصار على وهران حتى أجلى الاسبان منها. ومن المرسى الكبير عام1708م/1101هـ، وأسر ما يقرب من ألفين من الاسبان، فعمّت الفرحة بذلك كامل البلد؛ غير أن الاسبانيين أعادوا الكرة، فأعدوا حملة استغرقوا في تجهيزها قرابة الثلاث سنوات[2]. واستردوها في نوفمبرعام 1732م/ 1197هـ، وتأثر الداي من جراء هذه الهزيمة حتى توفي بعدها في العام الموالي.

لم يستطع بوشلاغم من مواصلة هجوماته على الاسبان، وإرغامهم على الانسحاب. بسبب عدم وجود قوات كافية تدرأ هذا الخطر الجسيم. فقرر التراجع والانسحاب إلى مستغانم لمواصلة المقاومة، بعدها تأكد الاسبان أن وجود

=

الأستاذ جيلالي جلول عن اسمه - وضعه في قدر من الماء وغلاه - لتبدأ مضايقات أبي راس في حياته ومن بعد مماته غير أن أبا راس أعاد كتابته.

(1) يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا 1500 - 1830م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ت)، ص: 20.

(2) يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1999، ص: 297.

العثمانيين في عاصمة الجزائر، يشكل خطرا دائما يهدد وجودهم هناك، فأخذوا يسعون بكل الطرق، والوسائل لاحتلال الجزائر ليضعوا حدا لهذه الأخطار. فقام كارلوس الثالث الاسباني بشن ثلاث حملات على عاصمة الجزائر، في أعوام (1775م/1200)، (1783م/1784م) فشلت كلها، واضطرت اسبانيا في الحملة الأخيرة أن ترضخ لشروط الجزائر، دون قيد أو شرط[1].

وهذا ما دفع بأبي راس أن يعيش عصره، ويتفاعل مع مستجدات زمانه تفاعلا منتجا. ولا جرم أن هذا الوضع السياسي المضطرب كان مرحلة تمهيدية للوضع الاجتماعي، والاقتصادي آنذاك، وعلى وجه الخصوص المرحلة الأخيرة من العهد العثماني، التي تعتبر أصعب المراحل التي مرّ بها النظام العثماني بالجزائر.

ب) الأحوال الاجتماعية والاقتصادية:

إنّ الفترة الممتدة ما بين (1155 - 1238هـ/1737 - 1823م) من الناحية الاجتماعية والاقتصادية جد مضطربة باضطراب النظام السياسي، وهو ما أدّى إلى سوء الأحوال الاجتماعية، وتدنّي المستوى المعيشي للمجتمع المعسكري بمختلف طبقاته بسبب انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة كالطاعون الذي أودى بحياة الكثيرمن السكان، على اختلاف فئاتهم. من بينهم العلماء كالشيخ أبي راس الناصر الذي كان ضحية هذا الوباء. إلى جانب انتشار الفقر، والمجاعة التي كان لهما الأثر الكبير في زيادة معاناة المجتمع في معسكر.

كما كان لغلاء الأسعار تأثيرا كبيرا على الحياة الاقتصادية وعلى المجتمع والمنطقة معا. فكانت مداخيل اقتصاد الدولة العثمانية من معسكر جد ضعيفا بعدما كان مزدهرا قبل ذلك.

الأحوال الاجتماعية:

لقد كانت مرحلة الدايات آخر مرحلة في العهد العثماني، بها تنطفئ شموع العثمانيين الذين تعاقبوا على حكم الجزائر عامة وتسيير شؤون مقاطعة الغرب

(1) يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ص: 297.

آنذاك، والذي كان مركزه معسكر؛ ومما ذكرناه آنفا يتجلى لدى الباحث والدارس لتاريخ فترة الجزائر العثمانية. إن هذه المرحلة مرحلة اضطرابات، وتمردات، وانتفاضات عادة ما كان يقودها رجال الطرق الصوفية، والزوايا.

بالإضافة إلى الظلم والتعدي، الذي كان يمارسه العثمانيون على أبناء جلدتنا، وانتشارظاهرة الرشوة والوشايات الكاذبة والانتقامات الشخصية. لقد كانت مرحلة جد متداخلة يصعب على المؤرخين تداولها، وتناولها من جانب واحد، ولابأس أن نعطي لمحة وجيزة عن المجتمع في تلك الفترة.

فئات المجتمع المعسكري:

لقد كانت المدن تمثل مركز إشعاع للحياة الاجتماعية، والثروة الحقيقية. فالتّجار والصناع كانوا يعملون جنبا إلى جنب مع الطبقة الحضرية السائدة التي كان لها تأثير قوي من حيث العدد؛ وهي تراقب أحوازالمدن الكبرى مثل معسكر التي كان الأعيان التابعون للمخزن يملكون غالبية الأراضي فيها.

لقد كان في معسكر حوالي 812 منزلا. أي بمعدل مسكن لعشرة أو اثنا عشر شخصا. فإن الوضع الاجتماعي في معسكر، بصفة خاصة وبالجزائر بصفة عامة، كان يتصف بتمايز السكان. وهذا بطبيعة الحال حسب نمط معيشتهم، وأساليب حياتهم، واختلاف مصادر رزقهم، وطبيعة علاقتهم بالحكام. وهذا ما يساعد على تصنيفهم إلى عدة طوائف وجماعات[1].

فسكان مدينة معسكر مثلا: كانوا يتشكلون من عدة مجموعات حرفية، وفئات سكانية مختلفة مثل جماعة الكراغلة، وطبقة الحضر بما فيها الأندلسيين والأشراف، ثم تأتي بعدها جماعات البرانية أوالدخلاء التي تضم الوافدين إلى المدن من مختلف الجهات وتشمل اليهود والنصارى. أما سكان الأرياف فهم بدورهم ينقسمون إلى متعاملين مع السلطة الحاكمة وهم عشائر المخزن، وخاضعين لرجال البايلك وهم قبائل الرعية، وإلى متحالفين أو ممتنعين عن نفوذ

(1) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني) المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1984، ص: 87.

البايلك، وهم بقية السكان القاطنين في المناطق الجبلية أو النائية من الأيالة الجزائرية وعلى الخصوص الأيالة الغربية [1].

وقبل الحديث عن كل طائفة على حدة، واستخلاص خصائص ومميزات الوضع الاجتماعي. وتجدر بنا الإشارة إلى التعرف عن الحالة الصحية لسكان معسكر المتواجدين بالأرياف وبالمدينة نفسها ونقصد بذلك الشيخ أبو راس الناصر. وذلك لوجود علاقة ترابط وتجاذب بين الوضع الاجتماعي للسكان والحالة الصحية والديمغرافية لهم أيضا، وهذا عامل أساسي في دراسات حالة مهمة تعد مدخلا أساسيا في مجال الدراسات السكانية.

الحالة الصحية لسكان معسكر:

لقد كان الحالة الصحية بمعسكر تزداد سوءا وتدهورا خصوصا في أواخر العهد العثماني، مما كان له تأثير سلبي على نمو السكان وعلى وضعيتهم الاجتماعية. فتضاءل سكان المدينة وتناقص سكان الأرياف المحيطة بها، ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر (18م). كما تسبب في ضعف قوة الأوجاق وتناقص عدد البحارة وقدرات الحرفيين والصناع، وافتقار الأرياف إلى اليد العاملة الزراعية[2].

ويعود سبب ذلك إلى انتقال العدوى، وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة. وذلك لصلة الجزائر بعالم البحر المتوسط، وانفتاحها على أقاليم السودان، وعلاقتها بالبلاد الأوروبية، وارتباطها بالمشرق العربي.

وكانت أهم الطرق لانتقالها توافد التجار والبحارة والحجاج والطلبة من أقطار الشرق الأوسط إلى الموانئ الجزائرية[3]. ومما ساعد على توطن هذه

---

(1) نفسه، ص: 87.

(2) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، ص: 87.

(3) Ray Maud (P) ,Marche et origine des marche épidémies du nord de L'Afrique ,In . Congres médical du Caire P: 12.

Berbrugger (A), Un mémoire sur la peste en Algérie depuis 1552 Jusqu'en1819 . ImExploration scientifique de L'Algerie,ParisIm2emeCongres desscietes savant Alger,1930 ,P: 14

الأمراض الموسمية والأوبئة المعدية، انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية. [1].

ومما زاد في سوء الحالة الصحية، أن الحكام كانوا لا يهتمون بأمور الصحة، ولا يولونها العناية اللائقة بها. فهم لم يتخذوا أي إجراء وقائي ضد الأمراض الفتاكة. بل اعتبروها طبيعة، وغضبا إلهيًّا، ومن هنا نجد تخوف الباي عثمان حاكم وهران عام 1794م/1208هـ، من انتشار الوباء بناحية وهران، والتجائه إلى سهول مليتة ليقيم بها ثلاثة أشهر، بعيدا عن أي اتصال بالسكان[2].

وقد عرفت الأيالة الغربية، وعلى وجه الخصوص معسكر، وباءا سنة 1794 م/1208 هـ، والذي أضر كذلك بجميع الجهات. ومما يضاف إلى سوء الأحوال الصحية، حدوث الكوارث الطبيعية، التي أدّت بدورها إلى تناقص السكان وتضرر الاقتصاد. وتنقل هذه الآفات والكوارث الطبيعية كالجفاف والزلازل، والجراد، والفيضانات، وغيرها.

فقد عرفت الأيالة الغربية على وجه الخصوص والسلطنة العثمانية على وجه العموم هزات أرضية عنيفة تسببت في تخريب بعض المدن[3]، ونتجت عنها في كثير من الأحيان خسائر في الأرواح والممتلكات، منها زلزال وهران عام 1790 م/1204[4]، والذي ساعد على استرجاع وهران والمرسى الكبير من أيدي الإسبان.

إلى جانب الزلازل عرفت الإيالة الغربية عدة مجاعات، ذكرت بعض المصادر منها أن الناس كانوا يموتون أثناءها بأعداد لا تحصى، والتي تزامنت مع ثورات درقاوة. أما في الوضع الديمغرافي للسكان وبالرجوع إلى كثير من

(1) Marcil .La Régence D'Alger vue par un Allemand, du xviii Siècle , In 2 ème Congrès des sociétés savantes Alger 1930p14

(2) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، ص: 88.

(3) MELKI NORDINE Archives Historique National de MADRID - le tremblement de Terre d'Oran, Octobre 1790 et les tentatives du Bey de Mascara pour la libération de la ville d'Alger 1984; N10,11, pp296: 307 .L'Abbé Burzet, Histoire des désastres de l'Algérie, pp,35,38.

(4) ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي بالجزائر، ط1986، ع92، ص: 104

الإحصائيات، نستنتج أنه كان يتصف بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان أو كثافتهم، كذلك تبعا للظروف الصحية والأحوال المعيشية والشروط الطبيعية[1]. وهو ما كان عاملا أساسيا في تكوين شخصية أبي راس.

فئات المجتمع المعسكري:

إن دراسة أوضاع المجتمع من عادات وتقاليد، والتعرف على أحوال السكان مرتبط أساسا بتناول الطوائف والأقليات، أو فئات المجتمع المعسكري على وجه الخصوص. والتي تفيدنا في معرفة الحالة الاجتماعية، والاقتصادية التي كان عليها سكان المنطقة آنذاك وعلاقتها بأبي راس الناصر.

وتفحص كل من الوضعية الاجتماعية، والنشاط الاقتصادي لكل طائفة أو فئة منها وعلاقتها بالدولة، من شأنه تقريب الفهم الصحيح للباحث. حول واقع الحياة الاجتماعية والجوانب الاقتصادية التي كانت عليها الدولة العثمانية عموما في أواخر أيامها. وتأثيرها على التحصيل المعرفي لأبي راس الناصر. ومن أهم هذه الأقليات التي كانت معروفة بمعسكر، كسائر المدن الجزائرية في ذلك العهد: الأقلية التركية، وجماعة الكراغلة، وطبقة الحضر، وجماعة البرانية، والدخلاء؛ وحتى يتسنى للباحث فهمه أكثر لهذه الأقليات، لا بدّ من إشارة خفيفة إليها.

1 - الأقلية التركية:

تعتبر أول فئة يتشكل منها المجتمع المعسكري هي فئة العثمانيين التي تتألف في معظمها من الجنود العثمانيين. وهم المعروفون باسم: "الإنكشارية" الذين كانوا يستقرون في حصون وثكنات، أو يتوزعون على حاميات المدن[2] من بينهم معسكر. هذا وعليه، فقد ظلت الأقلية التركية محدودة العدد لا يتجاوز عدد أفرادها أواخر القرن السادس عشر(16م) العشرة آلاف، ولم يزد في الربع الأول من القرن السابع عشر عن اثني عشر ألفا، وظل هذا العدد ثابتا تقريبا حتى أوائل القرن

(1) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، ص: 91.

(2) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في العهد العثماني، المرجع السابق، ص: 92.

التاسع عشر.

وتتمتع هذه الفئة بامتيازات كبيرة، وتوفر كتابا لإدارة الحكومة العثمانية؛ ورغم المدة التي قضاها العثمانيون بالجزائر، فإن تأثيرهم لم يتعد الأنظمة الإدارية ولم يتجاوز الألقاب العسكرية[1]. إنّ تعامل الشيخ أبو راس الناصرمع فئة العثمانيين، كان تعاملا وثيقا خصوصا، وأنّه كان مواليا لهم، بسبب منح السلطة العثمانية له منصبا للقضاء والإفتاء، رغم ما مني به الشيخ من اتهامات في ضلوعه بفتنة درقاوة السالفة الذكر، ومن ثم عزله من منصبه.

2 - فئة الكراغلة:

من بين طبقات المجتمع المعسكري طبقة الكراغلة. حيث تحتل هذه المجموعة السكانية المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي التي تكونت نتيجة التزاوج بين الجند الانكشاري ونساء البلاد، وظهرت لأول مرة في المدن التي تقيم بها الحاميات التركية وبالأخص في مدينة معسكر - قلعة بني راشد - ومدن أخرى[2].

وأصبحوا يشكلون فيما بعد شبه حكومة خاصة بهم. ويتقاسمون المدينة مع طبقة الحضر، ولهم ديوان خاص بهم، وصلاحيات معترف بها. حيث زادت صلتهم بالعثمانيين، وعلاقتهم الخاصة بالأهالي. فاستطاعوا بعد فترة وجيزة من الوجود العثماني بالجزائر، من أن يشكلوا طبقة وسطى متوسطة الحال. لها نشاطها التجاري الخاص بها، وتشتغل ببعض المهن، وتستثمر الملكيات الزراعية. وفي بعض الأحيان تقوم بوظائف إدارية متوسطة الأهمية[3].

وعلى كل فإن العلاقة بين العثمانيين، والكراغلة ظلت متوترة ومضطربة لمدة خمسة عشر سنة (15)، حيث أبعدوا عن كل وظيفة حساسة في جهاز الدولة.

---

(1) Boyer .(P), Le problème kouloughli dans régence d'Alger .N: Spécial,1970,P: 87.

(2) الجزائر، مستغانم، مازونة، مليانة، المدية، البليدة، القليعة، بسكرة، قسنطينة، عنابة. انظر: الجزائر في العهد العثماني، ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في العهد العثماني، ص: 94.

(3) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، ص: 95.

لمدة نصف قرن إلى غاية إحداث القطيعة بين العنصرين. لقد لجأ بعض الحكام إلى وضع حد لهذا العداء، وإزالة هذه القطيعة لكن دون جدوى.

وقد ذكر ابن مسلم عبد القادر[1]، ما يؤكد توتر العلاقة بين الكراغلة والسكان. عندما ذكر أن باي الغرب الجزائري محمد بن عثمان الكبير، ذهب إلى تلمسان عام 1805م، وآخى بين العرب، والكراغلة وأوصاهم ببعضهم البعض. وقد كانوا في ضيق من الحال، وعدم القوت، والمال. بسبب تفشي القتل بينهم وبين عرب البلد. وتظهر معاملة أبي راس مع هذه الفئة من خلال توسطه في بعض القضايا المختلفة بين الكراغلة، وبين عرب المنطقة، وفضه لبعض النزاعات التي كان يصعب حلها.

3 - فئة الحضر:

تتألف هذه الطبقة من مجموعة سكانية قاطنة بالمدن، والتي ترجع أصولها إلى الفترة الإسلامية وما انضم إليها من أندلسيين وأشراف. وقد تميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة، وبوضعهم الاجتماعي المميز، مما جعلهم يشكلون طبقة اجتماعية ميسورة، حيث يشتغل أفرادها بالمهن الصناعية المختلفة، ويتولون وظائف السلك القضائي، والتعليمي. وقد ظهر في هذه الطبقة صناع مهرة، وتجار نشيطون، وبحارة مغامرون، وفقهاء وعلماء بارزون ومتمكنون.

لقد اهتم أفراد هذه الطبقة بتنمية ثرواتهم، واستغلال أملاكهم أحسن استغلال، واستثمار مزارعهم الواقعة بالقرب من المدن. وهذا ما جعلهم يؤلفون أعلى الطبقات في المدن الصغيرة، التي عرفت بخضوعها للبايلك، وقلة اهتمامها بأمور السياسة، وشؤون الحكم[2]. فرغم سيطرتهم على الحياة الاقتصادية طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر، إلا أنهم لم تكن لهم يد مؤثرة في نظام الحكم، غير أنهم يكونوا حازمين في بعض الأحيان.

وكانت الهجرة الأندلسية عام 798هـ/1492م عامل أساسي في إنعاش

(1) مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، ص: 48.

(2) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في العهد العثماني، ص: 97.

الاقتصاد وازدهاره، وتطور العمران واتساعه بعد استقرارهم ببلاد المغرب. وخاصة الجهة الغربية من البلاد الجزائرية. حيث ظهرت مدن اعتبرت حواضر إسلامية مثل: معسكر التي كانت عاصمة البايلك الغربي قبل أن تتحول إلى وهران فيما بعد.

ورغم اعتبار الأندلسيين أنفسهم أنهم في دار هجرة مؤقتة، يترقبون الوقت الذي يتمكنون فيه من العودة إلى مواطنهم الأصلية، إلا أن تأثير العنصر الأندلسي في مجتمع المدن كان عميقاجدا. فقد طوروا المهن والأشغال المختلفة، وأفرغوا كل ما جلبوه معهم من الأندلس في المجتمع الجزائري ليكتسي بذلك طابعا اجتماعيا. كما قاموا باستصلاح الأراضي الزراعية، وأنشأوا السواقي وجلبوا المياه إلى المدن، وساعدوا في شيوع اللغة العربية في الجهات التي ظلت تستعمل لهجاتها المحلية[1].

أمّا فيما يخصّ جماعة الأشراف فهي فئة قليلة العدد، تنتسب إلى آل البيت حسب تقاليدهم المتعارف عليها، وهم أهل ورع وتقوى. ونظرا لمكانتهم الدينية بين باقي الحضر، حظوا باحترام وتقدير كبيرين، فخصّهم بعض الدايات بالعطايا والمساعدات، مثل الداي محمد بقطاش الذي أوقف لصالحهم بعض الأملاك[2].

بما أنّ أبا راس كان واحدا من أفراد المجتمع المعسكري. فإنه يحس بما يحسون به، ويتأثر بما يتأثرون به، وكانت معاملته تجاههم وثيقة جدا وتتمثل في إعطاء بعض تآليفه لفئة الحرفيين كي ينسخونها. [3] كما أنّ مدة ست وثلاثين عاما[4] التي قضاها بمعسكر كفيلة بالتعرف على حال المدينة وما يتعلق بها من أحداث.

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في العهد العثماني، ص: 97.

(2) المرجع نفسه، ص: 99.

(3) هذه الفئة هي الفئة التي تصنع السروج، ومكانها موجود حاليا بمكان يدعى " الركابة " وهو مصطلح حديث ظهر مع الوجود الفرنسي بالمنطقة. وسبب منحه لتآليفه لهذه الفئة هو رداءة خطه، وكان يعطيهم مقابل ذلك مبلغا من المال. جيلالي جلول، باحث في التاريخ، استجواب يوم: 2002/06/11، معسكر.

(4) تعد هذه المدة بالنسبة للشيخ أبي راس فترة تدريسه بمعسكر، وهي التي أشرنا إليها في حياته العلمية.

4 - فئة اليهود والنصارى:

هي إحدى العناصرالمشكلة للمجتمع السكاني بمعسكر. والتي يطلق عليها اسم البرانية الذين اعتنقوا الدين الإسلامي. هذا وقد أكسب هؤلاء في معسكر وغيرها من المدن الأخرى عادات وتقاليد الأهالي، واتخذوا اللغة العربية كأداة تعبير في معاملاتهم اليومية وطقوسهم الدينية، وحتى في معاملاتهم التجارية في البحر الأبيض المتوسط، التي كانت تفوق إمكانية حكام الجزائر[1].

ومما ساعد هذه الفئة على الاندماج في الحياة العامة بمعسكر وغيرها، هو ثقة الحكام العثمانيين فيهم وتفضيل الأندلسيين التعامل معهم نظرا لكون غالبية اليهود ذوي أصول أندلسية ويتشابهون في نمط العيش والحياة معهم. وأغلب ما بقى يميز هؤلاء الأهالي عن اليهود هو ارتداء الآخرين لملابس قاتمة اللون وامتناعهم ركوب الخيل وحمل السلاح، والتزامهم دفع الجزية. ولقد كان اليهود في صراع مستمر من طرف الأهالي. وهذا ما جعلهم يهاجرون، ويكونون في اتصال دائم بالأجانب والتعاون معهم، خاصة إلى تونس[2] وليفرون[3]. وقد كانت علاقة أبي راس بهذه الفئة واضحا، من خلال تعامله معهم فيما يتعلق بالعقود والمواثيق.

كما لا ننسى أيضا فئة النصارى التي كانت لها هي الأخرى أوضاعها الخاصة بها، فكانت الروابط الثقافية والاجتماعية مبنية على أساس التعاون والاحترام بين الأطراف. فقد كانت الأيالة التركية شبيهة بالإمارة العثمانية الأولى، غير أن الفارق الأساسي بينهما كان يتمثل في أن العثمانيين الأوائل كانوا يهتمون بتأسيس دولة فردية وسط المجموعة الإسلامية في حين أن الجزائريين كانوا

(1) ناصر الدين السعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، ص: 84.

(2) تونس: مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم، عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها مدينة يقال لها طنجة، وكان اسم تونس في القديم ترشيش وهي على بعد ميلين من قرطاجنة، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت لبنان، ط1984، ج2، ص: 60.

(3) ليفرون: منطقة ساحلية غيطالية لها ميناء كان يستعمله اليهود لممارسة التجارة في أي مجال حيوي اقتصادي خصب. انظر الموسوعة الجغرافية العربية، ج16، ص: 243

يشكلون حصنا إسلاميا منيعا في وجه العالم النصراني المعادي.

إلى جانب الفئتين السابقتين هناك عناصر أجنبية عن المجتمع المعسكري الجزائري، مثل التجار الأجانب، والقناصل الأوروبيين، ورجال الحملات التبشيرية، والبعثات الدينية، وكان عددهم بين زيادة ونقصان، ومع تجدد النشاط البحري الجزائري، في غضون أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وإثر الهجوم الذي شنه اللورد إكسموت Exmoth(1866م) (•)، اضطرت حكومة الداي إلى أسر 1642 أسيرا.

لكنّ رغم كل هذا كان ينظر إلى هذه الفئة على أنّها من أهل الذمة. لها حقوق وواجبات أقرها الإسلام. وبما أنّ أبا راس كان عالما وقاضيا في نفس الوقت، كانت تلجأ إليه هذه الفئة ليستحكمونه فيما ينشب بينهم من خلافات اجتماعية، ويستفتونه في قضايا دينية مختلفة: كالقضاء، الزواج، البيع والشراء[1].

لقد كان لهذه العوامل السالفة الذكر، الأثر الكبير في تكوين شخصية أبي راس الناصر المعسكري. الذي كان دائما في أخذ ورد في حياته اليومية المليئة في غالبيتها بالغبن ومشقة الحياة وصعوبة العيش فيها، مما كانت له حافزا مهما في التغلب عليها رغم ما عاناه من تدهور الأوضاع الاجتماعية في عهده.

الجوانب الاقتصادية:

عرف النشاط الاقتصادي الجزائري في العهد العثماني تطورا ملحوظا نوعا ما، رغم تدهور الأوضاع الاجتماعية بالجزائرعموما وبالأيالة الغربية خصوصا. ورغم الاضطرابات السياسية والفتن الداخلية التي تقوم بإثارتها بعض طرق الزوايا آنذاك. وتجدرالإشارة إلى التعرض إلى أهم ميزات تلك الفترة الممتدة مابين(1155 - 1238هـ/1737 - 1823م) ومدى نموه من خلال استعراض الباحث لمختلف

(•) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي بالجزائر في أواخر العهد العثماني (1792 - 1830م) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، ط2 - 1985م، ص: 46.

(1) انظر: أبو راس الناصر، الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، رقم: 3182، ص: 112.

المنتوجات الزراعية، والحرف الصناعية والمهن اليدوية والمبادلات التجارية، وعلاقتها بأبي راس الناصر، ومدى تأثيرها على شخصيته.

ومما لا شك فيه أن فترة التدهور الاقتصادي التي عرفتها البلاد الجزائرية أثناء القرنين الرابع والخامس عشر عموما. وفي معسكر خصوصا. قد خربت أثناءها عدة مدن، وأفقرت أرياف. ولذا وجب النهوض بهذا النشاط من جديد ومحاولة إعطائه صبغة مميزة؛ ولكن مع مطلع القرن السادس عشر والنصف الأول من السابع عشر، تحسنت أوضاع البلاد الجزائرية. فكثر الإنتاج الفلاحي، وتعددت المصنوعات المحلية، ونشطت التجارة. مما كان له انعكاس واضح على معسكر، وعلى أبي راس نفسه.

وقد ساعد على التطور الاقتصادي، والازدهار العمراني، قدوم وفود كبيرة من مهاجري الأندلس، واستقرارهم بالجهات الساحلية خصوصا بالجهات الغربية. بحكم الجوار، والموقع الجغرافي إلى جانب العادات، والتقاليد. وقد ساعدهذا على احتكاك أبي راس الناصر بمحيطه الاجتماعي والاقتصادي. من هنا أراد الباحث التطرق إلى أهم الأنشطة الاقتصادية التي كان لها تأثيرا واضحا على أبي راس.

فقد كانت الزراعة النشاط الرئيسي الذي يعتمده الناس في هذه الفترة – العهد العثماني – "بحيث تحكمت فيها طبيعة الملكية وكيفية استعمال الأرض، إلى جانب تأثير بعض الظروف والعوامل المختلفة فيها، حيث "كانت ملكيات خاصة، وكان يستخدمها أصحابها مباشرة[1]. ولا يستوجب عليهم من الدولة سوى فريضتا العشر والزكاة. وكانت تتصف بعدم الاستقرار وبصغر المساحة نظرا لخضوعها لأحكام الوراثة والبيع والشراء"[2].

ومما لا شك فيه أن هذا النشاط – الزراعة – عرف ركودا كبيرا، يرجع أساسا إلى ظروف صعبة. عايشها الفلاح في الفترة الأخيرة من العهد العثماني.

(1) ناصر الدين سعيدوني، العهد العثماني، ص: 51.

(2) المرجع نفسه، ص: 51.

كانتشار الأوبئة والمجاعات والزلازل[1]، التي كان لها دورا سلبيا على حياة العلماء ومن بينهم الشيخ أبو راس. وطبيعة التضاريس، وشروط المناخ التي أدت إلى ضآلة المردود، وقلة الإنتاج. وأسباب أخرى. أمّا من حيث المحاصيل الزراعية، فقد اختصت كل منطقة بنوع معين حسب الظروف الطبيعية والمناخية[2]، وتأتي في مقدمتها الحبوب[•] التي اشتهرت بها سهول غريس ومعسكر ووهران، والتي كانت تنتج مقادير وفيرة منها إلى جانب عدة أنواع من الخضر والفواكه والتي نعد منها التين والزيتون والبرتقال.

أما النشاط الثاني والذي تمثله الصناعة فقد شمل أغلب المهن التقليدية، والحرف اليدوية التي كانت معروفة خلال أواخر الفترة العثمانية، وكما اختصت كل منطقة بزراعة نوع معين من المزروعات، فكذلك في مجال الحرف، حيث انفردت كل منطقة بصناعة منتوج حرفي خاص بها، مستوحى من الماضي.

وكانت الراشدية آنذاك مشهورة بمنتجاتها في الأقطار الإسلامية والبلاد الأوروبية، ومن بين هذه المنتجات: صناعة الأغطية الصوفية، والبرانس والزرابي[3]، وصناعة الصابون[4]، وكذلك صناعة الجلود والسروج والألجمة. وهذا ما يؤكده الشيخ ابن عمرعثمان، حين تحدثه عن سوق بني راشد الذي يقام يوم السبت بقوله: "تباع به الحبوب، والفواكه، والخضر، والحطب، واللحم، والمواشي، والصوف،

(1) غالم محمد، وحدة الأنتروبولجيا والعلوم الاجتماعية، جامعة وهران، ص: 14.

(2) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة (1800 - 1830م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1979، ص: 32.

(•) مؤلف مجهول، تاريخ القلعة، ناسخه الشيخ محمودي البشير، مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير، نسخة يوم 27 نوفمبر 1973م، ورقة رقم: 6.

(3) Emerit (M) la situation économique de la régence d'Alger en 1830,I .H mars - Avril 1952, p: 17.

(4) يدعى هذا الصابون بـ: "الصابون الجزائري، الذي يصنع من رماد الضرو، وهو أجود أنواع الصابون في غسل الثياب الصوف والبدن". سيدي أبي عمر بن عثمان القلعي، تاريخ القلعة، ناسخه الشيخ محمودي البشير، مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير، نسخة يوم 27 نوفمبر 1973م، ورقة رقم: 6.

والكسوة، والزربية، والكتان، والعطرية، والقهوة، والسكر، والصابون، والزيت، وغير ذلك... "[1].

هذا يعني أن سوق بني راشد كان له صيت ذائع، بدليل السلع المختلفة التي كانت تعرض كل يوم سبت في ذلك السوق. وكان السعر معقولا وفي متناول كل واحد. ويرجع الفضل في ذلك إلى سياسة بعض البايات مثل: "محمد بن عثمان الكبير". ويتضح ذلك من خلال ما ذكره ابن سحنون: "وبلغ السعر مبلغا لم يسمع به أحد من الناس، فإنه أعان الخلائق بالسلف العام، والتصدق والإطعام.. "[2].

وعليه فإن الحرف المتداولة في هذه الفترة في معظمها صناعة تقليدية، رغم بساطتها إلا أنها استطاعت أن تفرض وجودها كصناعة علية لها تأثيرها العميق وفق تراثها العريق. إن أباراس كان واحدا من أفراد المجتمع المعسكري الذي كان يتعامل مع أفراد مجتمعه، ومن ثم كان لهذا النشاط الاقتصادي الهام دور كبير في تكوين شخصية أبي راس الناصر.

أما النشاط الثالث والذي يتمثل في التجارة التي تعد من بين الأنشطة الاقتصادية الحساسة في الدولة. والتي لها تأثير كبير وصدى عميق على قطاع التعامل التجاري على المستويين الداخلي والخارجي، فداخليا كانت تتم - التجارة - داخل المدن أو عن طريق الأسواق الأسبوعية والسنوية في الأرياف، وكان مرتكز ذلك كله تلك السياسة المتبعة والمشجعة من طرف الحكومة تجاه الأسواق التجارية سعيا منها في فرض كيانها، وتسهيل عملية عبور القوافل التجارية نحو المشرق العربي أو بلاد السودان.

ومن أهم الطرق التي تربط شرق البلاد بغربها، طريق التل الواصل بين تلمسان والجزائر وقسنطينة وتونس[3]. وطريق الواحات الصحراوية، وهو ما ساعد

(1) مؤلف مجهول، تاريخ القلعة، ناسخه الشيخ محمودي البشير. مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير، نسخة يوم 27 نوفمبر 1973م، ورقة رقم: 6.

(2) ابن سحنون، الثغر الجماني، ص: 135.

(3) Au capitaine, le baron Henri, étude sur la caravane de la mec que et du commerce de =

على تدعيم بعض المدن الداخلية وتعزيز مكانتها التجارية، وبالتالي ازدهار المراكز العمرانية الواقعة بين الطريقين.

وعموما يمكن القول بأن العمل التجاري الخارجي لايالة الجزائر العثمانية كان حرا، حيث كان مركزا على أوربا الغربية أكثر، وهذا يعكس مدى حيوية الطريق البحري على البري، وهذا راجع إلى إبرام معاهدات السلم والتعاون التجاري التي كانت قائمة بين الدولة العثمانية والدول الأوربية، والحد من عملية القرصنة من كلا الجانبين، وهذا مما دفع بإغناء الخزينة لكلا الجانبين وارتفاع الرصيد المالي.

الحياة الثقافية:

يحفل الوطن الراشدي بعلماء عظماء، برزوا في شتى مجالات العلوم الشرعية واللغوية فضلا عن نبوغهم في ميدان الدراسات التاريخية، إنه الشيخ أبو راس الناصر المعسكري، وهو المؤلف الذي قارنه الجنرال فورييقي بابن خلدون، وقارنه كذلك الدكتور الطيبي بالأمير عبد القادر، وشبهه الأستاذ أبو القاسم سعد الله "بالجبرتي" في مصر لكثرة مؤلفاته وتنوعها.

وما يمكن التركيز عليه هو أن الحياة الثقافية بباياك الغرب – قبل أن يتولى الباي محمد الكبير الحكم – كانت متدهورة للغاية، [1] وتتسم بالخمود والجمود والتحجر[2]. وكان التعليم ينقصه وسائل التشجيع والتنشيط المعنوي والمادي، وقد وجد ذلك في عهد الباي محمد الكبير، وكانت المدن الرئيسية اليومية التي تشتهر

=

l 'intérieur de l'afrique .J .claye .paris, p: 4 - Julian CH .A histoire de l'Afrique Contemporaine, la conquête et les débuts de la cocaïnisation 1827 - 1871 P .V .F, paris 1964, p: 18

(1) والسبب في ذلك راجع إلى أن اهتمام السكان كان منصبا – في تلك الفترة – وبالدرجة الأولى على التجارة والاقتصاد بصفة عامة، لأن التجارة كانت تدر عليهم ارباحا طائلة، إلى جانب أنهم كانوا يضمنون بواسطتها على حاجياتهم اليومية أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص: 135.

(2) الصالح فركوس، الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية بباياك الغرب الجزائري، مجلة الثقافة، الجزائر، ع71، 1986، ص: 16.

بالعلم تكاد تكون خالية من مؤسسات التعليم وأدواته[1]. كما كان انتشار الأمية بشكل مريع لمدينة معسكر التي كانت تعد عاصمة بايلك الغرب يومئذ[2]. ولم يكن مجال العلم مفتوحا أمام عامة الناس، بل كان يقتصر فقط على بعض الخاصة، لأنه يتطلب نفقات باهظة ليست في استطاعة كل واحد يرغب في التعلم أو الدراسة، بل كانت قلة هي التي تحتكر هذا الجانب الثقافي، وتتميز به دون غيرها[3].

ويتجلى هذا الجمود الفكري والركود الثقافي في قول أبي راس الناصر: "... إذ في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده، وخلت دياره ومواسمه، وعفت أطلاله ومعالمه، لا سيما فن التاريخ والأدب، وأخبار الأوائل والنسب، قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان، وأشرفت شمسها على الأفول، واستوطن فحولها زوايا الخمول، يتلهفون عن اندراس العلم والفضايل، ويتأسفون من أنكاس أحوال الأذكياء والأفاضل، إلى الله المشتكى من الدهر، إذا أساء صبر على إساءته"[4].

على أية حال، فإن بايلك الغرب الجزائري كان يعاني من ركود ثقافي وتحجر معرفي، مثله مثل الجهات الأخرى من الوطن، خاصة طوال القرنين الأول والثاني من الحكم العثماني للبلاد، ذلك أنه قبل مجيء العثمانيين كانت معظم المدن الجزائرية خاصة تلمسان - عاصمة الزيانيين - مجالا خصبا للمجابهات الثقافية والتيارات الفكرية، كما كانت تزخر بكثرة مؤسساتها الدينية والتعليمية التي أصبحت إشعاعا معرفيا ينير جميع أرجاء القطر الجزائري وخارجه، خاصة في القرن التاسع الهجري[5].

---

(1) ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص: 133.

(2) Mimoires de Thédénat,R .A .Anneé1948 .Tome 92,pp: 181

(3) أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم: 1632، ص: 18.

(4) أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص: 02.

(5) عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، ع. خاص، جويلية - أوت 1975، ص ص: 136 - 155.

وقد كان بعث الحركة الثقافية على يد الباي محمد الكبير الذي كان له أيادي بيضاء في تشجيع الثقافة والنهوض بها على أكمل وجه، فشجع العلماء بمساعدات وأجازهم بأموال، وقد نال أبو راس نفسه من هذا العطاء[1].

أهم معاهد العلم والثقافة بمعسكر:

تعد هذه المعاهد من أهم مراكز الإشعاع الثقافي آنذاك بمعسكر، والتي كانت نقطة تحول في حياة أبي راس الذي كان من بين الطلبة الذين اجتهدوا في طلب العلم، والرقي إلى درجة العلماء والفقهاء. وكانت هذه المراكز تتمثل أساسا في المساجد والزوايا والمدارس والمكتبات، ومن بين هذه المعاهد نذكر على سبيل المثال:

1 - المساجد:

كثيرا ما يختلط على الباحث اسم الجامع والمسجد والزاوية، ذلك أن بعض الجوامع والمساجد كانت تابعة لزوايا معينة، كما أن بعض الزوايا كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة، فالتداخل ليس في الاسم فحسب، بل حتى في الوظيفة، فالجوامع والمساجد كانت للعبادة والتعليم، كما أن الزوايا كذلك أحيانا، ولكن في الغالب كانت رباطا أو ملجأ أو مسكنا للطلبة والغرباء، ومركزا لتلقين الأذكار واستقبال المريدين[2].

وعلى كل فقد كانت العناية بالمساجد ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم .فلا تكاد تجد قرية أو حيا في المدينة بدون مسجد. "فقد كان المسجد هو ملتقى العباد، ومجمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو قلب القرية في الريف، وروح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب"[3].

كما كان يجمع بين أهل القرية والمدينة أو الحي خاصة في بنائه وأداء

(1) سي يوسف الزياني، دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص: 140.
(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 243.
(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص: 243.

الوظائف فيه، فقد كان تشييد المساجد عملا فرديا بالدرجة الأولى، فالغني المحسن هو الذي يتولى ويقود عملية بناء المسجدوالوقف عليه وصيانته. كانت المساهمة بالتبرعات ونحوها من طرف أعيان القرية أو الحي[1]، وكان مجهود السلطات الحاكمة في هذا المجال لا يتعدى مجهود الأفراد.

فالدولة غير مسؤولة عن بناء هذه المساجد، وإذا بنى أحد البشوات أو البايات مسجدا فإنما يبنيه من ماله الخاص، مثل الباي محمد الكبير الذي شيد جامعا كبيرا يحمل اسمه (جامع محمد الكبير) بمعسكر، وهو المعروف عند أهالي معسكر بجامع العين البيضاء، "وقد أقام به الباي ستة عشر حوضا للوضوء جلب لها الماء عن طريق القنوات من أرض تتوفر على ينابيع ماء قد اشتراها لهذا الغرض"[2].

كما أعاد بناء مسجد معسكر العتيق الذي شيد عام 1205هـ/1791م المعروف بجامع سيدي حسن الذي شهد المبايعة الثانية للأمير عبد القادر على الجهاد فهدمه وقام بتوسيع مساحته وإحداث خمسة أحواض للوضوء به جلب لها الماء عبر قنوات وسواقي، كما أبدل محراب هذا المسجد بمحراب آخر بديع الصنع"[3]، الذي به منارة قريبة من قصر الباي[4].

ولذا كان مسجد عين البيضاء قليل الوجود من بلد المعسكر[5]. فبالرغم من ظهور المدارس ابتداء من القرن الخامس الهجري إلى غاية مجيء العثمانيين بالجزائر فإنها لم تستطع أن تنافس المساجدأو تقلل من قيمتها العلمية، وإنما تعايش الاثنان جنبا إلى جنب والاضطلاع برسالة التربية والتعليم في العالم الإسلامي[6]،

(1) المرجع نفسه، ص: 243.

(2) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر - العهد العثماني - المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1984، ص: 249.

(3) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، ص: 248.

(4) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 260.

(5) الآغا ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، تحقيق يحيى بوعزيز، ص: 295.

(6) العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر، العهد العثماني، مجلة مسيرتا، وزارة التعليم والبحث العلمي، ع3 1980، ص: 64.

لتتحول هذه المساجد فيما بعد إلى جامعات تستقطب عددا كبيرا من الطلبة والعلماء.

2 - الزوايا:

كانت من أهم ميزات العهد العثماني في الجزائر، فقد انتشرت وبقوة الطرق الصوفية وكثرة المباني (الزوايا ونحوها)[1] خاصة في الأرياف، ومن ثَمّ في المدن، غير أن زوايا المدن لم تحظ بالأهمية التي كانت لزوايا الريف، نظرا للأهمية الكبيرة التي كانت تمتاز بها زوايا الأرياف، فكانت كل مدينة كبيرة أم صغيرة، محروسة بولي من أولياء الله الصالحين. فهو الذي يحميها من الغارات ومن نكبات الطبيعة ومن طمع الطامعين[2]، حسب مزاعم العامة.

وكان من بين أهدافها تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب، المتعطشين إلى اكتراع زلال العلم والمعرفة، وكانت هذه الزوايا في مجملها منقسمة إلى قسمين: قسم أول يقوم بوظيفة تحفيظ واستظهار كتاب الله، وهذا القسم يقصده غالبا الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية واستظهروا بعض السور، وقسم آخر يقوم بتدريس بعض فنون الوقت مثل الفقهيات والعقائد وقواعد النحو والصرف والبلاغة والمنطق وعلم الفلك وهذا القسم لا يقصده إلا الحاملون لكتاب الله تعالى[3].

وكان إذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ويعلم فيه الطلبة، ويتبرع الناس لهذا المركز، يكبر ويثرى ويتضاعف قصاده ومريدوه، ويصبح اسم المتصوف (المرابط) علما على المكان ويدعى المكان بزاوية سيدي فلان أو رباط فلان، فإن مات دفن داخل الزاوية أو الرباط، ويرث أبناؤه وأحفاده ومن بعده مكانة وعمل سيدي فلان، وبذلك تزداد

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 261.
(2) المرجع نفسه، ج2، ص: 262.
(3) التحفة المرضية في الدولة البلداشية، المصدر السابق، ص: 58.

قداسة الزاوية أو الرباط بين أهل الناحية ومن ثَمّ إلى نواحي أخرى بعيدة[1].

ومن بين الزوايا التي اشتهرت بالغرب الجزائري في العهد التركي ولا سيما بالوطن الراشدي ما لا يعلمه إلا الله، حتى قيل إن في كل دومة في غريس ولي صالح، وهناك برزت عدة زوايا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الزاوية الراشدية، والزاوية القادرية بالقيطنة بمعسكر[2]، إلى جانب زوايا أخرى من بينها، زاوية الشيخ سيدي محمد سليمان. زاوية الشيخ سيدي عبد الله بن عبد الرزاق الإدريسي. زاوية الشيخ سيدي محمد المشرفي الإدريسي شيخ الرماصي. زاوية الشيخ سيدي عبد القادر ابن المختار الإدريسي. وكل هذه الزوايا موجودة بالوطن الغريسي الراشدي، والملاحظ من خلال هذه الزوايا أنها كلها تتفق في النسب الإدريسي، أي نسب شريف.

ومن أهم ما كان يميز بعض الزوايا، كونها ملجأ يلجأ إليه الهاربون من العقاب والقتل مهما كانت جرائمهم، فقد كان محيي الدين مقدم الطريقة القادرية (زاوية القيطنة) يصف زاويته بأنها كمقام إبراهيم من دخلها كان آمنا[3]، وبرجوعنا إلى التاريخ نجد أن معظم الطرق الصوفية ظهرت قبل دخول العثمانيين إلى الجزائر حيث كانت عدة أسماء لامعة في التصوف والطريقة مثل: سيدي عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية.

ولقد اشتهرت الطريقة وتوسع نشاطها وتغلغل فكرها وكثر أتباعها بعد الحركة المرابطية وتأكيدا لهذا ما يلاحظ من وجود عدد كبير من الأولياء الصالحين وأهل الزهد ورجال التصوف[4]. وتوسعت لتشمل الناحية الغربية بكاملها وازداد أتباعها. وقد أثرت هذه الزاوية على فكر أبي راس الناصر.

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص: 262.

(2) العيد مسعود، مجلة سيرتا - المرجع السابق -، ص: 63.

(3) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 271.

(4) قناوى مصطفى، عين الحوت في العهد العثماني، ألقيت بشتوان، تلمسان، ص: 15.

3 - المدرسة:

هي المكان المخصص لإلقاء الدروس بها، ولا توجد إلا في بعض المدن الرئيسية أمثال: معسكر، وهرانن تلمسان...، وكانت بهذه المدارس غرف يسكنها الطلبة المسافرون[1]، وقد عرف أبو راس الناصر المدرسة التي نحن بصددها، مدرسة التعليم الثانوي والعالي إن صح التعبير، بأنها هي التي "تبنى لدراسة العلم، أي لتعليمه وتعلّمه"[2].

فمن الجلي والواضح ومن خلال رأي أبي راس، أن المدرسة لم يكن المقصود من ورائها الزاوية أو المسجد. بل هي مدرسة مستقلة متخصصة في التعليم وحده بشطريه الثانوي والعالي[3]. وفي هذا الصدد ذكر أبو راس أنه كان في مدينة الجزائر على عهده "مدارس" كبيرة، مثل المدرسة القشاشية[4]، كما كانت المدرسة المحمدية في معسكر، وعندما وصل إلى وهران قال: "إن المدارس بالمعنى الذي قصده: قد درسها الكفرة (أي الإسبان) وكفوا رسمها" فلم يبق في رأيه في وهران لدراسة العلم سوى المساجد[5]، وتلعب المدرسة في المدينة نفس الدور الذي تلعبه الزوايا في الريف[6].

ولا يختلف التعليم في المدارس عن التعليم في الزوايا[7]، وكان من أهداف المدرسة تحفيظ القرآن الكريم إلى جانب تعليم مبادئ القراءة والكتابة وبعض

(1) ابن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص: 59.

(2) أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص: 79 .

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص: 281 .

(4) المدرسة القشاشية التي أشار إليها أبو راس حسب ترجيح جمع من الباحثين إلى جامع القشاش، والذي يعود إلى العهد السابق بالعثمانيين، ومدرسة القشاش تعود إلى سنة 1162 هـ، حسب أقدم وثيقة تتحدث عن هذه المدرسة (الزاوجة) وبمجرد احتلالها من طرف الفرنسيين حولوها إلى مخازن للجيش. المرجع نفسه، ص: 281.

(5) أبو راس الناصر، عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص: 90 (مخطوط) .

(6) Turin .y .Affrantement culturels dans L'afrique coloniale,Paris,1971 .P: 126

(7) Turin .y .Affrantement culturels dans L'afrique colonial,p: 126

العلـوم الأخـرى، كالحـديث والـنحو واللغـة والفقـه والتوحـيد، واسـتكمال هـذه الدراسات بعلـم الحساب وقراءة المؤلفات الطبية لابـن سينا، إلا أنها كانـت قليلة بسبب اشتغال العلماء بالعلوم الآنفة الذكر[1]. ولـم يكن العلماء يقتصرون على ما في الكتاب من المادة العلمية وإنما كانوا يثرونها بروافد أخرى من أمهات الكتب...، ولـم يقتصروا على طريقة لشرح النصوص وحدها، وإنما كانوا يناقشون المسائل ويرجحون رأيا على آخر[2]. ومن أهم المدارس بمعسكر نذكر منها:

1 - المدرسة المحمدية:

تعـد مـن أهـم المـدارس التـي أسـسها الـباي محمـد بـن عـثمان، بالغـرب الجزائري، والتي كـان لها صدى واسع في العالم العربي والإسلامي[3]. والتي تعتبر أكبر معهد علمي يضم أساتذة أكفاء[4]، متفرغين لمهنة التعليم لا غير، إلى جانب الآلاف من الطلبة والتلاميذ الذين سارعوا إلى الإقبال على العلـم بلهف شديد[5]، وهي التي أشار إليها أبو راس بقوله: "وهي المدرسة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها"[6].

وما يمكن الإشارة إليه هو أنه رغم اهتمام الباي بالجامع الأعظم الذي بناه بمعسكر، فإنه قد أسس مدرسة بجانبه. لأن فكرة المدرسة المستقلة عن الجامع لم

---

(1) I .bid,pp: 125 - 126.

(2) المهـدي البوعبدلـي، الـثقافة والتوجيه بالجزائـر، (بتـصرف مـن محاضـرة ألقاهـا فـي المؤتمـر الإسلامي المنعقد سنة 1970م)، ص: 13.

(3) سـميت بهذا الاسم نسبة إلى محمد بن عثمان الكردي، إنما لقب بـ"الكبير" نظرا لتفوقه وبراعته في إدارة شؤون بايلكه، خاصة بعد استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الإسباني.

A .Gorgnos, RA, 1ere Année, n 5 juin 1857 .P: 405.

(4) من بينهم: أبو راس الناصر، محمد بوجلال (الجيلالي)، الطاهر بن حواء، محمد المصطفى بن زرقة الدحاوي.

(5) صالح فركوس، الباي محمد، المرجع السابق، ص: 17.

(6) أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، المصدر السابق، ص: 127.

تكن تدور في خيال هذا الباي، فبناؤها على هذا النحو المذكور كان متماشيا وتقاليد التعلّم الإسلامي عموما، فالواضح أن المدرسة كانت ثانوية بالنسبة للجامع، فالأوقاف مثلا تنص على نفقة المدرسين في الجامع دون المدرسة[1]. ولقد تول أو رأس مهمة التدريس بهذه المدرسة فالتف حوله عدد هائل من الطلبة.

كان الطلبة يبادلون شعور أساتذتهم فيقدرونهم ويحترمونهم لما يحملونه من علم، واعترافا بما عليهم من فضل بما بذلوه من جهود جليلة من أجلهم. ثم إن المتصفح لكتب التراجم، ومذكرات العلماء، وما كتبوه عن مشايخهم، يلمس مدى الحب الذي كانت تنبض به قلوب الطلاب نحو أساتذتهم، وما فاضت به أقلامهم.

ونستشهد في هذا الصدد بما ذكره محمد بن علي السنوسي في معرض حديثه عن أساتذته الذين تتلمذ على أيديهم: "ومنهم شيخنا وشيخ مشايخنا الهمام الحافظ الإمام، سيدي محمد بوراس المعسكري البلد - رحمه الله - كنت أتردد إليه كثيرا وأستفيد منه استفادة عظيمة، لتمام حفظه وإتقانه لكل فن حافظا لمذاهب الأئمة الأربعة، جواب كل ما سئل عنه بين شفتيه، وغالب من أخذنا عنه من أهل ناحيته أخذ عنه"[2].

ومن أهم العلوم التي كانت تدرس في هذه المدرسة، لا سيما في المرحلة الخيرة من العهد العثماني، كتب الفقه مثل: حواشي شرح الشيخين الزرقاني والخرشي[3]. وهما الحاشيتين اللتين اعتمدهما أبو راس في تدريسهما للطلبة، وحاشية الشيخ مصطفى الرماصي الذي كان آية عصره. إلى جانب كتب النحومثل: شرح الشيخ المكودي، وفي اللغة كتاب القاموس للشيخ فيروزآبادي، ومقامات الحريري، وفي الأصول شرح الشيخ المحلي. فضلا عن كتب التصوف، المنطق،

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 281.

(2) ابن سحنون الراشدي، الثغرالجماني، ص: 66 (من هامش مقدمة المحقق رقم: 53) .

(3) وجدنا تعليقا على هذه الحاشية ضمن مخطوط من مسائل الرعاة، بدايته: "الحمد لله، فالمؤلف أي أبو راس، سلك طريقة في كتابه منهاجا عجيبا، فجعل الباب فصلا، وجعل الفصل رأس كلام نصيب، وجعل الكتاب بابا فقسمه بين تفصيل وتبويب. "مؤلف مجهول، من مسائل الرعاة، زودنا به الأستاذ بليل حسني، الورقة الأخيرة من المخطوط.

الفلك وعلم البيان إلى غير ذلك من العلوم النقلية والعقلية الأخرى.

وكان العلماء يحظون بمنزلة عظيمة لدى المواطنين، وكان نفوذهم على طبقة العامة كبيرا. وكانت الطبقة الموسرة من جانبها تقلد أنماط سلوكهم، وكل فرد منهم يجد أنه من الشرف له أن يستقبل واحدا من هؤلاء العلماء في بيته. ومهما يكن. فقد حفلت مظان السير والتراجم بصفحات ناصحة لما كان عليه العلماء في ذلك العصر من عفة وتواضع وسماحة وإيثار، وعلاقاتهم بطلبتهم، ومحاولةمنهم في إفادتهم وتزويدهم بما ينفعهم من علوم دنيوية وأخروية.

2 - مدرسة القيطنة:

هي الأخرى من المدارس التعليمية الكبيرة بمعسكر خلال المرحلة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر. فقد تأسست هذه المدرسة بمنطقة القيطنة، بالقرب من بوحنيفية، حوالي سنة (1200هـ/1787م)، على يد مصطفى ابن المختار بعد رجوعه من بغداد. وبعد وفاته في عين الغزال بليبيا، تسلم أمور إدارتها الشيخ محيي الدين والد المير عبد القادر.

وكانت هذه المدرسة من المدارس التعليمية الهامة في الجزائر، حيث جمعت بين كل مراحل التعليم من أدنى مرحلة حتى أعلاها. كما كان بها ست حلقات تعقد لجلسات العلم، بمعية عدة أساتذة. وكانت تضم عددا كبيرا من الطلاب يتراوح عددهم ما بين (700و1800) طالب علم دائمي الدراسة، مع العلم بان عدد الطلاب في كافة أنحاء الجزائر كان هائلا حول العلماء[1].

وقد تطورت المدرسة تطورا كبيرا، وأصبحت تلقب "بمعهد القيطنة" نظرا لتوافد الطلبة والعلماء عليها. وكان من العلماء الذين درسوا بها أبو راس الناصر. وهذا مما يدل على علو همتها، وذكرها في الآفاق. فنجد أن أبا راس قد درس في هذا المعهد الديني الكبير، بدليل قوله: "فذهبت للقيطنة، وقد اجتمعت جموع من

(1) مجموعة أساتذة، معسكر رجال وتاريخ، الحياة الروحية في الإسلام، ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين، وزارة الشؤون الدينية، معسكر، 26 أوت/ سبتمبر1987، ج1، ص ص: 13 - 15.

الطلبة"[1]. فهذا مما لاجدال فيه أن مدرسة القيطنة كانت مدرسة معترف بها من قبل علماء الوطن أولا ثم من علماء الأمصار ثانيا.

ونشير إلى أنه لم تقتصر معسكر على المدرستين المذكورتين سالفا، بل تعدتها إلى مدارس أخرى كانت في الوقت نفسه زوايا تقوم بالدراسة والتعليم. نذكر منها: مدرسة زاوية سيدي علي شريف بسيق، مدرسة زاوية سيدي محمد بن قالة الحسني بالكرط، مدرسة زاويةمصطفى بن الطيب بعقاز، مدرسة زاوية سيدي علي بلحجاج بني شقران، مدرسة زاوية سيدي قادة. التي كان لها الفضل الكبير في إعطاء المعلومات، وتزويد الطلبة بالأفكاروالفتاوى والآراء الفقهية وغيرها.

أما عن أهم العلوم التي كانت تدرس في هذه المدرسة، ففي غالبيتها علوم شرعية وعقائدية، وبعض من المجالات الأدبية. وبما أن مؤسس هذه المدرسة من المتصوفة، فإن الطابع الغالب عليها هو المجال العقائدي أكثرمن العلوم الدينية الأخرى. من بين هذه العلوم ذكر على سبيل المثال: كتب التوحيد للشيخ السنوسي، كتب الحكم العطائية، أما الفقه: كتب مختصر الشيخ خليل، وحواشي الشيخ الدسوقي والشيخ الدردير، وفي الحديث: كتاب صحيح البخاري، وكتب الأئمة الستة المعتمدة. لقد كانت المدارس إشعاعا ثقافيا ساعد على تخريج.

لقد كان لهذه المدارس تأثيرا كبيرا على شخصية أبي راس وحتى في تكوينه العلمي والمعرفي، وهذا يتجلى من خلال تعليمه بهذه المدارس من جهة ومن خلال تدريسه بها، وإشرافه على مجموعة هائلة من الطلبة الذين يبلغ عددهم في غالب الأحيان780 طالب.

4 - المكتبات:

لا تقل المكتبات أهمية عن سابقاتها من مساجد وزوايا ومدارس. وتشمل المكتبات العامة والخاصة، وهي التي كانت تضم أشتات المخطوطات في مختلف فنون الوقت، كما كان يقصدها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي

(1) أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1990، ص: 24.

للمطالعة فيها، لا سيما المكتبات العامة التي كانت وقفا وحبساعلى المساجد والزوايا والمدارس.

وقد كانت من بين المكتبات ذات الأهمية البالغة بمعسكر مكتبة أبي راس الضخمة التي تضم أنفس الذخائر، والمخطوطات النادرة وحتى المؤلفات التي ألفها أبو راس نفسه، والتي لم تحقق ولم تطبع إلى يوم الناس هذا. وتعرف هذه المكتبة باسم "مكتبة المذاهب الأربعة"، نظرا لاحتوائها على مؤلفات أئمة المذاهب الأربعة، وحسب قول أحد الباحثين أن هذه المكتبة كان يقصدها علماء عدة من فاس ومكناس وتونس وليبيا... إلخ.

وتشهد عبارات الباحثين الفرنسيين الذين شاهدوا وجمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية غداة الاحتلال، أنهم كانوا مندهشين من كثرة الكتب المؤلفة التي وجدوها، ومدى تنوعها، ومن جمالها، والعناية بها. فقد اعترف بذلك أدريان بيروبرجد الذي رافق الحملة الفرنسية على قسنطينة وتلمسان ومعسكر[1]. لقد لعبت المكتبة دورا كبيرا وفعالا في حياة أبي راس العلمية والثقافية في العصر العثماني، مما جعلته يسعى جاهدا في خدمة العلم. ولا زالت إلى حد الآن تؤدي ما عليها من أجل تسهيل عملية البحث والمطالعة للباحثين.

العوامل المؤثرة في طلبه للعلم:

لقد كان لأبي راس في مسيرته العلميه عوامل حفزته على تصدر مراتب التفوق العلمي ودفعته إلى التأليف والتصنيف في مختلف العلوم والفنون، إلى جانب مناظراته المفحمة لخصومه المخالفين له من العلماء والفقهاء، بالإضافة إلى مستواه المعيشي من فقر مدقع، فكان هذا السبب عاملا مهما في بروز شخص أبي راس الناصر من ضمن العلماء البارزين في عصره ومواكبتهم في تحصيل شتى العلوم، كما ساعدته في ذلك حافظته الكبيرة، إذ لقبه قرناء عصره من المشايخ والعلماء الأجلاء بحافظ المغرب الأوسط، وهناك عوامل ساعدته على

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص: 287. وانظر أيضا: تاريخ الجزائر، ج3، ص: 317.

الإكثار من التأليف والتصنيف حتى وصفه بعضهم بالمتجاوز تصانيفه عدد سنوات تعميره، ومن جملة هذه العوامل نذكر المهمّ منها.

1) تشجيع الباي للكتاب:

يعد الباي محمد بن كبير من البايات الذين اهتموا بالكتاب، والذين عملوا على استئلاف العلماء وتقريبهم إليه، فكان يختارمن جلسائه العلماء والأدباء من الكتاب والشعراء وكانت مجالسه تضم العديد منهم خاصة في المناسبات" والأعياد، فإنه كان يعم فيها أهل الوظائف كالخطباء والأئمة والمؤذنين والمؤدبين والمدرسين"[1].

وقد كان يستشيرهم أيضا في بعض القضايا الهامة[2] ويوجههم ويرشدهم إلى مناصب مختلفة فكان مثلا أحمد بن هطال التلمساني قد شغل عدة مناصب سياسية في بايلك الغرب. إذ كان مستشارا للباي وكاتبه الخاص والمبعوث له في المهام الخارجية[3] وكان من بين الذين أسند إليهم المناصب العلامة أبو راس الناصري الذي شغل منصب قاضي مدينة معسكر ومفتيها[4]. كما كان محمد الكبير يشجع الكتاب على التأليف في شتى فنون المعرفة، فيعينهم بمساعدات، ويكافئهم بأموال، وقد نال أبو راس نفسه من هذا العطاء.

كما بنى الباي مدرسة معسكر التي كان أبو راس يدرس بها، ولذا يقول ابن سحنون الراشدي في اهتمام الباي محمد الكبير بالعلم: "ولمحبة هذا الأمير للعلم

---

(1) أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الحماني في ابسام الثغر الوهراني، تحقيق البدوي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة، ط1973، ص: 143.

(2) المصدر نفسه، ص: 427.

(3) أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائر، 1972. مقدمة بمحقق ص: 13. انظر كذلك: أحمد بن سحنون، نفس المصدر، ص: 247.

(4) يحيى بوعزيز، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصري المعسكري، نفس المصدر، ص: 245.

والأدب كما يشتري كتبه بالثمن البالغ ويستكثر منها وينسخ ما لم تسمح نفس مالكه ببيعه، وكثيرا ما يأمر بقراءتها بحضرته في مجلس حكمه"[1].

ويعد الجو الثقافي الذي أحدثه الباي محمد الكبير، فاتحة عهد جديد أتاح الفرصة أمام العلماء والمدرسين والأساتذة بممارسة التعليم واستغلال مواهبهم في الكتابة والتأليف، وبخاصة عندما فتح باب الوظائف أمامهم وخصص لهم رواتب "... يأخذونها من الأحباس بعد أن كان العلماء لا ينفقون من ناحية المخزن بشيء إلا من كان متوليا لخطة أو مستعملا في خدمة، فاتسعت بذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة وشرهت لها النفوس، وكثر طلبة العلم وتشوق كل أحد للتدريس واشتد الحرص على العلم من بعد أن كاد يترك اشتغالا بالتجارة لقلة جدواه"[2].

الواضح أن الباي كان يريد من وراء تشجيعه للعلم والثقافة ككل، هو استقطابه للعلماء وكسبهم إلى فلكه وهذا لتدعيم نفوذه في الملك. "فقد كان ذكيا يتمتع بتفكير سياسي بعيد النظر، إذ عرف كيف يكسب هؤلاء العلماء ويجلبهم إليه، ويجعلهم يلهجون بالثناء عليه ويثابرون بذكر مناقبه وتخليد مآثره[3]. كما كان الباي يرمي من وراء ذلك إلى هدف آخر، هو بعث الرباطات الطلابية[4] التي أصبحت كمؤسسة علمية، ذلك أن الباي محمد الكبير كان قد جعل الدراسة تقتصر على من كان بالرباط الذي كان يشرف على إدارته والأساتذة فجمع بذلك المرابطون بين

(1) أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهران، ص: 147.

(2) نفسه، ص: 135.

(3) صالح فركوس، الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري، مجلة الثقافة، الجزائر، ط1982، ع72، ص: 26.

(4) من بين هذه الرباطات المشهورة: رباط وهران، ويسمى برباط صلب الفتح، بعث بها الباي محمد الكبير عندما عزم على فتح وهران. انظر: المهدي البوعبدلي، الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ط 1973، عدد 13، ص: 24.

الدروس العلمية والجهاد[1].

ومما لا شك فيه أن ولوع الباي محمد الكبير يعود إلى شخصيته المثقفة، فكان وضيعا في كلامه يحب المطالعة[2]، من هذا الجانب يمكن اعتبار تلك الحركة الثقافية طبيعة نابعة من استشارته، وتشبعه بالثقافة. هذا لا يعني أن الباي محمد الكبير هو الوحيد في عصره الذي كان يخدم الثقافة العربية ويشجع العلماء على خدمة العلم، فمثلا صالح باي قسنطينة كان هو الآخر من بين الذين عملوا على تشييد المؤسسات الدينية والتعليمية ومن أشهرها مدرسة سيدي الكتابي وسيدي لخضر[3]، إلا أن ما قام به صالح باي لا يرقى من حيث الحجم والاتساع إلى المستوى الذي عرفه بايلك الغرب في عهده، ولعل ذلك راجع إلى جهل صالح باي باللغة والثقافة"[4].

2) حب أبي راس للعلم:

إنّ حب أبي راس للعلم ينطلق من تشجيع الباي محمد الكبير للكتاب والعلماء، وهو بمثابة محفز أساسي لهم، حتى ينتجون أكثر ويفيدون الكثير من طلبة العلم. إذ كان يجزل لهم عطايا[5] ويحثهم على التأليف في التاريخ، فمثلا: عندما كان يحاصر مدينة وهران الواقعة تحت نيل الاحتلال الاسباني أمر أحد الكتاب وهو مصطفى ابن زرفة الدحاوي بتسجيل تلك الأحداث.

ويتضح حب أبي راس للعلم والتأليف من خلال قوله: "هذا وأني قد خضت في هذا الفن قديما، وضقت به أديما، لم أزل في خدمته مستديما حتى

(1) أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص: 233 - 241.

(2) محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، ش. و. ن. ت، الجزائر، ط 1978، ص: 199.

(3) E .mercier: histoire de cons tontine, c .n .e, 1903, pp: 293 - 295.

(4) العيد مسعود سعيد، المجتمع الجزائري في ظل الحكم العثماني، ص: 377.

(5) أبو راس الناصر، عجائب الأسفار، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 1632، ص: 124.

كثرت عندي رقاعه، وامتلأت بقاعه، وصارت نفسي تحدثني بالتدوين والانخراط في صنف المؤلفين وهنت علي شيئا أمره[1]، وأنا في ذلك أقدم رجلا وأؤخر أخرى[2]، وإنني لي بذلك وبضاعتي في هذا العلم نزر منزور، والمتشبه بما لم يعط كلابس ثوب نوره مع ما كان يعوقني من ذلك ويمنعني في الخوض فيما هناك "[3].

ولذا فإن اهتمام الكتاب والعلماء المتزايد بجوانب المعرفة، يعود إلى ولوعهم بالعلم والمعرفة. ومن حيث استخلاص العبر والدروس من الأحداث التاريخية. ومن ثم فإننا نجد أبو راس من بين العلماء والكتاب الذين أرخوا لمدينة وهران وللأمم التي تداولت عليها، والأحداث التاريخية التي وقعت بها[4]، وكذلك لتاريخ بعض الدول الأخرى، كتاريخ الدولة الفاطمية بالجزائر[5]، والمغرب الأقصى وطرابلس وغيرها[6].

وهناك من كان يعنى بنسب القبائل والتاريخ لها، وبنسب البربر ومساكنهم والتعريف بزعمائهم وملوكهم والدور الذي لعبوه عبر التاريخ إلى غاية سقوط دولهم وإماراتهم[7] من بينهم أبو راس. ومما يؤكد هذه العناية الفائقة بالتاريخ الإقليمي(المحلي) وتاريخ الدول، هو أن كثيرا من كتاب ومؤرخي تلك الفترة كانوا يحثون على الكتابة فيه[8]. وقد كان بعض العلماء ببايلك الغرب يسجلون رحلاتهم إلى المشرق العربي في مواسم الحج وما يحدث لهم. وكذا انطباعاتهم والمناقشات

(1) في نسخة الشيخ محمودي البشير مبتورة الأخير، كتب العبارة " أمراه شيئا " على خلاف النسخ الأخرى.

(2) في النسخة المبتورة الآخر، بزيادة الألف واللام.

(3) أبو راس، عجائب الأسفار، ص: 02.

(4) نفسه، ص ص: 31 - 32.

(5) المصدر نفسه، ص: 23.

(6) المصدر نفسه، ص ص: 47 - 48.

(7) أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص: 436 - 437.

(8) الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص: 140.

التي كانت تدور بينهم وبين العلماء هناك[1].

حياته وثقافته:

تعد الراشدية موطن العلماء والفقهاء والمؤرخين، وأبو راس الناصر واحد منهم، نبغ في شتى مجالات العلوم الشرعية واللغوية، فضلا عن اهتماماته الواسعة في ميدان الدراسات التاريخية بقسميها المحلية والعامة. وبحكم البيئة التي عاش فيها أبو راس، فإنه استطاع أن يفرض نفسه وينافس علماء عصره آنذاك. فقد شغل أبو راس مناصب عدة، كان لها تأثير كبير على حياته العلمية وتكوينه الثقافي بشكل عام.

لقد استطاع الشيخ أبو راس أن يكون سندا قويا يعتمد عليه خصوصا، فيما يتعلق بالكتابات التاريخية التي أثراها بآرائه، وانتقاداته التي يستشعر الباحث من خلالها أن الشيخ على دراية كبيرة من التحليل اللغوي والأدبي والتاريخي على وجه الخصوص. فكانت حياته مليئة بالعلم والمعرفة تتخللها مناظرات ونقاشات مع سائر علماء الأمصار. رغم الظروف الاجتماعية السيئة، وذوقه لمرارة العيش وحياة اليتم، غير أنها كانت ربما أسبابا محفّزة له، لمواصلة مجال المعرفة وتصدر أعلى المراتب فيما بعد.

1 - مولده:

ولد أبو راس محمد بن أحمد بن الناصر[2] الراشدي، عام

(1) وقد سجلها أبو راس في كتابه المسمى (عجائب الأسفار ولطائف الأخبار)، وبعضهم يسميها الرحلة وبعضهم يرى أن فتح الإله هو الرحلة، لكنها في الحقيقة ليست بالرحلة وإنما الرحلة الحقيقية هي التي كانت موجودة نسخة منها بالمكتبة الوطنية الجزائرية، في الخمسينات بدليل شهادة المهدي البوعبدلي. وثيقة للمهدي البوعبدلي، بحوزة الشيخ أبو عبد الله شراك، الورقة: 1.

(2) نسبة إلى جدهم الناصر بن عبد الحق بن عبد الرزاق الذي ينتهي إلى إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. انظر: مخطوط الأنساب من المغرب والمشرق العربيين، مكتبة المتحف البلدي - الشهيد زبانة - بوهران. لقد أثبتنا لفظ " الناصر" في جل =

(1150هـ - 1737م[1]، بقلعة بني راشد[2] قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري بين جبل كر سوط[3] وهونت[4]، في منتصف القرن الثاني عشر للهجرة، وفي هذا يقول أبو

=

مؤلفاته، على خلاف من ينسبه بالناصري نسبة إلى قبيلة النواصر ونسبهم كما تقدم ذكره.

(1) بعد تصفحنا لجل المصادر العربية والمراجع الأجنبية، تبين لنا أن هذا التاريخ هو الصحيح والمتفق عليه حول مولد أبي راس إلا في ثلاثة مقالات فإنها تذكر تاريخا مختلفا تماما عن التاريخ السابق وتكاد تتفق عليه، وهو الثامن من صفر خمس وستون ومائة وألف هجرية (08 صفر 1155هـ/ أفريل 1755م) انظر: Ould Aboucha, "Abou Ras Annaciri, Historien", Algerie Actualite. 1975, N 484 - 02 - 01 .oran, P: 15. وهناك تاريخ آخر: 1165هـ/1756م، مجلة الراشدية، عدد: 0 ماي 1995، ص: 13.

(2) تنسب إلى: "أولاد راشد بن محمد من بطون مغراوة، وهذا راشد أخ يادين، وأعطاه الله إثنا عشر ولدا، ثم كثر نسلهم وامتدت فروعهم وظهرت نجابتهم في الحروب، وحدّت شوكتهم، وترادفت بهم أعداؤهم الكروب وامتلأت الصدور منهم رعبا، وخافت الناس بأسهم شرقا وغربا، ولما فيهم من الشجاعة والأنجاد". انظر مخطوط ابن عثمان القلعي، تاريخ قلعة بني راشد، ناسخه البشير محمودي، البرج، معسكر نسخ سنة 1373م، ص: 01. وهناك من يقول إن: "مؤسسها راشد بن المرشد القرشي، مولى إدريس الأول، دفين زرهون بالمغرب الأقصى في القرن الثاني للهجرة". انظر: علي حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، ص: 25. والقول الأخير هو امتداد للثاني، باعتبار امتداد فروعهم وتكاثر نسلهم في الشرق والغرب.

(3) كرسوط: هو جبل يقع غرب وادي التاغية بالغرب الجزائري، على بُعد حوالي 08 أو 09 كلم من وادي التاغية، وبالضبط جنوب معسكر، والذي يحتوي على آثار بربرية من بناء ومطامير الحبّ، "وكَرْسُوط بفتح الكاف وسكون الراء وضم السين المهملتين، سمي باسم ساكنه في القديم من الزمان بقي به متعبدا منقطعا بالله تاركا لما لا يعنيه إلى أن مات رحمة الله عليه، وخلّف به أبناء ستة تعرف أسماؤهم الآن في الوقت الحاضر". محمد الراشدي المزيلي، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس لناسخه محمودي البشير، عام 1964م. مخطوط موجود بخزانة سي البشير محمودي، ص: 365.

(4) هونت: جبل يقابل جبل كرسوط المتقدم، وقد حكم هذه المنطقة المرينيين، ويرجع نسبهم إلى ذرية أولاد سيدي عمر، أبو سيدي أحمد بنو مرين، منذ أزيد من سبعة قرون، ويقع غرب كرسوط، وتقام سنويا بهذه المنطقة وليمة تعرف بوليمة سيدي أحمد. حسب رواية أعيان المنطقة.

راس عن مولده: "ولما ولدت بالموضع المار حملتني أمي ووالدي إلى الشيخ الصالح الولي، الذي كاد أن يكون كالشيخ الجيلي[1]، شيخ بعض شيوخي الشيخ ابن موسى اللبوخي[2]... فبارك عليه وأخبرني بغيب خوارق وعادات تكون لي مودات من علم وعمل وصلاح، وغنى وحفظ وإصلاح، وشيخ طلبة، لفيف ودرس وخطابة وقضاء وتصنيف"[3]. ولأبي راس أخوين وأخت، فالأخوين هما: "السيد عبد القادر، والسيد ابن عمر[4]، وهو الأخ الأكبر لأبي راس، وأخت اسمها حليمة ". [5]

ولذا فإن مولد أبي راس يعد بمثابة إشعاع علمي ظهر بمعسكر خصوصا وبالجهة الغربية عموما، إن لم نقل للعالم العربي كله، وهو ما دفع ببعض الباحثين والمؤرخين من أن يفردوا فصولا عن سيرته الذاتية، مثل: محمد بن عبد الكريم الجزائري الذي أقدم على تحقيق واحد من نفائس مخطوطات أبي راس[6] المندسية والنادرة في نفس الوقت. بالإضافة إلى عدة أجانب مثل: الجنرال فوربيقي، والباحث: أرنود الذي ترجم فصولا عن رحلته.

---

(1) هو أبو محمد ب عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوس الحسني المعروف بالجيلاني أوالكيلاني أو الجيلي، وهو أحد كبار الزهاد المتصوفين ومؤسس الطريقة القادرية توفي رحمه الله سنة 561هـ /1166م. أبو راس فتح الإله في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص: 20.

(2) هو أحد صلحاء اليعقوبية من بني يعقوب، والتي تبلغ بطونهم حوالي خمسة عشر بطنا، واليعقوبية قبيلة كبيرة تقع جنوب معسكر، وتمتد جنوبا إلى فرندة وسعيدة. عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان. ط؟ ص: 14.

(3) حبار مختار، السيرة الذاتية لأبي راس الناصر من خلال مخطوطه: "فتح الإله. . . " محاضرة ألقيت في ملتقى أبي راس عام 1997م بمعسكر، ص ص: 01 - 02.

(4) أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص: 19.

(5) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء التاريخ الجزائري، ش ون ت، القسم الأول، ط 2 - 1981، ص: 83. وهنا يثني عليها أخوها أبو راس فيقول: "برّد الله ضريحها وأسكنها من الجنة فسيحها". انظر أبو راس، المصدر السابق، ص: 18.

(6) محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1980، ج7، ص: 2516.

فرغم الاختلافات الطفيفة حول مولد أبي راس وهو ما سلف ذكره إلا أن بعض المؤرخين يجزمون تمام الجزم على أن هذه الشخصية كان لها بالغ الأثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للجهة الغربية وبالأخص فترة الباي محمد بن عثمان الكبير. وقد قيل في وصفه بأنه كان متوسط القامة، نحيف الجسم، أبيض البشرة، خفيف اللحية، صغير العينين طويل الأنف نحيفه، كبير الرأس، ولعل كنيته (أبو راس) قد لصقت به لذلك[1].

ولا زالت ذريته إلى الآن بنواحي غريس وخصوصا بنواحي مستغانم وهؤلاء ينتسبون إلى أبي راس الحفيد (أبو راس المازوني)، قال الشيخ الهاشمي بن بكار مفتي مدينة معسكر: "والشيخ أبو راس فقيه مازونة المشهور هو حفيده (أي حفيد أبي راس الناصر المعسكري) ابن ابنته السيدة زوله وهذا الأخير دفن بمازونة - على خلاف الجد الذي دفن بمعسكر - "[2].

ويضيف الشيخ الهاشمي بن بكار قائلا: "وذكر سيدي الحاج بن علي المقدم التجاني بمدينة معسكر، رحمه الله في رسالة هي موجودة بخزانتي أن كلا من السيد أبي راس المعسكري والسيد أبي راس المازوني كان حاملا لواء الطريقة التجانية يذكر أذكارها وينتفع بأنوارها وأسرارها. وسبب تزويج ابنة السيد أبي راس ابنته بمازونة هو أنه كان يعلن لأهل معسكر بل دروسه أن له ابنته هي في عين الحاجة من يأخذها منه يساعده، ثم بدل العبارة فصار يقول: "من يأخذها منه يعينه، فظن الحاضرون أن بابنته عيبا، ولما حضر تجار مازونة وسمعوا مقالته فخطبوها منه وجاءت لهم بولد أسموه على جده "أبي راس". فكان هذا الأخير آية في العلم والورع والذكر، رحمه الله ورضي عنه[3].

يقول العلامة الصادق ابن الحميسي: "فهذا واجب علينا رثاؤه كعادة من سلف حسب الجهد والمقدور، بنبذة من منظوم ومنثور، رجاء رضاه ورضى أسلافه

(1) ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص: 393 .
(2) الهاشمي بن بكار، مجموع الحسب والنسب والفضائل والأدب، ص: 13.
(3) نفسه، ص: 13.

الأبرار وأن أكون منخرطا في حزبهم الصالح في الدارين بفضل الله العلي الستار"[1].
هذه بعض الأبيات منها:

فيا سفي على الإمام أبي الهدى مفيد طلاب العلم من كل وجهة
فيا سفي على الإمام أبي الوفا مزين دروس العلم الفقه في كل ساعة
فيا سفي على النقي أبي التقى أبي راس المذكور في كل بلدة
فيا سفي على أبي اصفا معظم شرع العلم في كل لحظة
فيا سفي على الريبة مقامه بسعي بليغ بأحكام الشريعة

إنّ الشيخ الحفيد أبي راس يعد بحق خليفة جده أبو راس الناصر، فقد كان آية في العلم كما تقلد منصب الفتوى، وهذا ما تؤكده الوثائق التاريخية المخطوطة التي تحصل عليها الباحث من زاوية مازونة الغنية بالتراث التاريخي لهذه المنطقة ونواحيها.

2 - نسبه:

كان علم النسب للقبائل العربية له منزلة علية ومكان رفيع وجلالة قدر بين العلوم الإنسانية والاجتماعية. وقد كان لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه وأرضاه - الجانب الأوفر والقدح المعلىّ والمقام الرفيع في أنساب العرب. وقد حثّ عليه نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة[2]. ولذا نجد أن تلميذ أبي راس محمد بن علي السنوسي يقول في علم النسب: "فاعلم أنه ورد في علم التاريخ المشتمل على علم الأنساب آثار وآيات وأخبار، مما هو متعارف مشهور، وفي كتبه مدون مسطور"[3].

---

(1) وثيقة استلمت من طرف الأستاذ الدكتور فغرور دحو يوم 2001/03/27 وهي قصيدة رثاء من الشيخ الصادق ابن الحميسي للشيخ الحافظ أبي راس الناصر المازوني حفيد الشيخ أبو راس الناصر.

(2) محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، دار الفكر العربي، مصر، ط2 - 1997، م1، ج1، ص: 23.

(3) محمد بن علي السنوسي الخطابي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطابع دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط - 1388هـ/1968م، ص: 5.

أما فيما يخص نسب أبي راس الناصر، تكاد تتفق حوله جل المصادر العربية والأجنبية. فعند تصفحنا لها تبين لنا أن هناك اتفاق تام بينها. فنسب أبو راس وحتى نتأكد أكثر رجعنا إلى سيرته الذاتية المسماة: "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"[1]. وهي سيرة فريدة من نوعها، إذ قيد فيها حياته بيده، حفاظا على شخصيته، كما اعتمدنا على النسخة المترجمة للّغة الفرنسية، والتي ترجمها الجينرال فوربيقي G. Faure Beguet تحت اسم: " Notice sur Mohammed Abou Rass" إلى جانب بعض كتب النسب المعروفة[2].

فمن نسبه، يقول أبو راس: "فأنا عبد ربي محمد أبو راس ابن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل، وأن هذا النسب متصل إلى عمرو بن إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط، ابن علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[3].

أمّا والده الشيخ أحمد، فكان من القراء الماهرين والأساتذة المشهورين

---

(1) قام بتحقيقه الأستاذ محمد بن عبد الكريم الجزائري بالاعتماد على ثلاثة مخطوطات واضحة الخط سليمة من الأخطاء، أولاها: مخطوطة المرحوم الشيخ عبد الحي الكتاني المغربي، باعتبارها أقدم مخطوطة وأزيدها نصا. وثانيها: مخطوطة الشيخ عبد الرحمن الجيلالي الجزائري. وثالثها: مخطوطة الشيخ أحمد جلول البدوي الجزائري.

(2) ابن عبد الجليل التونسي، الجوهرة الكبرى، مخطوط مصور عند محمودي البشير، البرج، معسكر.

- مؤلف مجهول، الأنساب من المغرب والمشرق العربيين، مخطوط بالمتحف البلدي بوهران تحت رقم AR/136.

- ابن الشارف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول للقاضي حشلاف، المطبعة التونسية، تونس، ط 1929.

(3) سيدي محمد الشريف، روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار، ناسخها محمودي البشير، البرج، معسكر.

حمادوش بن عبد القادر، الدرر في أخبار كتاب السيد الإمام أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا مخطوط مجموع به موجود بخزانة محمودي البشير، البرج، معسكر.

بالصدق والصلاح، ومن حفظة القرآن الكريم وحامليه[1]، "ومن أهل الحزم في الأدب والجد، ويعد من بين الأتقياء الورعين الصالحين"[2]. وأما جده فهو "الشيخ عبد القادر الذي انقادت إليه أزمة ذوي الأقدار والمقادير، فكان بحق أعجوبة زمانه في الولاية والصلاح والفضل الفضيل...، وكان مذهبه في رسم القرآن الكريم على طريقة المشارقة"[3].

وأمّا زوجة جدّه: "السيدة زينب ذات المنصب الأفخم الجليل بنت الشيخ السيد عبد الجليل ذي المزايا العظام والمناقب الجسام"[4]. وجد والده هو: "الشيخ محمد، فقد كان فقيها - بأتم معنى الكلمة - في مجال الفقه والفتوى، ولا سيما في علم الفرائض"[5]. وأما أبوه الزاهد، الشيخ أحمد والذي سمي عليه والد أبو راس وهو مدفون بـ: "ويزغت"[6]، ووالده هو "الشيخ علي الذي كان من خيار العُبّاد وثقات العباد... وضريحه بويزغت، ووالده: ولي الله سيدي عبد العظيم[7]، وضريحه

(1) G .Faure Biguet, op .cit .p: 321.

(2) أبو راس الناصر، المصدر السابق، ص: 26.

(3) معناه: كل محذوف يُثبت، وكل تعويض يترك ويبنى. وهي طريقة بعض القرّاء، على عكس المغاربة فهم يتبعون الرسم العثماني على رواية ورش عن نافع، وقد استعملنا هذا لما كنا طلابا في كتاتيب المنطقة واستعملنا الرسم المغاربي المتعارف عليه، وكان الشيخ لا يثبت المحذوف ولا يترك التعويض والبناء.

(4) أبو راس الناصر، فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، المصدر السابق، ص: 26.

(5) علم الفرائض: جمع فريضة، ولغة: مأخوذة من الفرض بمعنى التقدير، لقول الله تعالى: "... فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح. . . " سورة البقرة، الآية: 237؛ أي قدّرتم، وشرعا: هو النصيب المقدّر للوارث. السيد سابق، فقه السنة، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط 13 - 1997، ج: 3، ص: 345.

(6) ويزغت: إحدى مناطق الوطن الراشدي، تقع في حجر كر سوط شرقا، حوالي ثمانية/ كلم ما بين وادي تاغية وويزغت، وتحيط بها مجموعة من القبائل منها قبائل سيدي عمر وهو جدهم، وقبائل الحشم، وكان بها في الفترة العثمانية حوالي ستون جامعا - حسب شهادة أعيان المنطقة -.

(7) op .cit .p: 323 G .Faure Biguet,

موجود بالمنطقة نفسها، ومن آباء هذا السيد العظيم ولي الله عبد الجليل وضريحه موجود بتربة ويزغت، إلا أنه لم يعرف على حد قول أبي راس[1].

ومن أجداد أبي راس كذلك الشيخ عبد الله الكبير "الذي ظهرت بركاته في كل مكان وضريحه موجود بقواير أزناين"[2]. وفي هذا المقام يذكر أبو راس حكاية طريفة يدعم بها حديثنا، يقول أبو راس: "حكي عن العارف بالله أبي الحسن الشاذلي - رحمه الله -، وأرضاه عنا وعن ذريتنا أنه قال: إن كان الجيلي من قبلي يغترف من بحر واحد - فأنا بفضل الله - أغترف من سبعة أبحر، وبالجملة فإنهم رضي الله عنهم لا تنتهي مراتبهم، ولا تنقضي عجائبهم، ولا يخيَّب سائلهم وطالبهم، إنه محبوبهم وحبهم"[3]. وهذا كناية عن علو همتهم ومراتبهم، ومدى تنافسهم في مجال العلم والمعرفة.

وقد أكّد أبو راس على شرعية نسبه، بانتمائه الحسني، ونسبه النبوي، وارتفاعه إلى البيت الكريم العلوي بقوله: "قد شهد لي بالشرف السنيّ والمنتمى الحسني والنسب النبوي، والبيت الكريم العلوي الشيخان الشامخان الراسخان، الأول: الشيخ المصطفى ابن المختار، والثاني - تلميذه -: الشيخ سيدي عبد القادر ابن السنوسي"[4].

وهذه النقطة مسألة جوهرية لم يتطرق إليها إلا النزر القليل من الباحثين[5]،

---

(1) Ibid, p: 324.

(2) هي عبارة عن أراضي فلاحية بالوطن الراشدي الغريسي، وبالتحديد بين منطقة أفكان وجبل كرسوط بمعسكر بالغرب الجزائري، وهي تربة صالحة بهؤلاء الأولياء والصالحين. - حسب شهادة أعيان المنطقة.

(3) أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، المصدر السابق، ص: 29.

(4) المصدر نفسه، ص: 22.

(5) وأقصد بذلك أبو القاسم سعد الله الوحيد، الذي عالج هذه النقطة الخاصة بنسب أبي راس، فقدم تفسيرات وتوضيحات في هذه المسألة إلى جانب الأستاذ: الطيبي محمد. (طالع أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ج: 2، ص: 362.

هذا يعني أننا ملزمون بضبط نسب أبي راس، وإلا فما سبب هجرته؟ هل بدافع الرغبة العلمية أم الحجازية - الحج -؟ أم أن هناك سببا آخر؟ كل هذه الأسئلة تستوجب توضيحا وتفسيرا وتبيين فحواها إلى القارئ والدارس للتاريخ، والباحث عن الحقيقة التاريخية التي تراودهم في كل زمان ومكان باختصار شديد.

ومن البديهي أن يكون الوطن الراشدي فضاء ثقافيا مزدهرا ومعطاءً أثر بقوة في تاريخ الثقافة الجزائرية"[1]، لا سيما الجهة الغربية منها، وليس بأشمل ما تقدم به أبو راس الناصر[2] فهذه الترجمة تمثل اعترافا بتفرد أبي راس الناصر وبوزنه وتأثيره وأثره. وعليه فإننا أمام عالم لا ريب يمتاز ببعده وفكره الإسلامي، ولا شك أيضا في أهميته كمعلم مجدد في سياق التواصلية الثقافية التقليدية المتأصلة، وكعلم يرشد بأفكاره ويهدي بمواقفه، وغيرته على الوطن والدين.

وما كان ليتأتى هذا لرجل، إلا بعد أن اكتملت فيه أوصاف تجمع بين العلم والشجاعة والنسب. فقد اجتمعت فيه هذه المواصفات فعلا فكان بحق عارف زمانه وفريد عصره. ولقد اهتم أهل غريس بالشرف والنسب وقدّسوه فكان أبو راس واحدا منهم، محاولة منه في إعادة ربط الصلة بالمنابع الثقافية الإسلامية العتيقة، لذا نجده يحيي النسب المحلي؛ أي علم الأنساب الذي أعاد إحياءه ابن خلدون[3]، فهذا

(1) الطيبي محمد، أبو راس الناصر العصر والعصارة، محاضرة ألقيت في ملتقى معسكر الذي خصص لمسيرة أبي راس وأعماله. ص: 02.

(2) وأبلغ مما ورد في كتاب طلوع سعد السعود للمزاري، حين أورد خبر وفاة أبي راس حيث قال فيه بنوع من الرثاء والإجلال بشخصه، حيث قال: "ذو التآليف العديدة والتصانيف الكثيرة المديدة، الشريف الأمجد، العلامة الأفرد، الضابط الجامع، الحافظ الدراكة المانع، المحقق اللافظ أبو راس محمد بن أحمد. . . الناصر، الذي ليس له نظير بالراشدة ولا مثيل ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 1990، ج: 2، ص: 143.

(3) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن. . . بن وائل بن حُجْر، ولد بتونس في رمضان عام 1332هـ في عائلة تفخر بنسبها العربي كما قرأ القرآن الكريم. . . ودرس بعد ذلك العلوم الشرعية من حديث وتفسير، وفقه على المذاهب الأربعة. عاصي حسني، ابن =

التجديد لقضية النسب[1]، ربما يمليه نسبه هو نفسه، ولربما يمليه الخوف من اختلاط الأنساب، وتأثير ذلك عن الترتيبات الاجتماعية وسلم القيم، كما يمليه كذلك ذلك التشبث الواضح الذي نلحظه عند أبي راس بتقاليد العلم الإسلامي العربي، وبحثه ربما عن النهضة والانبعاث من خلال إحياء علوم الدين والعقل والنقل، وتوظيفها لشحذ العزائم وحشد الطلائع لمجابهة المد المسيحي اليهودي المتربص بديار الإسلام[2].

أمّا فيما يخص رحلته، والتي يعتقد بعض الباحثين أنها ليست رحلة حجازية أو علمية بقدر ما هي حتمية اضطرارية، للفرار من نقمة بعض السكان الساخطين عليه لأنه طعن في من ادعى معرفة النسب، وفي من انتسب بلا نسب[3]، وهذه قضية خطيرة تمس بالدرجة الأولى العائلات والأسر القاطنة بالوطن الراشدي، فأبو راس جرّد بعضهم وحلل أصولهم[4].

ومن هنا نجد أن اعتناء أبي راس بالنسب كان لمسألة علمية أمليت عليه، حيث إنه شاهد وسمع الاختلافات السائدة في رفع الأنساب وقلة الاعتناء الواضحة

=

خلدون مؤرخا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1 - 1991، ص ص: 07 - 16.

(1) قضية النسب الشريف تطرق إليها الأستاذ طيب شنتوف بكثير من التوضيح والتحليل، انظر:
Chantouf Taib, Les Sherifismes Dans La Region De Mascara Au Milieu Du XVIII Sciecle .Actes Du 1110 Congres D histoire Et De La Civilisation Du Maghreb TOM 1, ORAN 1983 .p: 185.

(2) الطيبي محمد، العصر والعصارة، ص: 05.

(3) المرجع نفسه، ص: 5.

(4) وهنا يشير الباحث جيلالي جلول: "أنّ أبا راس لما ألّف كتابا في النسب، فإنه حلل فيه أصول أهل الشرف والنسب وجرد بعضهم منه، فقرأه على تلميذه وعند سماع هذا الأخير كتاب شيخه أخذه وغلاه في الماء". وهو ما جلب إليه نقمة السكان كما سلف، ولذا كان لزاما عليه أن يفر، وعند استفسارنا عن اسم هذا التلميذ الذي ضيع هذا الكتاب يضيف الباحث جيلالي جلول قائلا: "حذار، هذا خطير جدا ولا شأن لك به وهذا يجلب لك كثيرا من المتاعب"، ويبقى السؤال مطروحا وغامضا عن سبب إلحاح جيلالي جلول على عدم إعطاء اسم هذا التلميذ، بالرغم من مرور أحقاب من الزمن على هذه الحادثة.

بجدية المسألة. وعليه فإن أبا راس لم يدخل حلبة رواية النسب من باب المشافهة المحلية ولم يهملها، وإنما قصد بذلك إعادة ربط الصلة بالمدون والتدوين[1]. فألف وعلى شاكلة كل من المسعودى وابن خلدون وابن حزم، كتابه: "مروج الذهب في نبذة النسب، ومن إلى الشرف انتهى وذهب"[2]. وهو يقصد بذلك النسب عامة والنسب الشريف خاصة.

ولقد كان أبو راس مولعا بالأنساب، فأكثر من ذكر القبائل ومواطنها وفروعها وأصولها، بل وصل به الأمر أن ألّف كتابا في نسب الجانّ وسمّاه: "تحفة الإخوان في أرهاط وقبائل الجانّ"[3]، مما زجّ بصاحبنا في مواجهات واضحة أولا مع محترفي النسب، وثانيا مع من انتسب بلا نسب كما سبق ذكره.

وفي الاختلافات التي صارت قاعدة، يقول أبو راس الناصر ناعيا قلة الاهتمام الجاد بالأنساب، قائلا: "واعلم أن امتياز النسب اندرس في هذا الزمان، فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع فيه اختلاف كثير في الأمة الواحدة، باختلاط الأنساب وتبيان الدعاوى"[4]. ويضيف أبو راس قائلا: "يتعذر معرفة نسب الأشراف في وقتنا - أي الفترة الأخيرة من العهد العثماني - لاندماجهم في البربر والعرب، وقد نرى الكثير من الأشراف لهذا السبب تمادوا - رضي الله عنهم - على إخفاء نسبهم إلى أن ظهرت الدولة المرينية[5]، رحم الله رجالها فسارت سيرة العدل والإنصاف،

(1) الطيبي محمد، العصر والعصارة، ص: 05.

(2) ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، ج: 2، ص: 106.

(3) يحيى بوعزيز، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصر، المجلة التاريخية المغربية، تونس، عدد 53 - 54، سنة 1989م، ص: 245.

(4) مقدمة عجائب الأسفار، ورقة رقم 03. مخطوط المكتبة الوطنية تحت رقم: 3332، ومخطوط سي البشير محمودي.

(5) راجع: ابن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، ج4، ص ص: 3 - 4. راجع: إسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة، المطبعة الملكية، الرباط، ط 2، 1991.

فكانت هي السبب في رجوع الأشراف لمحل سلفهم وظهور نسبهم"[1].

ومن هنا كان هذا الاعتناء واقعا يجسده وفاء أبي راس لفكرته، فهو لا يكاد يكتب كتابا إلا وأظهر فيه حافظته عن الأنساب العربية والبربرية[2]. بعبارة أخرى إنّ أبا راس كان مرجعا في عمليات تحقيق النسب وكشف المركب والمصطنع، فأزعج كما كان متوقعا بعض الأطراف فأزعجوه حيا وميتا[3].

ولذا كان البحث عن مصادر أصول النسب وتفرعها وتواترها يدفعنا أكثر ويشوقنا إلى التمعن في قريحة أبي راس، والتي تفضي إلى نَفَس علمي فياض وحس تنظيري مؤكد، يوحي إلى الدارس مدى اعتماد أبي راس إلى منهج الدقة والتحقيق في تخريج أصول النسب الشريفة وفروعهم.

3 - طلبه للعلم:

لقد عانى أبو راس كثيرا منذ صغره، وهو ما كان حافزا كبيرا في مسيرته العلمية المليئة بالمعاناة والحياة الصعبة بعد فقدان والديه. وكما قال بعض المحللين النفسيين أن هذه المعاناة من فقاد الوالدين أو أحدهما أو الفقرمن شأنه تكوين شخصية متكاملة الجوانب لها وزنها العلمي والمعرفي. وللتعرف أكثر على هذه الشخصية الكبيرة، نتناول جزء من حياته معاناته:

نشأته:

عاش أبو راس الناصر حياة اليتم منذ الصغر، فقد والدته زوله وهو صغير بسهل متيجة[4] أين استقرت بها عائلته[5] وهي التي وصفها بقوله: "وهي الصالحة

(1) علي حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، ص: 37.

(2) الطيبي محمد، العصر والعصارة، المرجع السابق، ص: 06.

(3) الطيبي محمد، العصر والعصارة، ص: 06

(4) متيجة: بفتح أوله وكسر ثانيه، وتشديده، ثم باء مثناة من تحت ثم جيم، بلد في أواخر إفريقية من أعمال بني حماد. قال البكري: "الطريق من أشير إلى جزائر بني مزغناي، ومن أشير إلى المدية وهي بلد جليل قديم. . . وهي مدينة على نهر كبير، ولها مزارع ومسارح. ياقوت الحموي، معجم البلدا ن، دار صادر بيروت، لبنان، ط1986، ج5، ص: 53.

(5) محمد سي يوسف، دراسة مخطوط عجائب الأسفار لأبي راس الناصري، مجلة تاريخ

الكاملة التقية، العاملة، أطول النساء يدا وأكملهن هديا وهدى كانت من أجل نساء البدوية، وكان يضرب بها المثل في السخاء والصلاح... "[1] وبعد موتها انتقل به والده إلى منطقة مجاجة[2]، أين اشتغل بتعليم الصبيان وقراءة القرآن. وهناك تزوج من عدة نساء(والد أبي راس)غير أنّ أبا راس لم يرض بوالدته بديلا، فراح ينفر نفورا من زوجات أبيه إلى أن توفي والده وهو في سن الثامنة[3] بمكان يعرف بأم الدروع[4].

وهنا عاش أبو راس فترة اليتم الحقيقي، فلم يجد من يكفله إلا أخاه عبد القادر الذي يكبره بشيء قليل وليس أخوه الأكبر ابن عمر كما أشرنا سابقا. فترعرع بين يدي أحضان أخيه عبد القادر، واخذ منه نصيبا وفيرا من العلم، حيث اصطحبه معه إلى المغرب الأقصى أين حفظ القرآن الكريم وأتقن أحكامه فهما واستيعابا[5]. وهنا يقول أبو راس: "فأخذنا بعد موت أبينا - أي أخوه الأكبر ابن عمر - وانقلب بنا إلى المغرب، فأخي يمشي وأما أنا فيحملني على عاتقه لصغري، فكنا معه في الشرائع، فقرأت القرآن الكريم في حال صغري، ثم قرأت أحكام القرآن وحفظتها على ظهر قلبي"[6] بروايتي ورش وقالون.

=

وحضارة المغرب، ع12، 1974، ص: 135

(1) حبار مختار، المرجع السابق، ص: 01.

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 87.

(3) Ould Aboucha, op .cit, p15

(4) أم الدروع: قرية من قرى مجاجة بنواحي الشلف، وعرفت منذ القديم بالعلم وكثرة العلماء والفقهاء وحاملي كتاب الله ومنها زاوية المجاجي التي كانت مركزا للمجاهدين ضد الكفار وكون العثمانيين كانوا يعظمون المجاجي وسلفه. تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص: 199.

(5) مولاي بلحميسي، أبو راس الناصر، محاضرة ألقيت في ملتقى أبي راس الناصر بمعسكر عام 1997، ص: 01.

(6) أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص: 19.

وبعد عودته من المغرب اتجه إلى معسكر وبالضبط بالقيطنة[1] التي كانت أكبر معهد علمي لدراسة علوم الشريعة بعدها اتجه إلى مازونة[2] والتي كانت هي الأخرى مركزا ثقافيا نشيطا لتحصيل العلوم الدينية والدنيوية وغيرها. فبقي في مازونة طيلة ثلاث سنوات بعدها عاد إلى القيطنة وتتلمذ على يد أحد شيوخها البارزين آنذاك وهو الشيخ عبد القادر المشرفي الذي كانت شهرته العلمية الواسعة تملأ ربوع الوطن داخله وخارجه، ولازمه حتى وفاته عام1778 م[3].

وما يميز حياة أبي راس هو الفقر الدنيوي[4] المادي والغنى العلمي المادي في أواخر حياته[5]. لقد " ذاق أبو راس مرارة الجوع والألم واليتم ومارس الشحاذة ومشى بين الناس حافي القدمين في حدود العاشرة من عمره، عاري البدن، وغسل ثياب غيره، وفلا القمل، وسكن في خيمة شعر، فذاق شظف العيش والجفاف العقلي، حيث قال: "ثم رأيت أن آفات العلم بادية، وتذكرت قول الإمام الشافعي

(1) القيطنة: هي قرية على بعد ثمانية وعشرين كلم من مدينة معسكر، مقر أسرة الأمير عبد القادر، اختطها جده مصطفى ابن المختار سنة 1206هـ، وفيها درس شيخنا أبو راس، وهي اليوم بلدية تابعة لدائرة أبو حنيفية، مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش. و. ن. ت، الجزائر، ط 1979، ص: 3.

(2) مازونة: بلدة قديمة أسسها الرومان، هكذا يقول الأسباني مار مول الذي جال في المغرب خلال القرن السادس عشر ويعتمد في هذا على وجود الآثار الرومانية واللوحات المنقوشة، وتؤكد البحوث الأركيولوجية أن مازونة كانت موجودة في عهد الرومان، على خلاف ابن خلدون الذي يرى أن مازونة أسسها عبد الرحمان رئيس مغراوة في القرن الثاني عشر تقريبا. أما عن الاسم: فقد كثرت الروايات فهناك من يرى أن مازونة تعني أرض الرجال الأقوياء، وهناك من يرى أن مازونة نابعة من موسن بلدة رومانية. هني عبد القادر، مدير إعدادية مازونة القديمة، مازونة، 1983/10/31.

(3) 15 Ould Aboucha, opcit

(4) أبو عمران الشيخ، أبو راس وظروف الحياة، محاضرة ألقيت في ملتقى أبي راس عام1997، ص: 01

(5) بشير بويجرة محمد، التسامي والعبقرية عند أبي راس، قراءة فتح الإله وفق المنهج النفسي، جريدة الجمهورية، عام2001، ص: 04.

- رضي الله عنهما - في وصيته " لا تسكن الريف، فيذهب علمك وتهتك حرمتك"[1]. وهناك تزوج بامرأة من أولاد الشيخ محمد بن يحيى، واستقر بمعسكر ليشق طريقه وسط مؤامرات علماء ضعاف النفوس، يتقاتلون على الفتات، وصادف عهد الباي محمد الكبير الذي انتعشت على عهده الحياة العلمية قليلا، كما حماه وقربه الشيخ عبد القادر المشرفي كما أسلفنا الذكر الذي اكتشف فيه تلميذا ذكيا له حافظة نادرة وتعطش للعلم "[2].

وبناء على المعطيات، فقد أثبتت لنا المصادر أن الطفل " أبا راس" وجد نفسه وجها لوجه مع الحياة ومع الواقع الجزائري الذي كان في هذه الفترة (1737 - 1823م) مليئا بالمآسي والغبن، وبالأخص في المناطق الريفية " ومن هنا تسهل عليه استيعاب الجدلية المحكمة في دواليب الواقع الذي تتحكم فيه ثلاثة عناصر وهي اعتقاد ديني مثالي حتى بات فيه الاعتقاد بالمعجزات لدى بعض الأولياء"[3].

أما العنصر الثاني فهو الإحساس بالعجز وانتشار روح التواكل والابتعاد عن دعائم العلم والمعرفة الصحيحة، والعنصر الثالث يرجع إلى الواقع المعادي المعاش الذي كان كله فقر وغبن واحتياج، ولم يكن هذا العنصر خاصا بالطبقات الاجتماعية على أساس المصالح والانتماءات وهو ما يطلق عليه " بالصراع الاجتماعي الطبقي"[4] بل كانت تلك الأمراض معشعشة حتى داخل الطبقات الفقيرة وبين فئة الطلبة الذي يصف أبو راس حياته معهم، وموقفهم منه حين يقول: "وأسأل لهم من البيوت ما يأكلون، وان عجزت عن السؤال في البيوت بعض الأيام ضربوني، وقد استمريت عشر سنين عريانا، لا لباس لي إلا خرق كالعدم، وما لبست

(1) أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، المصدر السابق، ص: 22.
(2) أبو عمران الشيخ، أبو راس الناصر ورحلته الثقافية، المرجع السابق، ص: 01.
(3) بشير بويجرة محمد، التسامي والعبقرية عند أبي راس، ص: 3.
(4) بشير بويجرة محمد، التسامي والعبقرية عند أبي راس، ص: 02.

نعلا إلى أن قرب صوفي... "[1].

وهكذا تحت تأثير فعاليات الثالوث الوجودي[2] تتلمذ الطفل أبو راس على مقاعد الفعل التجريبي المؤسس على التحصيل وعلى التحدي، وكأنه بذلك قد حذا حذو كثير من العباقرة والعظماء الذين بنيت شخصيتهم بناء قويا منذ الطفولة، وتحت تأثير ظروف مشابهة لتلك الظروف التي نبتت فيها شخصية أبي راس من يتم وغبن وفقر.

ولقد أكد علماء النفس وأصحاب نظريات الإبداع والعبقرية أن لهذه الظاهرة أهمية قصوى، وبخاصة حين اعتبروا أن مرحلة الطفولة المملوءة غبنا وأن موت الأم، وسوء الوضعية الاجتماعية وكذا سوء أخلاق الأب كلها تدخل ضمن البذور الأولى الأساسية للعبقرية والتفوق تارة وهذا ما يهمنا، وإلى القلق والاضطراب والأمراض النفسية تارة أخرى[3]. ومما يدعو إلى الدهشة هو أن أبا راس رغم صغر سنه كان يقرأ ويسلك[4] ألواح الطلبة، لأنه كان حفيظا.

أمام هذه البوتقة الهائلة من المعاناة النفسية، وأمام تلك الاضطرابات الاجتماعية إلا أن هذا لم يمنع من مواصلة أبي راس لمسيرته العلمية والتي لطالما كان يحلم بها بطريقة لاشعورية، وإحساسه الدائم بالغبن دفعه من تحقيق أحلامه وتجسيد طموحاته على أرض الواقع وبالأخص في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير.

لقد كان أبو راس من الذين عانوا وجاهدوا في طلب العلم وتحصيله منذ الصغر. فكانت بدايته بحفظه للقرآن الكريم كله، واستيعاب العلوم العربية

(1) أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص: 1و2، وانظر أبو راس، فتح الإله، المصدر السابق، ص: 19.

(2) بشير بويجرة، المرجع السابق، ص: 02.

(3) بشير بويجرة، معاناة أبي راس الناصر، ص: 02.

(4) معناها تصحيح ألواح الطلبة من وضع علامات الوقف والإمالة وحذف الألف وإثباتها تارة أخرى، وهي طريقة تستعمل في الكتاتيب ومازالت إلى حد الآن، وهذا قصد حفظ كتاب الله على الطريقة الصحيحة دون زيادة أو نقصان.

والإسلامية على علماء وفقهاء عصره[1]، في سن العاشرة[2]، وكانت بدايته من الوطن الغريسي (الراشدي) بمعسكر، أين زاول تعليمه بها، ومما تجدر الإشارة إليه هو أنه ساعدته في ذلك عدة عوامل منها: أسفاره المتعددة (رحلاته) ونهله من شيوخ عدة، إلى جانب تشجيع الباي له، وهناك عوامل ذاتية قائمة بنفسها منها: اهتمامه الشخصي بالكتابات التاريخية والفقهية، وغيرها من تآليفه المتعددة والمتنوعة. وأخيرا حصوله على إجازات مختلفة من علماء أجلاء شهدوا له بحسن الخلق والعلم والسيرة، وعليه يمكننا أن نتطرق لكل نقطة على حدى حتى نفهم مدى حرص أبي راس على طلبه للعلم والانتفاع به وهو ما يجلب له شهرة واسعة فيما بعد.

لقد كان عصر أبي راس الناصر عصر نهاية التآليف والابتعاد عن حياة العلم وحب الاطلاع، بسبب الاضطرابات والفتن الداخلية التي أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على الحياة الثقافية في تلك الفترة، وبالأخص على حياة المجتمع ككل، فكان من الطبيعي أن تتحول اهتمامات الناس من كتاب ومؤرخين وباحثين، وحتى الملوك والسلاطين من حياة العلم المعرفة إلى حياة الجهاد والقضاء على كل ما يزعزع استقرار البلاد.

2 - رحلاته العلمية:

خصص أبو راس الجزء الثاني والثالث من كتابه "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " لرحلاته، وشيوخه الذين أزالوا عنه قشب أوساخه، فالباب الثاني تحدث فيه عن أشياخه وعنونه تحت اسم: (ذكر أشياخي النافضين

(1) يحيى بوعزيز، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصري المعسكري، المجلة التاريخية الغربية، الجمهورية التونسية، السنة السادسة، حتى 1989، عدد 53 - 54، ص: 245.

(2) عبد القادر المستغانمي، مستغانم وأحوالها عبر العصور، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1، 1986، ص: 46.

عني قشب أوساخي شريعة وحقيقة وقرآنا وطريقة...)[1]، أما الباب الثاني فتعرض فيه إلى رحلاته وعنونه تحت اسم: (رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما ولقاء العلماء الأعلام وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام...)[2]، وما يهمنا هنا هو رحلاته والعراق العلمية التي امتدت عبر الجزائر والمغرب وتونس ومصر والشام والحجاز...، والتي التقى خلالها مع أكابر العلماء والفقهاء وهي مرحلة علم واستطلاع لأخذ العلم من هؤلاء وجاد لهم وأعطاهم.

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقسم رحلة أبي راس إلى قسمين: رحلات علمية داخل الجزائر وأخرى خارجها، حتى نفهم مدى عمق هذه الرحلات كالعلمية في حياة أبي راس العلمية.

فمن رحلاته العلمية داخل الجزائر حاضرة معسكر، باعتبارها المسيرة العلمية الأولى على يد عالمها الجليل آنذاك عبد القادر المشرفي، الذي درس عليه أبو راس ألفية ابن مالك على شرح المكودي، والتي جعل عليها حاشيتين، صغرى وكبرى، كما قام بإنجاز تأليف عند إتمام الدراسة، والذي يعرف في عصرنا الحالي برسالة التخرج، وكان مؤطره في ذلك دائما الشيخ المشرفي الذي كانت شهرته العلمية واسعة النطاق في ذلك العصر.

ثم انتقل أبو راس بعدها إلى القيطنة[3] لمزاولة تعليمه ثم إلى البرج[4]،

---

(1) محمد عبد الوهاب، أبو راس الناصري من خلال بعض مؤلفاته، محاضرة ألقيت في ملتقى أبي راس بمعسكر عام: 1996م، ص: 06.

(2) أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، المصدر السابق، ص: 91.

(3) القيطنة: هي قرية على بعد 28كم من مدينة معسكر، مقر أسرة الأمير عبد القادر، اختطها جده مصطفى بلمختار سنة 1206هـ، وفيها درس شيخنا أبو راس، وهي اليوم بلدية تابعة لدائرة أبو حنيفية. انظر: مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش. و. ن. ت، الجزائر، ط 1979.

(4) البرج: قرية صغيرة تقع شمال شرق معسكرعلى بعد 24 كم، وحولي 15 كم شمال تيغنيف، وكانت تعرف من قبل ببرج عياش، ثم أصبحت تعرف فيما بعد ببرج المخفي، نسبة إلى قدور بلمخفي الرجل الذي قطنها في عهد الأتراك. انظر: Notice sur el - bordj, .raoul .P depuis la derniere periode de loccupation turque jusqua nos jours, 1899, pp: 17 - =

وبعدها إلى غليزان[1] ومن ثمَّ انصرف إلى مازونة والتي كان صيتها يجول في تلك الفترة ومكث حوالي ثلاثة سنوات حيث وصلها أول صومه، فقال: "ثم سافرت أول صومي (بمازونة)...، فلقيت على صغري مشقة المشي، لكن ذلك شأن أهل السفر للعلم"[2]. ليرجع بعدها إلى معسكر ويشمر عن ساعديه للتدريس، ثم طابت نفسه للرحيل إلى الجزائر العاصمة سنة 1789م[3]، تعرف خلاله بعدة علماء وشعراء وكتاب، والتقى بمفتيها الشيخ محمد بن جعدون[4]، وكذلك فقيهها الشيخ محمد بن مالك وتناقشا وتجادلا حتى الفجر وهو ما يرويه عن نفسه حيث يقول: "... فضيفني وجمع العلماء عليّ، وتمادوا وسألوني أسئلة صعاب عظيمة فتفاوضنا فيها مفاوضة كبيرة إلى قرب الفجر"[5]. كما نزل بقسنطينة والتقى بعالمها عبد الكريم محمد الفكون[6]، هذا بالنسبة لرحلة أبي راس داخل الجزائر وأهم المدن التي زارها.

أما بالنسبة للرحلة العلمية خارج الجزائر فهي تكتسي بالتنوع والأهمية البالغة في تكوين أبي راس وتوجهه العلمي المحض .فكانت البداية من فاس، وهي رحلات متواصلة لطلب العلم والمعرفة، وكان ذلك عام 1801م[7].

=

171. وكذلك محمد الصغير، ظهور سعود الدراري في أخبار المرحومين قدور بلمخفي والحاج محمد المزاري، مخطوط بحوزة الشيخ محمودي البشير.

(1) غليزان: مدينة داخلية وفلاحية في نفس الوقت بسبب وفرة مياهها التي منبعها وادي مينا، لها سوق أسبوعي يوم الخميس...، وهي بمحاذاة كل من: ماونة ومستغانم وقلعة بني راشد.

Richard et J .dalbomme, les guides bleus, Librairie nachatte Tunis, Paris .1930 .p94

(2) أبو راس، فتح الإله، المصدر السابق، ص: 20.

(3) Algerie Actualite, op .sit .p: 15.

(4) انظر ترجمته في شيوخ أبي راس.

(5) أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص: 121.

(6) انظر ترجمته في شيوخ أبي راس.

(7) Algerie Actualite, op .sit .p: 15..

ولقد حج شيخنا مرتين أولاهما(•) كانت في سنة 1204هـ/1790م وبعد أكبر رحلة قام بها أبو راس التقى خلالها بشعراء وكتاب وعلماء أفادوه كثيرا. فالتقى بعلماء الجزائر قسنطينة تونس مصر الحرمين الشريفين والشام، ومن جملة الذين التقى بهم، وخصهم بالذكر، والثناء: شيخه أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي وقال في لقائه معه: "ثم دخلنا مصر فلقيت منيتي وغاية مطلبي وبغيتي، شيخنا أبو الفيض المرتضى تغمده الله برحمته، قرأت عليه أوائل عدة علوم وأجازني بالباقي"[1].

وأثناء عودته من الحج عام 1205هـ سمع وهو في تونس بالحرب بين المسلمين والأسبان بسبب وهران، فأسرع بالعودة ومساندة إخوانه في الجهاد، وحينها شرع في تأليف كتابه الموسوم بـ"عجائب لأسفار ولطائف الأخيار". والذي فرغ منه في السنة الموالية، أي في عام 1206هـ وقد أشار إلى هذه الحرب في قصيدته التي يقول فيها:

أخبارها طارت في الأرض قاطبة لاقنا في روجات من وراء قابس[2]

وعند رجوعه من الحج تقلد وظائف الفتوى والقضاء والخطابة. لكنه سرعان ما عزل منها عام 1211هـ. [3]. وقد خصص هذه الأحداث - درقاوة -

(•) في هذه الحجة حج أبو راس على بغلته الحمراء، وعندما أراد أن يدخل من باب السلام ويأتي بطواف القدوم قال له ولد أطوف بك، فقال أبو راس لست بحاجة إليك، فأصر الولد وقال له: "أطوف بك ولو كنت أبا راس المعسكري"، فقال أنا أبو راس فطاف الولد بالشيخ. بوعمران بهلول، لقاءيوم 2002/01/13. بمعسكر.

(1) أبو راس الناصر، عجائب الأسفار، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 1633، ص: 15.

(2) أبو راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط المكتبة الوطنية رقم: 1632، ص: 37.

(3) لمعرفة هذه الأسباب، اعتمدنا على قول الباحث والعالم الجليل المهدي البوعبدلي رحمه الله في مقدمة كتاب - الثغر الجماني - حين يقول: "وقد جرت ثورة درقاوة على الحكم التركي بالجزائر ويلات، ولصبغتها بالصبغة الدينية صار الأتراك يكيلون التهم لجميع رؤساء الدين...، لا فرق بين المنتسبين لدرقاوة أو لغيرها من الطرق الدينية الأخرى، ولم ينج من هذه التهم حتى الموالون للأتراك مثل العالم السلفي المؤرخ أبو راس الناصر، فأصابته بعض شظايا هذه التهم وعزل من مناصبه الرسمية. " أحمد بن سحنون الراشدين الثغر الجماني في

بكتاب سماه: "درء الشقاوة في فتنة درقاوة ". وأشار إلى ما أصابه في هذه الحادثة في رحلته فقال: "ثم عمتنا فتنة درقاوة، فاتصلت علينا أواصر النكبات والبليات من الخوف والجوع والروع الذي في الفؤاد مودوع"[1].

وأثناء رحلة الحج هذه وبالضبط بأم القرى، اجتمع بعلمائها وفقهائها واستفاد منهم وناظرهم في بعض الأحيان. بعدها توجه إلى المغرب ووفد على السلطان مولاي سليمان[2] والتقى بعلمائها وفقهائها، وهناك حضر تشييع جنازة العالم الكبير الشيخ الطيب بن كيران[3]، ويصف لنا شيخنا أبو راس ذلك المشهد فيقول: "ولما توفي رحمه الله اهتزت لموته فاس، وحزن لموته كل الناس، وصاروا يرثونه ويمدحونه... "[4]. وكانت رحلة الحج الشيخ الثانية عام 1226هـ/1872م ولم يعد إلا في السنة الموالية، وهي رحلة ثانية إلى المشرق العربي ومما لا شك فيه أن هذه الحجة قد عادت عليه بالفائدة العلمية الكبيرة بعد أن أفنى من عمره عشرين سنة بعيدا عن الاتصال بالعلماء المشارقة، بما فيهم علماء تونس ومصر فكانت مهد نزوله ومهبط علمه مدينة طيبة - مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - التي قال في شأنها: "ثم رحلت لطيبة بعد هذه الغيبة، وهي المدينة المشرفة على من تشرفت به أفضل الصلاة والسلام، فيا حبذا بمهبط الوحي ونزول

=

ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1973، ص: 46.

(1) محمد سي يوسف، دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، لأبي راس الناصر، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد 2، ط 1986، ص: 136.

(2) هو أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي سلطان المغرب الأقصى، بويع بفاس سنة 1206هـ/1797م، وتوفي بمراكش سنة 1231هـ/1816م. فتح الإله، المصدر السابق، ص: 37.

(3) هو أبو عبد الله الطيب بن محمد بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كران، كان احد أعلام زمانه في الحفظ والتحصيل والإتقان، له مؤلفات عديدة في مختلف الفنون، توفي سنة 1227هـ/1812م. المصدر نفسه، ص: 125.

(4) Algerie Actualite, op .cit .p: 15

جبريل عليه السلام وتشريع الأحكام من حلال وحرام ونعم المهاد والجيوش والسرايا للجهاد، وضريح سيد المرسلين والكونين والثقلين والفريقين من عرب وعجم"[1].

كما التقى خلالها بعلماء أجلاء من مختلف الأمصار والبقاع، وزار أيضا قبر النبي الشريف وصاحبيه أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وأهل البقيع من الصحابة رضوان الله عنهم. وكانت له أبحاث ومناظرات متكررة مع علماء عدة، بعدها رحل إلى الشام وتكلم مع علمائها في مسائل متعددة منها مسألة الحبس ليدخل بعدها الرملة[2] والتقى بمفتيها وعالمها فغزة حيث فاتح أهلها وناظرهم في مسائل العلم المختلفة.

لقد كان لهذه الرحلات ولأسفار، أثر بارز في تكوين شخصية أبي راس العلمية، مما جعلته يتعرف على علماء، وفقهاء، ويجري معهم مناظرات مختلفة كان لها وقع كبير على إنتاج أبي راس المتنوع.

4 - شيوخه وإجازاته:

إنّ شخصية أبي راس شخصية فذة تعتز بها الدولة الجزائرية على وجه العموم والجهة الغربية من البلاد على وجه الخصوص، لما تمتاز به من دقة وتحريات للتواريخ الهامة ولا سيما فترة التواجد العثماني بالجزائر من جهة وصراعها مع الأسبان من جهة أخرى ومما لا شك فيه فإن هذه الشخصية الكبيرة في أذهان المؤرخين والباحثين، والصغيرة بالنسبة للمنكرين والغير المبالين.

فإنّ أبا راس كسابقيه من العلماء تتلمذ على يد عدة شيوخ كان لهم الفضل الكبير في بروز شخصية فريدة من نوعها استطاعت بذكائها وكتاباتها التاريخية أن

(1) أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص: 119.

(2) الرملة: مدينة عظيمة وكانت قصبتها قد خربت الآن، وكانت رباطا للمسلمين وهي في الإقليم الثالث. . . بناها سليمان بن عبد الملك واستنقذها صلاح الدين من يد الإفرنج سنة 583هـ. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص: 69.

تحظى باهتمام الخلفاء في عصره ثم المؤرخين والباحثين من بعده. وقد أخذ أبو راس العلم على يد مجموعة من الشيوخ والعلماء والفقهاء الأجلاء الذين أثروا في ملكة أبي راس الفكرية والمعرفية، فأجيز وأجاز.

شيوخه:

لعلّ من أبرز الشيوخ والعلماء الذين كانوا مصدر معرفة أبي راس الناصر، والذين كانوا بمثابة الحصن الحصين لتكوين ملكة أبي راس العلمية والمعرفية. هؤلاء العلماء الذين تفانوا في تعليم أبي راس والحرص على تكوين شخصيته. والذي بلغوا حوالي واحد وأربعين عالما، أخذ عنهم فنونا مختلفة[1]. ولعل من أهمهم نذكر منهم على سبيل المثال:

1 - والده الشيخ أحمد بن أحمد: كما تقدم ذكره هو الشيخ احمد بن أحمد ابن الناصر ينتهي نسبه إلى السيدة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم (عبر خمسة عشر جدا)، أخذ عليه - أبو راس - معظم المصحف الشريف بداية من سورة الانفطار "إِذَا السَّمَاءُ انفطرت"[2] إلى غاية الآية: 253 من سورة البقرة والتي مطلعها "تِلْكَ الرُّسُلُ... ". وما شد انتباهي هنا وأنا أتفحص سيرته الذاتية، أن تواجده وسط أسرته القرآنية هو الذي جعله يختصر المراحل الأولى من تعليمه حتى الحروف منها، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب[3].

2 - الشيخ عبد القادر المشرفي: هو الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي الذي كان يدعى بشيخ الجماعة وإمام الراشدية، ولد ونشأ بقرية الكرط قرب ولاية معسكر، تثقف على يد علماء المنطقة وبعدها عين مدرسا بمعهد الشيخ محيي الدين في زاوية القيطنة بوادي الحمام مدة من الزمن، وقد شارك في مقاومة نصارى

(1) راجع: جورج دولفان، القول الأحوط في علماء المغرب الأوسط، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 3026، ص ص: 18 - 19.

(2) الانفطار: 01.

(3) أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص: 42.

الإسبان بوهران[1]، وألف رسالة شهيرة كما عدد وندد بالقبائل المتعاونة معهم، توفي رحمه الله سنة 1192هـ/1778م بضواحي معسكر.

3 - الشيخ السيد العربي بن نافلة: هو الشيخ العربي بن نافلة الذي أفنى عمره بين تلاوة القرآن ودراسة العلم[2]، صاحب الأصول والفروع، حافظ المعاني شيخنا سيدي خليل بن إسحاق المالكي، قرأ عليه المختصر ثلاث ختمات في ثلاث سنوات كما درس شيخنا على يد ابنه السيد أحمد بن نافلة، فكان هذا الأخير يفهمه كل ما أشكل عليه من فهمه في مجلس أبيه[3].

4 - الشيخ محمد الصادق بن أغغول: كان من أجلاء أشياخ شيخنا، خبيرا بعلم الشريعة جامع بين العلم والدين، صاحب مدرسة مازونة الشهيرة، يقول عنه أبو راس: "انتهت إليه رئاسة التدريس، وشدت إليه الرحال من زواوة وغريس". كان جامعا للفنون وعلومها، وبارعا في معرفة الحديث على أهله منفردا بهذا الفن النفيس في زمانه.

5 - الشيخ محمد بن جعدون قاضي مدينة الجزائر: هو شيخ الجماعة بالجزائر ابن عبد الله محمد، يقول عبد الحي: "وقفت على إجازة الشمس الحنفي له بالطريقة بتاريخ 1171م، وثبت نسبه له الشيخ السنوسي"[4].

6 - الشيخ القاضي عبد الرحمن التلمساني: هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن التلمساني القاضي من نسل عالم المذاهب الأربعة الشيخ أحمد بن الحاج المانوي، رحل إلى مصر أخذ عن الستمان ومحمود الكردي.

7 - الشيخ المفتي أحمد بن عمار: هو الشيخ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري، اشتغل بالحديث والتاريخ، ولد ونشأ بمدينة

(1) فهرس الفهارس، المصدر السابق، ج2، ص: 577. يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ص: 231.

(2) فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ومنته، المصدر السابق، ص: 44.

(3) عبد الوهاب، المرجع السابق: ص: 45.

(4) محمد عبد الوهاب، أبو راس الناصر، ص: 04.

الجزائر وولي الإفتاء بها، له الرحلة الحجازية وغيرها من المؤلفات[1].

8 - الشيخ محمد بن قاسم: هو شيخنا الداركة المشارك الفهامة البركة الماجد ابن الأمجاد أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الحفيظ بن هاشم القادري الحسني الفاسي[2].

9 - الشيخ محمد الأمير: هو شيخ الشيوخ، علامة الديار المصرية أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير المالكي المغربي الأصل المصري الدار الأزهري، المتوفى سنة 1232هـ والمولود سنة 1154هـ وأجازه عدة مشايخة[3].

10 - الشيخ علي الأمين الجزائري: هو الشيخ علي بن عبد القادر بن عبد الرحمن بن علي الجزائري الدار، توفي سنة 1236هـ بالجزائر مفتي المالكية بها ومسندها ومجدد رونق العلم بها، وطلب العلم في مصر[4].

11 - الشيخ المرتضى الزبيدي: هو الشيخ مرتضى بن محمد بن عبد الرزاق الحسني الأموي الزبيدي النسب المكنى بأبي الفيض وبأبي الوقت، الملقب بمرتضى بن محمد بن أبي الغلام محمد ابن القطب أبي عبد الله محمد ابن الولي الصالح الخطيب أبي الضياء، ولد سنة 1145هـ بالحرم، حج مرتين وأخذ عن نحو ثلاثمائة شيخ[5].

12 - الشيخ العربي الشرقاوي: هو الشيخ العربي بن ولي الله المعطي بن صالح بن معطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن الشيخ الشرفي البجعدي توفي سنة 1234هـ كان والده عارفا كبيرا في المغرب أخذ عدة إجازات من مشايخ كثيرين[6].

---

(1) معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص: 31.

(2) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، المصدر السابق، ج2، ص: 430.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص: 133. الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ص: 365.

(4) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، المصدر السابق، ج2، ص: 784.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص: 526.

(6) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 778.

13 - الشيخ ابن قيزان: هو العربي بن هاشمي العزوزي الزرهوني الفاسي دفين الصويرة عام 1260هـ عن نيف وستين العلامة قاضي فاس ومفتيها، شارح المرشد أخذ عن محمد العربي القسنطيني وابن عبد السلام[1].

14 - الشيخ عبد الغني مفتي الشافعية: هو الشيخ العارف بركة الشام وعارفها وعالمها المتوفى بدمشق سنة 1143هـ عن نحو تسعين عاما، له فهارس وإجازات[2].

15 - الشيخ محمد ابن الفكون: هو الشيخ عبد الكريم محمد بن عبد الكريم الفكون، أديب نحوي محدث، جمع بين علمي الظاهر والباطن، كان عالم المغرب الأوسط في عصره، توفي بقسنطينة بالطاعون، له شرح على التعريف في علم التصريف للمكودي، فرغ منه سنة 1048هـ[3]. أخذ عنه أبو راس أصول النحو والصرف.

16 - الشيخ ابن علي المغيلي: هو الشيخ الصادق ابن علي المغيلي المازوني عالم وقاض، من فقهاء المالكية، من أهل مازونة، تعلم بها وبمعسكر. أخذ عنه أبو راس الفقه ومبادئ التوحيد[4].

17 - الشيخ محمد بيرم: هو الشيخ محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرم الحنفي التونسي، أقام بها مفتيا خمسا وأربعين سنة، من مؤلفاته "اختصار أنفع الوسائل في تحرير أنفع المسائل" للطوسي في الفقه الحنفي، و"رسالة السياسات الشرعية". توفي عام (1214هـ/1800م)[5]. أخذ عنه أبي راس علم الفقه والتوحيد ومبادئ اللغة.

18 - الشيخ مصطفى بن ويس: هو الحسن بن محمد بن محمد بن

(1) المصدر نفسه، ج2، ص: 781.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص: 756.

(3) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص: 97.

(4) المصدر نفسه، ص: 270

(5) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 242.

مصطفى بن ويس المازوني، من كبار علماء مازونة في وقته، فقيه حنفي، من تآليفه "تحفة الملوك في حصر أصول الإرث المتروك، ومنهاج السلوك". [1] أخذ عنه أبو راس العلم الشرعي من فقه وحديث.

إلى جانب هؤلاء الشيوخ، فهناك شيوخ آخرون، [2] حيث بلغ تعداد الجميع ما يقارب "خمسين شيخا وعالما وحدد فضائلهم ودرجاتهم وهؤلاء تتلمذ بعضهم في معسكر وفي مازونة، كما تتلمذ على آخرين في المغرب والجزائر العاصمة وقسنطينة وتونس، كما أخذ عن علماء مصر والحرمين"[3]. هذا تقريبا عن أهم الشيوخ الذين درس أو قرأ عنهم أبو راس، وهناك من حضر مجالسهم مرة أو مرتين وهناك من لازمهم إلى أن نضج عقله واكتمل تصوره للمعقولات وحرصه على المنقولات.

2 - إجازاته:

يعتبر أبو راس شيخ مؤرخي الجزائر العثمانية، اشتهر باطلاعه الواسع ومعرفته العميقة للعلوم اللغوية والأدبية والفقهية[4] فقد أهلته ثقافته الواسعة

(1) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 280

(2) نذكر منهم: الشيخ محمد بن لبنة، الشيخ البشير بن محمد، الشيخ المنصور الضرير، الشيخ أحمد بن نافلة، الشيخ السيد كاميل، الشيخ محمد بن عبد القادر القاضي، الشيخ محمد أبو طالب، الشيخ أحمد بن عبد الحليم، الشيخ أحمد بن عبد الله الوسي المغربي، الشيخ عبد الرحمن التادلي، الشيخ عصمان الشامي، الشيخ عبد الملك الشامي القلعي. الشيخ عبد الباقي المفتي الحنبلي، الشيخ محمد بن مولاي سحنون، الشيخ مصطفى بن هني، الشيخ محمد بن إبراهيم، الشيخ مصطفى بن يونس، الشيخ البدالي، الشيخ سيدي عثمان الحنبلي، الشيخ عمارة العلاف الينبعي، الشيخ الزناتي، الشيخ سيدي حامد، الشيخ السيد الحسن المغربي، الشيخ عبد القادر ابن السنوسي، الشيخ المسيري من الاسكندرية، الشيخ محمد ابن الحفاف، الشيخ محمد بن الشاهد. انظر أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته.

(3) مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص: 01.

(4) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص: 247.

ومطالعته المتبحرة، واتصاله بالعلماء وحرصه على حفظ العلوم وكذا حافظته القوية من استقطاب الفنون والعلوم، فأصبح يعرف، ويلقب في أنحاء المعمورة بحافظ المغرب الأوسط ومشكاة[1] العلم ونوره في ذلك العصر، ولا تزال مخطوطاته شاهدة عيان على ذلك.

وإذا كانت الإجازة عبارة عن "شهادة كفاءة" أو تأهيل يستحق بها المجاز لقب الشيخ، أو الأستاذ في العلوم المجاز بها، فإنها بتقادم العهد أصبحت لا تغني كل هذا نظرا لتساهل المجيزين في منحها[2]. ولم يعد تحقق المجازين في كفاءتهم ودرايتهم بالعلوم، ولا من أخلاقهم وسلوكهم[3]، ومن الذين أجازوا أبا راس في مختلف الفنون: كصحيح البخاري، والجامع الصغير، والأسانيد، والفتوى، ومختصر خليل وحاشية البناني، الشيخ مرتضى الزبيدي الذي كان له "أثر بالغ على علماء الجزائر بطريق الإجازة، فهو من الذين اشتهروا بالتبحر في العلوم والتأليف فيها، ونشر الإجازة بين المعاصرين"[4].

ونصّ الإجازة الممنوحة له في صحيح البخاري كالتالي: "يروي الشيخ أبو راس عن السيد المرتضى عن الشيخ الحفني وهو العلامة الفاضل العارف بالله الكامل الشيخ محمد بن سالم بن أحمدالحفني المصري إمام الأبهة وريس الطريقة الخلوتية، والحفني يروي عن الزيادي والبديري المعروف بابن الميت والسيد مصطفى البكري ومحمد السلماني المغربي، والشيخ العزيزي والعشماوي والشبراوي والشيخ احمد الجوهري وغيرهم وهو أي الحفني يروي البخاري مسلسلا بأهل مصر بطرق تفوت العشر، من أجلّها روايته عن شيخه الزيادي عن الباقلي عن السنهوري عن الغيطي عن زكرياء الأنصاري عن أبي حجر عن العراقي عن أبي علي شاهد الجيش عن عثمان بن رشيق عن هبة الله البصير عن محمد بن

(1) 45 G .faure biguet, op .cit, p: 3

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص: 53.

(3) المرجع نفسه، ص: 41.

(4) المرجع نفسه، ص: 53.

هلال السعيدي عن أم الكرام كريمة بنت أحمد الكشهيهني عن الفريري عن البخاري"[1].

أما الإجازة التي منحت له في الجامع الصغير فنصها: "ويروي الشيخ أبو راس الجامع الصغير عن المرتضى عن الحفني عن البديري عن محمد بن القاسم عن عمر موسى عن الشعراني عن السيوطي"[2]. كما" يروي الشيخ أبو راس عن السيد المرتضى وهو عن الشيخ محمد بن محمد الشريف الحسني المعروف بالبليدي الأندلوسي الأصل المولود بمصر قال المرتضى خضت في دروسه الأعواما، ونلت من شهوره الأنعاما وأجازني بكل ما أجيزا. أكرم به من منجد مجيزا، والبليدي يروي عن الفقري وسليمان الشبراخيتي والبشيشي والشيخ منصور المنوني والشيخ محمد الزرقاني شارح الموطأ والمواهب وهو يروي عن والده عبد الباقي الزرقاني شارح خليل وهو عن الأجهوري واللقاني بأسانيدهما المعروفة"[3].

أما الإجازة التالية التي منحت له في إسناد الشيخ خليل يقول صاحب الكوكب الثاقب: "وهاك إسناد خليل فيرويه شيخنا سيدي أبي راس عن والده سيدي محمد بن هني عن الشيخ أبي راس ويرويه شيخنا سيدي محمد بن محمد بن عبد الرحمان عن الخلوي عن الشيخ أبي راس بواسطته وهو عن الأمير الكبير والدرديري وعن أبي القندوز المستغانمي عن الشيخ الدرديري وهما عن العروي وهو عن محمد الصغير عن والده عبد الباقي الزرقاني والشبراخيتي والخرشي عن الأجهوري واللقاني الخ السند المتقدم وبهذا السند نسبه تسند كتب كثيرة تركناها للاختصار"[4].

(1) الشيخ عبد القادر ابن المختار الخطابي الجزائري، الكوكب الثاقب، مخطوط بحوزة الشيخ الإمام أبو عبد الله، إمام بمسجد المدينة الجديدة، وهران، الورقة: 64.

(2) المصدر نفسه، الورقة: 64.

(3) الشيخ عبد القادر ابن المختار الخطابي، الكوكب الثاقب ص: 65.

(4) الشيخ عبد القادر الخطابي، الكوكب الثاقب في أسانيد أبي طالب، ص: 66.

ويروي الشيخ أبو راس كذلك عن السيد المرتضى[1] عن محدث العصر الشيخ محمد ابن الطيب الفاسي اللقتي شارح القاموس وفصيم نظم ابن المرحل فصيح ثعب ذو التآليف المفيدة في الفتوى العديدة قال: "حصرت تقريراته الشهية قطفت من أثماره الزكية أجازني بكل ما يرويه عن كل حبر عالم نبيه وهو يروي عن والده سيدي أحمد بن ناصر الدرعي[2] والشيخ محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي صاحب المنح البادية في الأسانيد العالية والمسناوي وميارة والعجمي"[3].

وكان محمد الأمير قد أجاز أيضا أبا راس[4]، ومن الملاحظ والغريب في

(1) كما ويروي الشيخ أبو راس عن السيد المرتضى عن محمد عبد الله المنور التلمساني وهو يروي عن المسناوي وابن زكون وابن المبارك والحريتشي والبناني الكبير وابن رحمان وميارة والشيخ مصطفى الرماصي والشيخ بن عبد الرحمان صاحب المنح "، ويضيف صاحب الكوكب الثاقب " ويروي الشيخ أبو راس عن الشيخ ابن القندوز المستغانمي وهو يروي عن الشيخ أبي طالب المازوني وكان له اعتناء به عظيم واعتقاد فيه جسيم ويروي أيضا عن التاودي بن سودة والعلامة البناني الفاسيين وسيدي العربي بن السنوسي القيزاني المستغانمي عن الدردير وسيد مرتضى اليمني.

ويروي شيخنا أبي راس عن والده عن جده لأمه سيدي أبي راس ويروي شيخنا سيدي محمد بن عبد الرحمان عن الخلوي عمن أخذ عن الشيخ أبي راس مختصر خليل وحاشية البناني وهو عن الشيخ ابن القندوز عن العلامة البناني وهو عن أبي عبد الله سيدي محمد ابن عبد السلام بناني وهو عن سيدي عبد القادر الفاسي وعن سيدي أحمد ابن الحاج وعن القاضي سيدي أحمد ابن العربي فرحالة المتوفى سنة 1133هـ/1706 م كلهم عن أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي والد الأول وزاد الأخيران بالأخذ عن عبد الله سيدي محمد مبارك المتوفي سنة1072هـ/ 1620م.

(2) توجد لدى الدكتور فغرور دحو نسخة مصورة من رحلة ابن الناصر الدرعي والتي لا تزال مخطوطة، وقد اطلع الباحث عليها، وهي من الحجم المتوسط في حدود أربعمائة صفحة بخط مقروء وواضح.

(3) عبد القادر ابن المختار الخطابي، الكوكب الثاقب، ص: 66.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص: 54.

نفس الوقت أن العلماء الجزائريين لم يجيزوا بعضهم البعض إلا قليلا[1]. "ولطالما جلس علماء الجزائريين لم يجيزوا بعضهم بعضا ومع ذلك لا نكاد نجد أنهم قد منحوا الإجازات لبعضهم"[2]. وهناك مجالس علماء كثيرين كانت عامرة، من بينهم مجالس أبي راس إلا أننا لا نجد إجازات صدرت منهم لتلاميذهم، أو بعبارة أخرى لا تكاد تذكر.

نعرف أنّ أبا راس قد ورد على مدينة الجزائر، وأخذ العلم عن ابن عمار، وغيره فيها، ولكننا لا نعرف أن هناك إجازة من ابن عمار لأبي راس[3]، ويبدو أنّ منح الإجازات لعلماء البلد الواحد لبعضهم البعض لا تكاد تذكر إطلاقا، أي أن الإجازة لا تأتي إلا نتيجة الاغتراب والسفر الطويل، والتتلمذ على غير أهل البلد[4]، وقد كان لعهد الله تأثير كبير على من جاؤوا بعد أبي راس أو الذين تخرجوا على يديه.

5 - المهام التي تقلدها:

بعد لأسفار المتعددة والرحلات الشاقة التي قام بها أبو راس، وأخذه للعلم عن شيوخ أجلاء كان لهم القسط الأكبر في تكوين شخصيته وتشجيع الباي له. وتضافر هذه العوامل كلها زاد من اهتمامه بالتاريخ والكتابات التاريخية المختلفة، لا سيما المعاصرة له، إلى جانب اهتمامه الخاص ومحاولة منه في الرقي إلى درجة العلماء والأساتذة مثل أستاذه عبد القادر المشرفي[5]، الذي تأثر

(1) المرجع نفسه، ص: 44.

(2) المرجع نفسه، ص: 45.

(3) المرجع نفسه، ص: 46

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص ص: 52 - 54.

(5) هو الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي، الذي كان يدعى بشيخ الجماعة وإمام الراشدية، ولد ونشأ بالكرط، قرية قرب معسكر، وتثقف على علماء عصره، وله رسالة مشهورة يندد فيها بالقبائل المتعاونة مع الإسبان سماها، "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر"، توفي بمسقط رأسه سنة 1122هـ. يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ص: 231.

به كثيرا.

وقد كانت بداية أبي راس في مجال التدريس بمعسكر[1]، حيث مارس مهنة التدريس في حدود سنة 1752م[2]، وكانت هذه المبادرة من طرف شيخه عبد القادر المشرفي الذي رشحه ليكون خليفة له في التدريس، وسبب خروجه من معسكر هو إحساسه - إن لم نقل تيقنه - من أن البادية تضعف العلم، وتزرع بين طالبي العلم الجهل والضلال.

لهذا السبب غادرها، فقد كان مجلسه يضم أحيانا أكثر من سبعمائة وثمانين طالبا[3]، وهو ما دفع بالباي محمد بن عثمان الكبير أن يخصص له كرسيا يستعين به على إلقاء دروسه ومحاضراته، نظرا لنحافة جسمه التي لم تكن تسمح له بالظهور من وسط الطلبة بسبب ازدحامهم عليه، ومن ثم سمي الشيخ بـ: صاحب الكرسي الدوار[4]، وأصبح ينوب عنه الشيخ عبد القادر المشرفي في إلقاء الدروس كما تقدم ذكره. وبذلك كفوه حاجاته من قمح وشعير ولحم وزيت ودراهم[5].

كما أسندت لأبي راس مهمة القضاء "وهي وظيفة دينية حسب النظم الإسلامية. حيث إنها لها ارتباطات قوية بالدين وعلومه، وكل من يتولاها في الدول

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ش. و. ن. ت، الجزائر، ط2 - 1989، ج1، ص: 86.

(2) تم تحديد هذه السنة عن طريق إجراء عملية بين سنه في سن العاشرة (1747م) وبين سنه عند بدايته للتدريس أي بإضافة خمس سنوات لهذه السنة، لنحصل على سنة (1752م) وهو ما اتفق عليه الأستاذ ولد عبوشة.

(3) يذكر الأستاذ عبد الوهاب أن اجتماع سبعمائة وثمانون طالبا على أبي راس، إنما هو في الحقيقة يعادل مؤسسة كاملة من ست وعشرين حجرة درس بأساتذتها وإدارتها وميزانيتها التي تفوق مليون سنتيم من مؤسساتنا الحالية. محمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص: 3.

(4) هذه العبارة موجودة حسب قول الأستاذ جيلالي جلول في مخطوط زهرة الشماريخ لأبي راس الناصر، لقاء مع الباحث جيلالي جلول يوم 2002/01/11، بمعسكر.

(5) يحيى بوعزيز، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصر، المرجع السابق، ص: 245.

الإسلامية يكون - حتما - من الفقهاء وعلماء الدين"[1]. وهي ثقيلة على كل عالم زاهد ورع تقي حافظ عدل. ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من تولية هذا المنصب فقال: "من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين"[2]. وهذا تنبيه منه عليه الصلاة والسلام، على ما يدخل فيه من الأمر العظيم. لأن الغالب على عدم السلامة منه، لأنه بلية منه لمن امتحن به ومحنة. [3] فتولاها وهو رافض لها مدة سنتين لأنها كانت تعيقه وتشغله عن حياته العلمية، لأنه كان يختم الشيخ خليل ثمان مرات إلى جانب تصديه للإفتاء أيضا[4].

لكنه سرعان ما عزل من منصبه بسبب ثورة درقاوة ثم إن أبا راس كان يجلس للدرس فيبدأ من باب الاعتكاف[5] ولا يقوم حتى يقف على باب الزكاة تتخللها نكت وطرائف حتى صارت حضرته في العلم: "تذكر في الآفاق وتنسيك دروس مصر والشام وتونس والعراق"[6].

وأبو راس لم يقل هذا اغتباطا ولا مبالغة منه بل هو جدير بذلك، وقد أخذ أبو راس علومه على يد مجموعة من الشيوخ. وقد تحصل الباحث على بعض الوثائق من خزانة الشيخ البشير محمودي، التي تثبت أن أبا راس تولى مهنة القضاء منها وثيقتين مخطوطتين ذو محتوى واحد، اللهم بعض الزيادات تارة وبعض

(1) بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1993، ص: 238.

(2) رواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب من هذا الوجه. السيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1987، ص: 307.

(3) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الافريني المكناسي، كتاب القضاء، مخطوط بحوزتنا، ورقة ظهر، رقم: 242.

(4) الاعتكاف لغة: من الافتعال من عكف على الشيء عكوفا وعكفا، أي قعد وضرب، إذا لازم وواظب عليه، وعكفت الشيء حبسته، وعكفت عن حاجته؛ منعته...، وشرعا: اللبث في المسجد على صفة مخصوصة بنية. الموسوعة الفقهية، طباعة ذات السلاسل، الكويت، ط2 - 1986، ص: 206.

(5) أبو راس الناصر، فتح الإله، ص: 22.

(6) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص: 228.

الحذوفات؛ تارة أخرى لكن بخط نساخ مختلفين، من بين هذه الوثائق، الوثيقة التالية:

" يقول الراجي عفو ربه، المعترف بتقصيره وذنبه، وفضيح عيبه، محمد أبو راس الناصر وفقه الله بمنه، ءامين. [1]

سألني بعض أولي الفروع عن أشياء كثيرة الوقوع
من الذي[2] نصها غالبا قليل أجبته وحسبي الله الوكيل
موضحة الرأس خمسون عسجدا وليس فيما قبلها يا ماجدا
من كل الست[3] عوض مشهور لمالك وصحبه البرور

إنّ هذه الوثيقة التي هي عبارة عن نظم أراد بها الشيخ أبو راس أن يعطي لمحة عن أهمية القضاء والفتوى وهذا بعد مساءلته عن أشياء كثيرة ما كانت تقع في عصره فهي تعتبر مصدرا مهما، في التعرّف على شخصية أبي راس من حيث توليه مهمّة القضاء والفتوى. ويتضح من خلال تحليل محتوى هذه الأبيات، أن الشيخ الناصري ملتزم في فتواه بأصول المذهب المالكي. فهو يرجع إلى ما كتبه الباجي، ابن فرحون، ابن سحنون، ابن عرفة، وغيرهم من أعمدة الفقه المالكي بالمغرب الإسلامي.

إنّ لمكانة الشيخ أبي راس الناصر عند علماء عصره، مكانة عالية لا يضاهيها أحد، خصوصا وأن الشيخ له هيبة بين أوساط مجتمعه، فهو يحظى بأهمية كبيرة عند من يقدر مكانة العلم والعلماء، ومهنة القضاء التي امتهنها أبو راس والتي لم يكن يرغب القيام بها إلا بطلب السلطة التركية منه. والقضاء كما هو معروف مهنة صعبة جليلة، لا يطلبها إلا من كان له علم بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. فأبو راس كان يعلم أن القضاء مهنة تكليف لا تشريف،

(1) توجد في النسخة الثانية بهذا اللفظ: "قال الشيخ العارف بالله المؤسس الناظم السيد أبو راس أدركنا الله، ما درك بفضله".

(2) في النسخة رقم2: "عندي ما نصها".

(3) في النسخة رقم2: من كل السة.

فحرص على تأدية واجبه على أتم وجه، إلى أن جاءت فتنة درقاوة التي بسببها عزل الشيخ من منصبه.

تلامذته وآثاره العلمية:

بحكم ثقافته الموهوبة وهو الذي كان يلقب كما أسلفنا بالحافظ، لا جرم أنه ترك للمجتمع الجزائري المثقف تراثاً غنيا عن التعريف والمتمثل في جملة من التلاميذ درسوا وتعلموا على يد شيخنا سيدي أبا راس ليتحولوا إلى علماء عظام ممتطين بساط شيخهم ومنوهين بعلمه وفضله، وهذا بطبيعة الحال فضل المتعلم على المعلم، ومن جملة هؤلاء التلاميذ نذكر على سبيل المثال لا الحصر طائفة منهم:

1 - الشيخ أبو حامد العربي المشرفي: هو العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي الحسني الغريسي حفيد عبد القادر المشرفي شيخ أبي راس الناصر المعسكري[1] وصاحب الكتيب الموسوم بـ "بهجة الناظر"[2]. ولد العربي المشرفي بغريس بنواحي معسكر.

2 - الشيخ العربي ابن السنوسي: هو محمد العربي ابن السنوسي، كان يدرس القرآن الكريم برواية ورش، وسائر الفنون، أخذ عنه محمد بن علي السنوسي وولده سيدي محمد.

3 - الشيخ محمد السنوسي (1202هـ/1276م): هو أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي مؤسس الطريقة السنوسية، ولد في مستغانم، ونشأ في بيت علم ودين وفضل فدرس علوما متنوعة[3] من بين تآليفه: الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية (مطبوع)، والمسائل العشر

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 175.

(2) عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، بيروت لبنان، بدون تاريخ حوالي (1971م) .

(3) منها علوم الشريعة واللغة والمذاهب الإسلامية، والطرق الصوفية إلى جانب الفلسفة والمنطق وعلوم الفلك، كما تنقل في سائر الأقطار العربية واطلع على الأحوال العامة والخاصة للشعوب الإسلامية.

المسماة: بغية المقاصد وخلاصة المراصد (مطبوع)، والشمس الشارقة في أسماء مشايخ المغاربة والمشارقة[1]. ولذا نجد محمد بن عيسى السنوسي يقول: "... ومنهم شيخنا وشيخ مشيختنا الهمام والحافظ، الإمام سيدي محمد أبو راس (الناصر المعسكري) المعسكري البلد، الناصري المحتد رحمه الله، كنت أتردد إليه"[2].

4 - الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله (ت 1215هـ/ 1800م): هو الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي من شرفاء غريس، وكان كاتبا للباي محمد بن عثمان، ومساعدا لرئيس رباط غيفري للطلبة قرب وهران وشارك بنفسه في الهجوم الشامل وتحرير مدينة وهران التحرير الثاني والنهائي عام 1792م كما عين ابن زرفة قاضيا بها (وهران) إلى غاية (1800 - 1801م)[3].

5 - الشيخ عثمان الموسوي الهزاري(ت1238هـ/): هو أبو عمرو عثمان بن محمود الهزاري نسبا، القادري طريقة، البغدادي منشأ وموطنا، قدم من بغداد واستقر بمدينة تازة المغربية فعرف ب: "التازي"، أجازه أبو راس بثبته "السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى"والمرتضى الزبيدي أيضا من شيوخ أبي عمرو، ولكن أغفل عن ذكره في كتابه: "المعجم المختص"، وممن أخذوا عن أبي عمرو العلامة الصوفي أبو عبد الله محمد الهاشمي ابن الحاج علي بن أحمد الصادقي الرتبي الفاسي، وقد أجازه بسنده، وأسانيده مذكورة في الثبت الذي جمعه تلميذه وسماه: "الفتح الوهبي فيمن أجاز لأخينا الحاج الهاشمي الرتبي" وفي هذا الثبت مجموعة من أسانيد تتصل بأبي راس المعسكري بواسطة تلميذه عثمان بن محمود الموسوي المتوفى سنة 1238هـ. [4]

---

(1) عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1 - 1996، ص: 97.

(2) المرجع نفسه، ص: 47.

(3) يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ص: 233.

(4) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص ص: 151، 272، 511، 540، وج2، ص ص: 622، 920، 1062.

6 - الشيخ عبد القادر بن السنوسي: هو العلامةالسنوسي عبد القادر بن السنوسي[1] بن عبد الله بن دحو بن زرفة، ومما مدح به شيخه أبي راس:

ذاك"أبو راس" ناصر الدين الناصري طلاع الثنايا
إن صعد الكرسي تعرف سموه فاطلبه قبل طلب المنايا
ولا تسر إليه ذا توان كم متوان حرم العنايا
بل لا تسر إليه إلا جدا تفد وتكسي حلل الهنايا
فهو المجدد من غير مين أصلح ما كان من الجنايا
عوضنا الله به السيوطي فاعتدنا منه شيما سنايا

7 - الشيخ ابن القندوز(ت1222هـ): هو الإمام أبو عبد الله محمد ابن القندوز، شيخ الجماعة بالحضرة المستغانمية وأحوازها، أخذ بمصر عن العارف بالله الدرديـر، وكـان يحفـظ شـرح شـيخه علـى المختـصر بلفظـه وحـروفه، كـان ملازمـا لـصحيح البخاري يختمه كل سنة وملازما لتفسير القرآن الكريم بين العشائريختمه كل سنة غالبا ملتزما فيه الجواهر الحسان للثعالبي والجلالين وابن جزي ومراجعة الحازن، وملازما لقراءة علم التوحيد كصغرى السنوسي، وممن أخذ عنه محمد بن علي السنوسي، توفي عن سن عالية سنة 1222هـ[2].

8 - الشيخ ابن تكوك (1218 - 1307هـ/ 1803 - 1890م): هو الشيخ ابن الشارف ابن الجيلالي بن تكوك، فقيه من أنصار الطريقة السنوسية، ولد ببوقيراط بالقرب من مدينة مستغانم، فتعلم بها وهاجر إلى المغرب الأقصى، ثم عاد وأسس زاوية سنوسية سنة 1276هـ - 1861م وتوفي بها[3]، وهي قائمة من إلى حد الآن،

---

(1) المشرفي أبو محمد العربي ابن عبد القادر الحسني، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير، ص: 20.

(2) ابن علي السنوسي، البذور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة، مخطوط المكتبة الوطنية رقم: 3142، ص: 22وما بعدها.

(3) عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1 - 1996، ص: 97.

ومزارا للصوفية وغيرهم.

9 - الشيخ السنوسي: هو الشيخ السنوسي بن السنوسي بن عبد الله بن دحو بن زرفة شقيق الشيخ عبد القادربن السنوسي، وهو شيخ وتلميذ لأبي راس، قال عنه أبو راس: "قد أنجب في العلوم ب: "المغرب الأوسط" مثل ابني الإمام والصفاقصي وأخيه إبراهيم الهمام، كنت قرات عليه المنطق والبيان، وقرا - هو وحده - علي الفقه، و لجلالته وعلو منصبه أفردته عن الطلبة في القراءة لكثرتهم جدا حتى يضيق عنهم الجامع ورحابه. [1]

10 - الشيخ عبد القادر الهزيل: هو محمد بن محمد الهزيل، فهو والد والدي أبو زيد عبد الرحمن التوجيني، يعد من بين التلاميذ الذين درسوا على الشيخ أبي راس الناصر. أخذ عن الشيخ أبو راس مختلف الفنون.

11 - الشيخ محمد بن الخضير: (ت: 1292هـ): هوالمهاجر في سبيل الله سيدي محمد بن الخضير بن علي بن أبي القاسم بن محمد بن ابر اهيم بن محمد بن ميمون، كان من كبار علماء القرويين مشهودا له بالعلم والعلاج، توفي سيدي محمد بن الخضير بمدينة فاس سنة1292هـ، ودفن بجانب قبة سيدي علي ابن حرزهم، خارج باب الفتح.

12 - الشيخ أحمد الدايج: هو العلامة السد الهايج، فريد وقته السيد أحمد الدايج، الملقب بالخرشي الكبير عند أهل الراشدية. أخذ عن الشيخ أبو راس المعقول والمنقول، فهو داهية من وراء العقول. [2]

13 - ابن عبد الله سقاط المشرفي: حفيد الطاهر المشرفي، كان إماما في الفقه والحديث، تولى وظيفة القضاء للأتراك، ووقع على وثيقة مبايعة الأمير عبد القادر أميرا للجهاد، وولاه الأمير خطة القضاء، وعينه عضوا كذلك في مجلس الشورى العالي الأميري. [3]

---

(1) أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص: 73.

(2) لقاء مع الباحث في التراث الثقافي جيلالي جلول يوم: 2002/02/11.

(3) يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ص: 232. المشرفي أبو محمد =

14 - الشيخ ابن شنين: يعد من بين التلاميذ والشيوخ الأجلاء الذين أخذوا على الشيخ أبي راس الناصر، العلوم والمعارف المختلفة، حيث كان قدوة حسنة يقتدى به في المعقول والمنقول.

15 - الشيخ محمد بن يوسف الزياني: هو محمد بن يوسف الزياني من أسرة علمية توارثت القضاء بمنطقة البرج بمعسكر، وهو عم الشيخ أحمد بن يوسف الزياني الذي تولى القضاء بالمنطقة عام 1886م، وصاحب كتاب دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. وهو ناسخ أحد كتب أبي راس افي التاريخ. كان حيا في حدود 1914م، وتوفي حسب اعتقادنا وحسب وثيقة عثر عليها عام 1918م.

مدوناته العلمية:

لقد خلف أبو راس كتبا كثيرة في مجال التاريخ وغيره، بعضها موجود وبعضها مفقود، وقد ذكر أن مجموع تآليفه بلغت نحو الخمسين كتابا في التفسير والتاريخ والأدب والتراجم والرحلات. وهناك من قال أن ما ألفه بلغ نحو63 كتابا، ونسب إليه 137 مصنفا في مختلف الأغراض. بين كبير وصغير وبين تأليف وشرح وتعليق وتلخيص منها ما نشر ومنها ما زال محفوظا، ومنها ما يعتبر في حكم المفقود.

ففي علم التفسير وعلوم القرآن مثلا: كتاب مجمع البحرين في ثلاثة أسفار، وتقي على نظم الخراز في الرسم، والدرر اللوامع، وفي الحديث: كتاب مفاتيح الجنة وأسناها في أحاديث اختلف العلماء في معناها، والسيف المنتضى فيما رويت بأسانيد الشيخ مرتضى، والآيات البينات في شرح دلائل الخيرات، وفي الفقه: حاشية عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخرشي في ستة أسفار، المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك، والأحكام الجوازل في نبذ من النوازل.

=

العربي ابن عبد القادر الحسني، ياقوتة النسب، ص: 20.

وفي علم الأصول: تشنيف الأسماع في مسائل الإجماع وحاشية على شرح المحلى لجمع الجوامع، وقاصي الأوهاد في مقدمة الاجتهاد، وفي علم الكلام والتوحيد: كفاية المعتقد ونكاية المنتقد، وهو شرح العقائد الكبرى للإمام محمد بن يوسف السنوسي، وأنوار البرجيس بشرح عقيدة الجمان النفيس لأبي زيد عبد الرحمن التجيني.

وفي التصوف: الزهر الأكم في شرح الحكم أو فتح الإله في التوصل إلى شرح حكم ابن عطاء الله، كتاب الحاوي لنبذ التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي، وله في النحو: الدرة اليتيمة، الحاشية الكبرى على شرح المكودي، و النكت الوافية بشرح المكودي على الألفية، وعمدة الزاب في إعراب" كلا شيء وجئت بلا زاد"[1]، نفي الخصاصة في إحصاء تراجم الخلاصة، وله في اللغة: كتاب ضياء القابوس على كتاب القاموس، وله ضابط اختصره من الأزهري على قواعد القاموس والجوهري.

وله في الأدب: شرحان على مقامات الحريري اطلعنا عليهما بالمكتبة الوطنية الجزائرية، البشائر والأسعاد في شرح بانت سعاد، ونيل الأرب في شرح لامية العرب، وله في علم البيان: كتاب الأماني على مختصر سعد الدين التفتزاني، وفي المنطق: كتاب القول المسلم في شرح السلم، وفي العروض: شرح مشكلة الأنوار التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار.

أما في ميدان التاريخ فهي كثيرة ومتنوعة، منها: زهر الشماريخ في علم التاريخ، كتاب الوسائل إلى معرفة القبائل، كتاب المنى والسول من أول الخليقة إلى بعثة الرسول، شرح عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أولياء غريس، در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة، درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة، ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، مروج الذهب في نبذة من النسب ومن

(1) سبب وضعه لهذا الكتاب أنه وقع بينه وبين كاتب باي وهران الشريف محمد حسن المعروف بالكاتب المستغانمي، نقاش بمحضر الباي حول نصب همزة شيء من قولك لاشيء، ووضع كتابا في نفس الموضوع أسماه: بغية المرتاد وبعث بهما إلى الكاتب المذكور.

إلى الشرف انتمى وذهب[1].

رغم كل هذا تبقى مؤلفات أبي راس كثيرة في شتى ميادين المعرفة المختلفة، إلا أن ما اشتهر منها في مجال التاريخ: عجائب لأسفار ولطائف الأخبار، والحلل السندسية في فتح ثغر وهران والجزيرة الأندلسية، والخبر المعرب الحال بالأندلس وثغور المغرب، وهي المؤلفات التي حاول الباحث تسليط الضوء عليها، ومحاولة التعرف على موضوعات كتابات الشيخ أبي راس وعلى نوع المنهج التاريخي المتبع فيها، فجاءت كمساهمة من الباحث في إخراج مخطوطات أبي راس إلى النور، فضلا عن تحقيقها ودراستها دراسة تاريخية علمية.

وفاته:

لقد كانت وفاة العلامة أبي راس الناصر، يوم الخامس عشر من شعبان من سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف هجرية(1238هـ/1823م) عن عمر يناهز التسعين سنة، ولقد صلى عليه خلق كثير من الناس يؤمهم تلميذه أحمد الدايج الملقب بالخرشي الكبير عند الراشدية، وقد أحصاهم بعضهم بـ: ألف وخمسمائة (1500) نسمة، ودفن قرب داره بعقبة بابا علي بمعسكر أين يوجد ضريحه حيث أقيمت عليه بناية قائمة إلى اليوم هي مزارا للناس.

يقول الآغا المزاري: "توفي يوم الأربعاء 15 خمسة عشر شعبان 1238هـ/ 1823م... وصلى عليه العلامة الأسد الهايج فريد وقته المعبر عنه بالراشدية بالخرشي الكبير السيد أحمد الدايج ودفن بعقبة بابا علي من معسكر، فنسبت له تلك التي اشتهر بها، وعلى ضريحه قبة، نفعنا الله به وأورثنا منه محبة وقربة".

وفي تلك السنة رفع المطر في العباد بعد ما فرغوا من الحراثة إلى أن بقي للصيف شهر واحد في القول الذي ليس من أقوال الرثاثة، فأرسل الله مطره النافع للعباد وأزال بهم من التخمين والكساد، ونبت الحبّ وتمت الصيانة وحصدوا

(1) يقال إنه انتقد فيه كثيرا من أنساب القبائل البربرية المنتمية إلى آل البيت، وهذا ما جر عليه المحن والفتن بإحراق الكثير من كتبه وتآليفه وضياع الكثير منها في حياته وحتى بعد مماته.

قسمين تلك السنة بصابة الشهر"[1].

وفي هذا الشأن يقول صاحب دليل الحيران وأنيس السهران: "وفي تلك السنة نفسها رفع المطر عن العباد في إبانه، فتركت الناس الحرث في وقته وأوانه، ولما بقي للصيف نحو الشهر الواحد، أمطر الله العباد بالمطر النافع المتزايد فحرثت الناس فيه وحصدوا، وبلغت مناهم فشكروا مولاهم وحمدوا، فسميت السنة بصابة شهر، وتعاطى اسمها في البدو والحضر"[2].

كلتا الروايتين تتشابه في مضمونها لكنها تختلف إلى حد ما في لفظها، وأراد الباحث أن يذكر الروايتين معا دون أن يكتفي بواحدة منها، ليبين مدى اهتمام الرعية بعلمائها وحزنها الشديد على فقدان مثل هؤلاء العلماء الذين كانت البركة تحصل بسببهم، حتى الأرض تحزن لذهاب مثل هؤلاء الجهابذة الذين يعرفون كيف يكسبون الناس على اختلاف مراتبهم سواء كان سلطانا ام

قاضيا ام من عامة الناس بسبب سياستهم اللينة وحكمتهم القوية، وهو ما كان فعلا عند أبي راس الذي يعد قدوتنا وسبيلنا في ذلك.

أما عن سبب وفاة أبي راس فيرجعه الكثير من المؤرخين إلى مرض الطاعون الذي كان منتشرا في سنة 1823م/1215هـ. وهو القول الراجح الذي يذهب إليه الباحث، استنادا إلى ما ذكره الشيخ مسلم بن عبد القادر: "ومات به خلق كثير من العلماء من بينه الشيخ العلامة الكبيرأبو راس الناصر. "[3]

إنّ وفاة أبي راس تعدّ خسارة كبرى للعالم الإسلامي العربي، لا سيما الإقليم الغربي للجزائر. فقد ترك أبو راس وراءه، كما هائلا يغار عليه من المخطوطات النفيسة والذخائر النادرة التي لم تعرف النور إلى اليوم والتي بلغ عددها حوالي 137مخطوطا في مختلف العلوم والفنون. حيث لم يركز جهده

(1) الآغا المزاري، طلوع سعد السعود، المصدر السابق، ص: 349.

(2) مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1987، ص: 25.

(3) مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، ص: 25.

الفكري على تخصص معين بل تناول كل التخصصات تقريبا.

ولكن رغم وفاة أبي راس الناصر إلا أن ذريته لا تزال موجودة، ونسله لم ينقطع سواء من جهة أبيه أو أمه، فمن جهة أبيه ذرية حفيده أبو راس المازوني بنواحي مستغانم، وغليزان، أما من جهة أمه فذريته موجودة بغريس بنواحي معسكر.

التعريف بالمخطوط والعمل في التحقيق

أولا: موضوع الكتاب :

يخدم كتاب" الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية" في نسق متكامل وضمن رؤية جامعة بين شخصية العالم الأدبية وفقهه، وتجمع بين الأدب والتاريخ من جهة، وبين الأدب والفقه من جهة ثانية.

وبما أن عنوان الكتاب يوحي بشقين من الدراسة؛ فقد قسمنا الكتاب إلى قسمين على أن نشرع في تحقيق القسم الأول منه الذي يتناول علم الصيد وأهميته ومنافعه ومضاره وطرقه،... والكتاب في أصله شرح أبي راس النّاصري لقصيدة مطوّلة في علم الصّيد وفقهه، المعروفة باسم "روضة السّلوان" للشيخ عبد الجبار الفجيجي، تقع في مائتين وأربعة عشر بيتا. فنراه في إحدى صفحات الكتاب يقول:

قُلْ رَوْضَةَ السَّلْوَانِ إِنْ شِئْتَ فِي اِسْمِهَا وَقُلْ رَحِمَ الرَّحْمَان مَنْ هُوَ سَاجِعُ

إنّ قيامنا على تحقيق القسم الأول من هذا الكتاب لما فيه من معلومات أدبية وتاريخية تفيد الباحث والمهتم بالتراث العربي عموما أن يتصور مدى الذهنيات والعقليات التي كان عليها علماء وأدباء ومؤرخو ذلك العصر. من شأنه أن يسهل علينا دراسة وتحقيق القسم الثاني إن شاء الله؛ الذي يختص بالدراسة الفقهية عموما لكيفية الصيد وأحكامه ومتعلقاته.

ثانيا: عنوان الكتاب :

وردت الإشارة إلى هذا الكتاب عند أبي راس نفسه في المخطوط الذي نحاول دراسته وتحقيقه؛ بقوله: "وسمّيته بالشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية"[1]. كما سماه أبو راس الناصر في مخطوطة "شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التآليف"[2] ؛ بعنوان: "الوصيد في شرح سلوانية

(1) أبو راس الناصر المعسكري، الشّقائق النّعمانية في شرح الرّوضة السّلوانية، الورقة الأولى.

(2) يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، =

الصّيد"[1]. كما ذكره في كتابه" فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" بنفس الاسم.

والملاحظ على بعض المتأخرين الذين تعرفوا على أبي راس من خلال كتابه فتح الإله، اعتمدوا على هذا العنوان بدل العنوان الحالي، وهذا مرده إلى تعدد شروحات[2] أبي راس للمخطوط الواحد، ومن هؤلاء يحيى بوعزيز، باسم" الوصيد في شرح لامية سلوانية الصّيد".

وفي حين نرى أنّ أبا القاسم سعد الله، يذكره باسم: "الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية". حيث نجده يقول: "لأبي راس شرح قصيدة الصيد المسماة روضة السلوان، فقد وجدناه أيضا محشوا أدبا وظرفا وأخبارا، وقد سمى شرحه هذا الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية "[3].

أمّا الكتاب الّذي بين أيدينا فإنني أجزم بأنه عنوانه هو الأصح وهو الوارد في مقدمة الكتاب التي تقول: "... وسمَّيته بالشَّقائق النُّعمانية، في شرح الرَّوضة السُّلوانية، طالباً من المولى التيسير، فهو نعم المولى ونعم النصير".

ثالثا: دوافع تأليف الكتاب:

يوضح المؤلف في مقدمة الكتاب أن الباعث على تأليفه كان رغبته في

=

ط1، 1995، ج2، ص: 242.

(1) أبو راس الناصر المعسكري، فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح: عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص: 23. وهذا ما يشير إليه عبد الرحمن الجيلالي كذلك في كتابه تاريخ الجزائر العام، ج3، ص: 510.

(2) وما يمكن الإشارة إليه هو أنّ جل كتب أبا راس تحمل أكثر من عنوان؛ على حسب المناسبة والمقام الذي يوجده فيه؛ مع زيادات وإضافات تارة، وحذف تارة أخرى. وهذا ما نلتمسه من خلال كتابه الحلل السندسية في شأن فتح وهران والجزيرة الأندلسية، ونراه الآن في كتابه الشقائق النعمانية ينهج نفس المنحى، ولا عجب فكما يقال للضرورة أحكام.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981، ج2، ص: 185. وإشارة يحيى بوعزيز في كتابه أعلام الجزائر المحروسة، ج1، ص: 242.

الكتابة في مثل هذا النوع من العلم بقوله: "إن العلم المتعلق بالصيد، والترغيب فيه على الإطلاق والقيد، فإن له من أجلّ ما به[1] يعتنى، وأجلُّ ما يُقتاتُ ويُقتنى، وأطيب كسب اكْتُسِبَ، وأرغد عيش اجتلب، وأحسن رزق ساقه إليك الملك الجليل... ".

ويواصل أبو راس ذكر الباعث على غرضه من تأليفه لهذا الكتاب بقوله: "ولذا أمعنت النظر في سلوانيته العجيبة، وحسن أساليبها الغريبة، فتسليت بها عن كل أدب، شَبَّ فيه وشاب كلُّ ما جَدَّ ودأب، وأن البراعة ومخاطم اليراعة [2] كل منهما درج من وكرها ودبّ، وقد تعلقت بلبي، وأخذت بشراشر قلبي، وأن الاصطياد الذي هو نزهة الملوك والوزراء، وبغية السلاطين والأمراء، زادته هذه السلوانية تنويها، ولطالبها تنبيها، فَتُحَرِّكَ سَاكِنَهُ حتىَّ يكون له بالمِلِكِ بهرام جور[3] أَتَمَّ تشييها".

رابعا: وصف الكتاب :

تقع هذه النسخة في خمس وثلاثين ورقة من الحجم المتوسط، بمقياس 21×31، حيث تضم كل صفحة 18 سطرا وأحيانا أكثر من ذلك، بمعدل تسع كلمات أو أكثر في السطر الواحد. كما توجد به تعليقات وحواشي سفلية في غالبيتها تصويبات.

والمخطوط مكتمل البداية مبتور النّهاية، حيث نراه يستهل كتابه بالبسملة والحمدلة فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ليقدّم لشرحا موجزا ينوه بأهمّية

(1) في هامش المخطوط فإنه وهو بعيد عن الصواب.

(2) "خطم": الخاء والطاء والميم يدلُّ على تقدُّمِ شيءٍ في نُتُوٍّ يكون فيه. فالمَخَاطم الأنوف، واحدها مَخْطِم. ورجلٌ أخطمُ: طويلُ الأنف. والخِطَام للبعير سُمِّي بذلك لأنّه يقع على خَطْمه. ويقال إنّ الخُطْمة رَعْنُ الجَبَل. فهذا هو الباب. وقد شذت كلمةٌ واحدة، قالوا: بُسْرٌ مُخَطَّمٌ، إذا صارت فيه خُطوط. لم ترد هذه الكلمة في اللسان والقاموس. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج2، ص: 159.

(3) الملك بهرام جور: من ملوك الفرس، وكان قبل مبعث النبي ﷺ بزمان طويل، وكان من عاداته أنه إذا كثر عليه ما يصطاده وسمه وأطلقه، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، ط1900، ج6، ص: 354.

الصّيد، والحكمة المتوخاة منه؛ مشيرا في سياق الكلام إلى تسمية كتابه، ليدخل في الشرح مباشرة. ويصل شرح المخطوط إلى مائة وثلاثة وخمسين بيتا من جملة مائتين وأربعة عشر بيتا.

وهو ما دفعنا إلى تقسيمه إلى قسمين لتسهيل عملية البحث من جهة؛ ولإخراج ولو جزء منه إلى النور حتى لا يبق قابعا في رفوف الخزائن؛ وهذا يحفزنا أكثر لنشر القسم الثاني منه والمتعلق بفقه الصيد وأحكامه.

خامسا: محتوى الكتاب:

لقد عُرف العرب في جاهليتهم بالفقر والإملاق وذلك نتيجة لبداوة وطبيعة الترحال التي كانوا عليها، وللقضاء على هذه الحالة حاولوا البحث في الطبيعة عما يسد رمقهم، فلاحقوا الضواري ووحوش الصحراء، ومن هنا عرفوا الصيد كحاجة طبيعية لتوفير قوتهم.

عرفت هذا القول عن العرب من خلال موروثهم الشعري وخطابهم الأدبي، فنرى مثلا امرؤ القيس كانت له أشعار كثيرة عن قصص الصيد وحالاته وأحواله وعن كرم ممتهنيه. ومن أحاديث امرؤ القيس عن خُلق العرب في الصيد ومكاسبه ما رواه عن ذلك الأعرابي العجوز الذي رآه الشاعر تائهاً في الصحراء فظنه عاشقاً غالبه الشوق والوجد، فتاه في الصحراء يشكو عشقه لضواريها.

يقول امرؤ القيس: "صادفته في صحراء خاوية يتخفى وراء أحد الكثبان وبلمحة بصر أطلق رمحه وانطلق نحو الطريدة وقفل عائدا وعلى كتفه ظبي، فقطعت عليه الطريق لأسأله عن حاله إن كان عاشقا أم زاهداً أو فقيرا يعاني الإملاق. وبعد السؤال أجاب: أما الزهد فأنا زاهد بما في أيدي الناس، وأما الصيد فهو للكسب وبعدها أتوجه بدعوتي لطعام كريم، فأجبته: وهل يرفض الفارس كريم المأكل. ولم يكتف العجوز بهذا فأخذت أراقبه وهو يمر بمضارب قومه وأنا برفقته يدعوهم إلى الأكل من صيده".

وقد أخذ العرب في جاهليتهم من صيد الحيوانات وسيلة لكسب قوتهم، فتراهم يقتاتون بلحمها حين أصابهم الجوع، ويتدفأون بعظامها حين يمسهم القر، ويستنيرون بلهبها عند ظلمة الليل، كما تراهم يتخذون من أوبارها وأصوافها غطاء

وكساء. وهناك شعراء كثر كان لهم نفس الاهتمام الذي ذهب إليه امرؤ القيس.

وقد كان لأبي إسحاق الفجيجي أثناء فضل السبق في تأليفه لكتابه الروضة السلوانية والخوض في مثل هذا العلم؛ والتدوين فيه، مما أثار فضول أبي راس، فراح يكتب عن هذا الشرح. وإذا كان هؤلاء الشعراء قد سبقوا أبا إسحاق الفجيجي في النظم في الطّرديات فإن قصيدته"روضة السّلوان" تفوق القصائد المشرقية بما كانت تتوفر عليه من تنوع في العناصر التي تطرق إليها، مما جعلها تتميز عن سابقاتها، وبالتالي أصبح لها طابع أصيل خاص بها.

والقصيدة طويلة من بحر الطّويل، رويّها حرف العين، وهي من الأعمال الأدبية النادرة والضخمة التي خاض فيها الفجيجي؛ حيث تناولت "فن الصيد وعلمه وكل ما يحيط به".

والملاحظ هنا أن أبا راس بحث في كتب اللغة عن معاني الصيد ومرادفاته؛ التي لم تفرق بين القنص والصيد من حيث المدلول المعنوي، فعرّفت القنص على أنه الصيد، وجلعتهما لفظين مترادفين، لكن المتتبع لاستعمالهما عند الكتاب والشعراء؛ فيلاحظ أنهم جعلوا لفظة الصيد أعم من لفظة القنص، فاستعملوا الأولى في صيد البر والبحر معًا، واستعلموا الثانية في صيد البر وحده.

كما حوى الكتاب منافع الصّيد المادّية والرّوحية، من حيث صحّة البدن، وعلو همة النفس، مع ترك الرذائل وكل ما يعكر صفو هذا النوع من فن الصيد، والاتصاف بشرع الله سبحانه وتعالى وتطبيق حكمه في الطريدة الحلال التي صادها الصياد. أو ما يعبر عنه أبو راس بالقانص.

وفي القصيدة حديث عن جملة من الطيور والحيوانات كالصّقر الذي يصوره بخلاخيله الفضية وجلاجله الذّهبية ضمن صورة وصفية توضيحية، إلى جانب وصفه للحبارى وهي تفاجأ بهذا الطّارق الذي لن يتركها حتى ينزلها إلى الأرض. كما يسترسل حديثه عن أيام الصّبا وأيام الشّباب، كما يخصص الفجيجي فصلا نقديا للحاسدين، وفصلا آخر لفقه الصّيد. ويختم الناظم كتابه بغض الطّرف عمّا قد يصدر منه من نقص في معالجة الموضوع.

سادسا: المصادر التي اعتمد عليها مؤلف الكتاب:

اعتمد مؤلف الكتاب على جملة من المصادر الأدبية واللغوية والفقهية والتاريخية العقائدية، من أجل إغناء الكتاب بمعلومات متعددة وفي فنون مختلفة. ومن أبرز المصادر التي وردت الإشارة إليها في ثنايا المخطوط نذكر مايلي:

أ - المصادر اللغوية والنحوية :

اعتمد أبو راس الناصر في شرحه للقصيدة من الناحية اللغوية على القاموس المحيط للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي [729 هـ / 817 هـ] وذلك بنسبة كبيرة جدا، وهذا ربما بحسب طبيعة الموضوع الأدبية، وكان أبا راس يشير في معظم الأحيان إلى المصدر متصرفا في الشرح بمفردات مختلفة منها: "قال القاموس" أو"وجاء في القاموس" و"في القاموس" و"انظر القاموس".

كما اعتمد أبو راس على" معجم الصحاح "للجوهري [393 هـ ؟] بالاشارة إليه مرتين، أما كتاب" المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" لصاحبه احمد بن محمد الفيومي الحمي نسبة إلى حماة [770 هـ ؟] فقد ورد ذكره مرة واحدة.

ب - المصادر الأدبية والتاريخية :

إنّ موسوعية أبي راس تتجلى من خلال اعتماده على ثلة من مصادر أدبية استعان بها على مسائل كثيرة تخص علما من الأعلام أو موقف ما أو تصرف ما، مثل" العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي، وكذا كتاب "وفيات الأعيان " لابن خلكان، ويكتفي بالإشارة إليه بقوله: "وفي العقد الفريد" و"قال ابن عبد ربه" و"في تاريخ العلامة ابن خلكان". وقد أورد أبوراس معلومات كثيرة عن أيَّام العرب وعاداتهم وحروبهم وقبائلهم وخصالهم كالجود والكرم والشجاعة،... كما اعتمد أبوراس على كتاب " الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني وكتاب"المقدمة"لابن خلدون.

ونظرا لطغيان الجانب التاريخي على ذاتية أبي راس؛ فإننا نجده يوظف مادته العلمية التاريخية في هذا الكتاب، فنراه تارة يتحدث عن بعض خلفاء بني أمية وبني العباس، ومن ادعوا النبوة كمسيلمة الكذاب وصاحبة اليمامة، ليعرّج بعدها على تاريخ المغرب والأندلس ذاكرا بعض ملوك الطوائف كعبد الرحمن الداخل،

وكيفية أسر المعتمد بن عباد...

ج - المصادر الفقهية :

نرى حافظ المغرب الأوسط يعتمد في تحليل بعض المسائل الفقهية على كتاب "الموطأ "للإمام مالك، والشروح التي جعلت عليه كالرسالة وشرح خليل وغيره، مركزا على باب، ومن الفقهاء الذين اعتمد على آرائهم الفقهية: ابن أبي جمرة، وابن عرفة ابن الحاج.

د - مصادر أخرى:

لا يمكننا بأي حال من الأحوال حصر جل المصادر التي اعتمد عليها أبي راس، غير أننا نذكر الأهم منها على حسب استعماله داخل المتن المحقق. فهي لا تقل أهمية عن سابقاتها بيد أن علاقتها بالموضوع أقل. مثل "كتاب إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي وابن عطاء الله السكندري وسيرة ابن هشام. وهذا بطبيعة الحال حسب ما يستدعيه كل مقام.

سابعا: قيمة الكتاب وأهميته :

يعتبر كتاب " الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية " من الكتب الهامة المتعلقة بأدب الصيد وأحكامه ومنافعه وآدابه؛ نظرا لاعتماد مؤلفه على عدد من أمهات المصادر المختلفة التي تخدم موضوعه، وبالتالي حفظ لنا مادة لا يستهان بها في هذا النوع من المواضيع، التي قلما تتعرض لموضوع الصيد من الناحية الأدبية. وتزداد أهمية هذا الكتاب أكثر إذا علمنا بأنّ المؤلف لا يكتفي بالاقتباس من بعض الكتاب فقط، بل يضيف إلى ما يقتبس من ذلك ما ورد في قوله: "**فائدة:** في المبتدأ لأبي حذيفةعن أبي إسحاق: أن الشعر ديوان العرب، وقال الخفاجي: المدح بالشعر غير مكروه، وقال الحافظ السيوطي في كتاب الوسائل إلى معرفة علم الأوائل: أوّل من تكلّم بالشِّعر آدم عليه السلام، لماّ قَتَلَ ابنه قابيل أخاه هابيل، فقال:

تَغَيَّـــرَت الأَرْضُ وَمَـــنْ عَلَـــيْهَا فَـــوَجْهُ الأَرْضِ بِغَيْـــرِ نَـــسِيج

تغَيَّـــرَ كُـــلُّ ذِي لَـــوْنٍ وَطَعْـــمٍ وَقَـــلَّ بَـــشَاشَتُهُ الـــوَجْهُ البَلِـــيجُ[1]

ويناقش أبو راس قول من سبقه بقوله: "وكان السلطان ملك شاه السلجوقي التركي، مَلَكَ جميع بلاد ما وراء النهر وأرض الهياطلة إلى بيت المقدس طولا، ومن القسطنطينية وبلاد الخزر إلى نهر الهند عرضا، وقد أبطل منها المكوس كلها، ومع ذلك كان لهجا[2] بالصيد".

كما نجد أبوراس يقتبس من كتاب وفيات الأعيان بقوله: "قال ابن خلكان[3]: "والمنارة باقية إلى الآن تعرف بمنارة القرونقال اليافعي: وكثير من الناس يسمونها بأم القرون مات سنة 485 هـ، انظر حاشية اليافعي[4]. وبالعودة إلى كتاب وفيات الأعيان نجد أن أباراس قد اعتمد فعلا على الكتاب نفسه؛ مما مدى حرص أبي راس على الأمانة العلمية.

كما يورد أبي راس أقوال بعض الفقهاء كابن عرفة بقوله: "قال ابن عرفة: "وهو من حيث ذاته جائز إجماعا"[5].

والخلاصة التي يمكن التوصل إليها بعد دراسة وتحقيق مخطوط" الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية" هي أنه يعتبر مصدرا مهما لا يمكن للباحثين والمهتمين بالتراث الأدبي المغاربي عموما وتراث المغرب الأوسط خصوصا الاستغناء عنه؛ إذ إنه يحفل بمادة أدبية كبيرة وكذا تاريخية وفقهية في غاية الأهمية، اقتبسها المؤلف من أهم المدونات الأدبية والفقهية التي أنتجها علماء ممن سبقوه، والتي أصبح بعضها في حكم المفقود أو مبتورة.

ثامنا: المخطوط وطريقة التحقيق:

لقد كنت دائما أقدم رجلا وأؤخر أخرى قبل الإقدام على تحقيق هذا المخطوط، لأن التحقيق على أصل وحيد؛ تجربة مضنية متعبة للفكر حافلة

(1) الورقة 2 و.
(2) الورقة 12 و.
(3) الورقة 6 و.
(4) الورقة 7 و.
(5) الورقة 4 و.

بالمصاعب. ولكني نظرا لأهمية تراث أبي راس الناصر المعسكري عموما؛ وكتاب الشقائق النعمانية خصوصا لما يحويه من مادة متنوعة؛ وذو قيمة أدبية وتاريخة وفقهية، وما يضمه من فوائد ومعلومات نكاد لا نجدها في أصل آخر. فرحت أفتش عن أصول أخرى، لعلي أجد ضالتي لكن دون جدوى بالرغم من وجود نسخة أشار إليها الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي والموجودة بدار الكتب المصرية بالقاهرة[1].

غير أننا اقتصرنا على نسخة مصورة للشيخ بلقرد جزاه الله عنا كل خير، ومن ثم لم يبق لنا إلا التعويل على هذه النسخة؛ لأنّ إخراج الكتاب إلى النور أجدى من تركه قابعا في خزانة أو الانتظار ردحا من الزمن.

ويعود اتصالي بالمخطوط سنة 1999م عند إقدامي على تحقيق بعض نصوص أبي راس الناصر، أو مناقشة كتابات أبي راس من خلال بعض مدوناته المختلفة لا سيما التاريخية منها تحت إشراف الدكتور بن نعمية عبد المجيد الذي حفزنا على ذلك فله منا الشكر الوافر الذي لا حدود له. فاتصلت ببعض القائمين على بعض خزائن المخطوطات والزوايا والشيوخ داخل الوطن وخارجه؛ فزودني بعضهم جزاهم الله عنا كل خير ببعض تلك المدونات. وممّا لفت انتباهي هو أن هناك تراث كبير ومغمور لأبي راس وغيره من العلماء لا زال قابعا في رفوف خزائن خاصة وأخرى عامة، ينتظر من ينفض عنه الغبار.

وقد صعب علي قراءة بعض الكلمات والعبارات غير الواضحة أو المشطوبة في النص المصور على القرص المضغوط، فاتصلت بالشيخ أبي عبد الله شراك الذي لم يتردد في مساعدتي بتصويب تلك الكلمات، وعلى هذا الأساس تمكنا بفضل الله أولا وبفضله من قراءة ما استشكل علي لوضوحها. ولما تأكدت من أن المخطوط جدير بالتحقيق والنشر، شمرت عن ساعدي للقيام بهذه المهمة، فلم أتوانى من قراءته مرات عديدة، حتى أنني عرفت به بإحدى المجلات المغربية التراثية.

(1) تقع هذه النسخة في حوالي 160 صفحة، غير أنها لا تحمل هذه النسخة لا اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

وفيما يلي جملة من النقاط المتعلقة بحالة النسخة المعتمدة في التحقيق:

1. لا يوجد ذكر لاسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه.
2. ورود عنوان المخطوط واسم مؤلفه الكامل على الورقة الأولى من المخطوط.
3. يقع المخطوط في خمس وثلاثين ورقة كما أشرنا إلى ذلك آنفا.
4. مقاسه 31 x21
5. الخط مغربي واضح، يتوزع فيه لون الحبر ما بين أسود وأحمر.
6. يوجد بالمخطوط شطب لبعض الكلمات وبتر في آخر المخطوط.
7. في الحالات التي كان الناسخ يخطئ في رسم كلمة أو عبارة في المتن؛ فإنه يستدرك ذلك بتصويبها في هامش المخطوط.
8. توجد بالمخطوط أخطاء إملائية وأخرى في رسم كلمة أو غيرها، مع وجود بعض المفردات العامية.
9. هناك استدراكات وتعليقات بهامش المخطوط أسفله.

إنّ فضولي واقتناعي بأهمية تحقيق المخطوطات ومدى فائدتها في استكشاف كنه معلومات تلك الكنوز التراثية العريقة، ومن جملتها هذا المخطوط الذي بين أيدينا، بالرغم من عدم حصولي على نسخة ثانية، إلاّ أنه حزّ في قرارة نفسي أن يبقى مخطوط كهذا حبيس رف خزانة أو قابعا لا يحرك له ساكنا رغم أهميته الأدبية. وبعد قراءته مرات عديدة تبين لي أن أصل إلى نقاط أهمها:

1- قسمت المتن إلى فقرات حسب ما يقتضيه سياق الكلام ومعناه.
2- أشرنا الانتقال من صفحة لأخرى في أصل المخطوط وذلك بإثبات رقم الصفحة بخط مائل هكذا (/)
3- كل العناوين الواردة في المخطوط من وضع المحقق، وتصويب بعض المفردات وأشرنا إلى ذلك بقوسين معكوفين.
4- قمت بشرح الأعلام والأماكن والمفردات بالرجوع إلى أمهات الكتب كل حسب اختصاصه.

5- وضعت للكتاب فهارس علمية، كما زودته بقائمة بيبليوغرافية تشمل مصادر ومراجع التحقيق.

وفي ختام هذا العرض لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى رفيقة دربي التي شاركتني هموم هذا العمل زوجتي. وإلى الشيخ أبي عبد الله شراك الذي زودنا بكثير من المعلومات والإشارات. وإلى أستاذي الدكتور بن نعمية عبد المجيد الذي كان له فضل السبق في تحفيزي على الكتابة حول هذه الشخصية.

وهران في يوم الخميس
/ 07 - 01 - 2010م.

نماذج من صور المخطوط

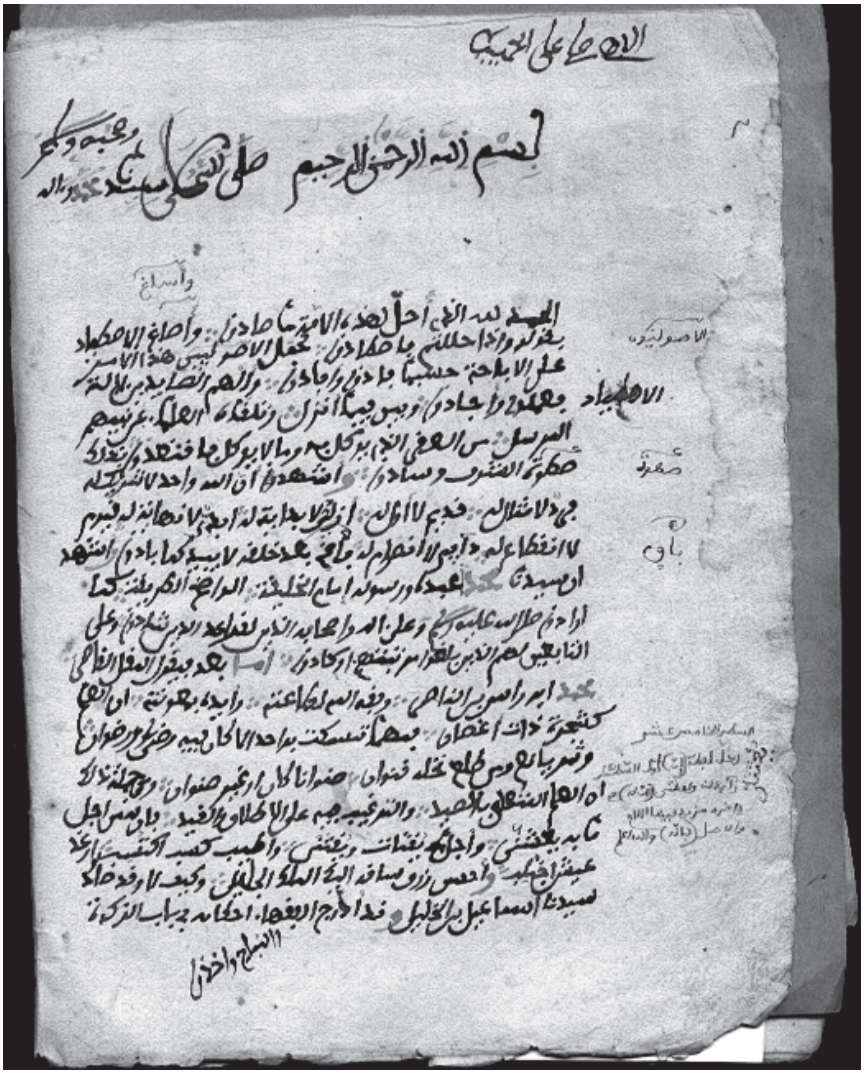

الشقائق النعمانية الصفحة الأولى من المخطوط

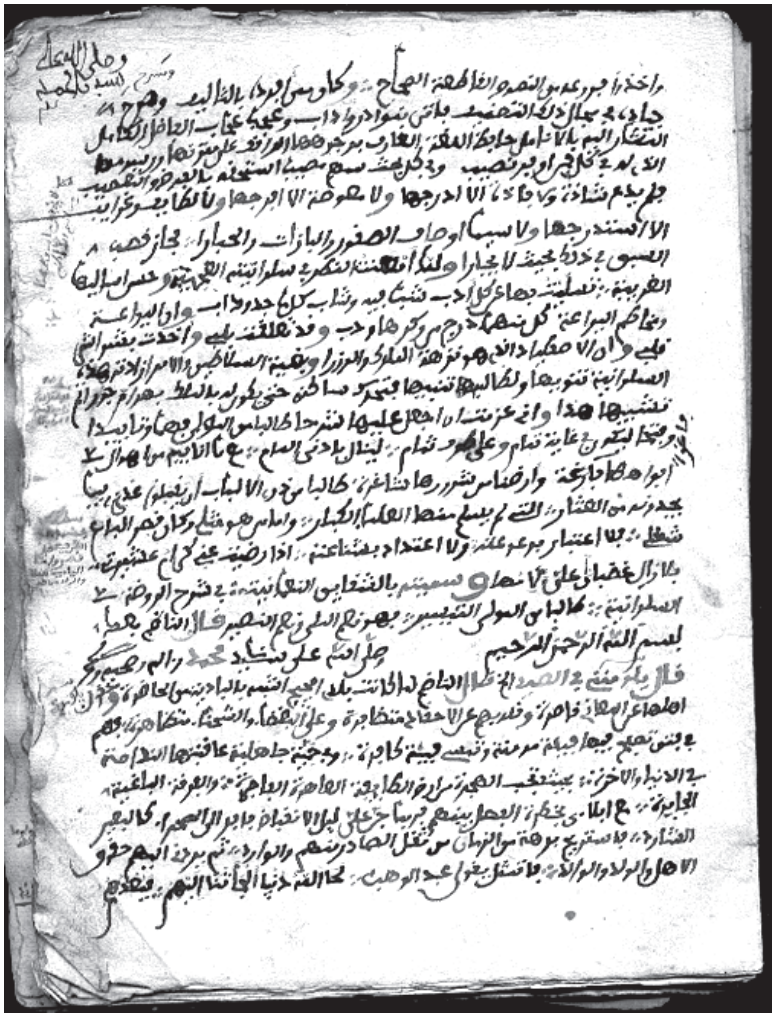

الصفحة الثانية من المخطوط

الصفحة السابعة عشرة من المخطوط

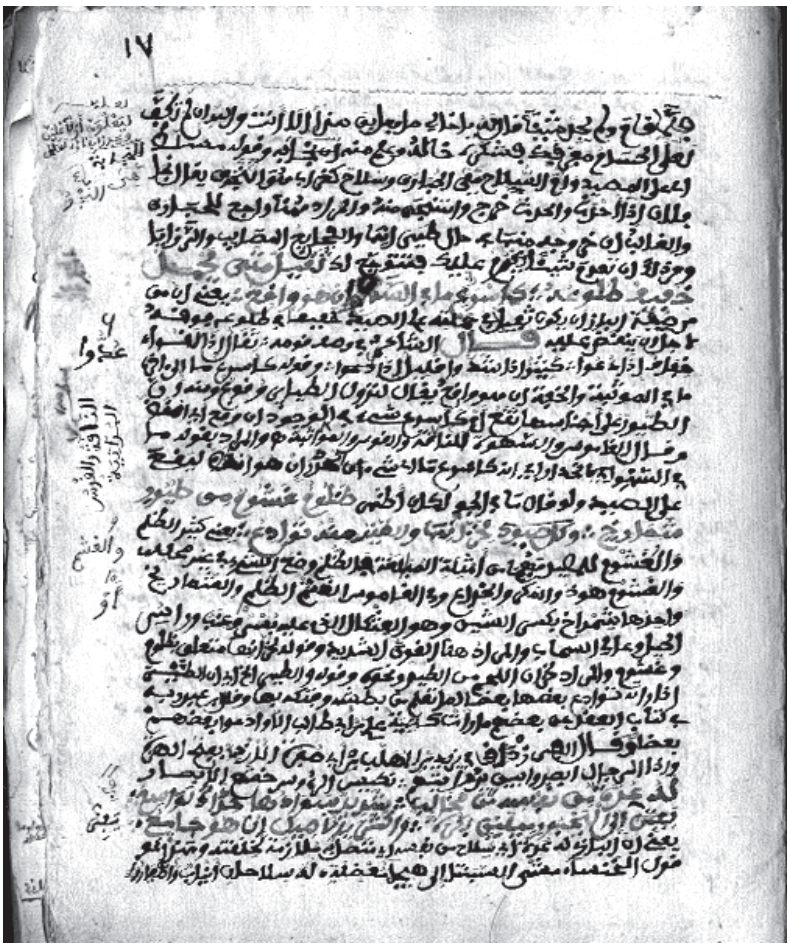

الصفحة الأخيرة من المخطوط

القسم الثاني

كتاب الشقائق النعمانية في شرح

الروضة السلوانية

للشيخ أبي راس الناصر المعسكري

(ت1238هـ)

[مقدمة][1]:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الحبيب
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله
على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلّم

الحمد لله الذي أحل[2] لهذه الأمة ما صادوا، وأصاغ[3] الاصطياد بقوله ﴿وَإِذَاحَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[4]، فحمل الأصوليين[5] هذا الأمر على الإباحة حسبما فادوا وأفادوا، وألهم الصايدين[6] لآلة الاصطياد فعملوا وأجادوا، وبيَّن فيما أنزل وتَلَقَّاه العلماء عن نبيهم المرسل من الصقر الذي يوكل به وما لا يوكل فاقتعدوا بذلك حظوة [7] الشرف وسادوا، وأشهد أن الله واحد لا شريك له، فريد لا مثيل له، قيُّوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، بَاقٍ[8] بعد خلقه لا يبيد كما بادوا، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إمام الخليقة الواضح الطريقة كما أرادوا، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين لقواعد الدين شادوا، وعلى التابعين لهم الذين بلغوا مرتبتهم أو كادوا، أمّا بعد:

فيقول المقلُّ الظاهر، محمد أبوراس بن النَّاصر، وفقه الله لطاعته، وأيَّده بمعونته، إن العلم كشجرة ذات أغصان، فمهما تمسَّكت بواحدٍ إلاَّ كان فيه رضىً ورضوان، وثمر يانِع ومن طلع نخله قنوان، صنواناً كان أو غير صنوان، [2/1] وفي

---

(1) ما بين معكوفتين من عملنا(المحقق) لتسهيل سبل الفهم والمعنى للباحث.

(2) أحل: الإذن بالصيد بعد أيام التشريق.

(3) في هامش المخطوط" أساغ".

(4) المائدة: 02.

(5) في الهامش " الأصوليون".

(6) كذا في الأصل والصواب الصائدين.

(7) كتبت في هامش المخطوط" صهوة" والراجح حظوة.

(8) كتبت في هامش المخطوط باق وهو الصواب.

جملة ذلك أن العلم المتعلق بالصيد، والترغيب فيه على الإطلاق والقيد، فإن له من أجلّ ما به يعتنى، وأجلُّ ما يُقتاتُ ويُقتنى، وأطيب كسب اكْتُسِبَ، وأرغد عيش اجتلب، وأحسن رزق ساقه إليك الملك الجليل، وكيف لا وقد صاد سيدنا إسماعيل ابن الخليل، وقد أدرج الفقهاء أحكامه في باب الذَّكاة [1].

وأخذوا فروعه من النصوص القاطعة الصحاح، وكان ممن أفرده بالتأليف، وسرَّج جياده في مجال ذلك التصنيف، فأتىَ بنوادر وآداب، وعجب عجاب، الفاضل الكامل المشار إليه بالأنامل، حافظ اللغة [2]، العارف بوجوهها، الواقف على متونها ورسومها، الذي له في كل خبر أوفر نصيب، وفي كل بحث سهم مصيب، استحقه بالفرض والتعصيب، فلم يدع شاذة[3] ولا جادة إلا أدرجها، ولا معوصة إلا أفرجها، ولا لطائف وغرايب إلا استدرجها، ولا سيما أوصاف الصقور والبازات والحبارا [4]، فحاز قصب السبق في ذلك بحيث لا يجارا[5]،

هذا وإني عزمت أن أجعل عليها شرحاً، طالباً من المولى فهماً وتأييداً وفتحا، ليكون في غاية تمام، وعلى طرف ثمام، لينال بأدنى إلمام، مع ما أنا فيه من أهوال أفواهها فارغة[6]، وأرضنا من شروحها شاغرة، طالبا من ذوي الألباب أن يقبلوا عذري فيما يجدونه من العثار، التي لم يسلم منها العلماء الكبار، وأمّا من هو

(1) الذكاة: من ذكى الحيوان أي ذبحه، والتذكية في الصيد، والذبح: إذا ذكرت اسم الله وذبحته، ومنه قوله تعالى: [إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ] . المائدة: 03.

(2) الفجيجي (... - نحو920هـ=... - نحو1514م): إبراهيم بن عبد الجبار بن أحمد، أبو إسحاق الفجيجي: فقيه متأدب مغربي. له (روضة السلوان) و(منظومة في قواعد الإسلام) في تمكروت. خير الدين الزركلي، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ج1، ص: 45.

(3) (شذ) الشين والذال يدلُّ على الانفراد والمفارَقة. شَذّ الشيء يَشِذُّ شذوذاً. وشُذَّاذُ الناس: الذين يكونون في القوم وليسوا من قبائلهم ولا مَنَازِلهم، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، مقاييس اللغة، تح: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، بيروت، ط1، 2002، ج3، ص: 139.

(4) كذا في الأصل، والصواب: الحبارى.

(5) كذا في الأصل، والصواب: يجارى.

(6) كذا في الأصل والصواب فاغرة: أي مفتوحة.

مثلي وكان قصر الباع شغلي، فلا اعتبار بوعر علَّته، ولا اعتداد بشناعته.

إِذَا رَضِـــيَتْ عَنـــيِّ كِـــرَامُ [1] عَـــشِيرَتِي فَـــلَا زَالَ غَـــضْبَاناً عَلَـــيَّ لِآمُهَـــا[2]

وسمَّيته بالشَّقائق النُّعمانية، في شرح الرَّوضة السُّلوانية، طالباً من المولى التيسير، فهو نعم المولى ونعم النصير.

(1) تنسب هذه الأبيات إلى الشاعر أبي العيناء العبسي (ت 283 هـ)، من البحر الطويل:

إِذَا رَضِـــيَتْ عَنِّـــي كِـــرَامُ عَـــشِيرَتِي فَـــلاَ زَالَ غَـــضْبَانًا عَلَـــيَّ لِـــئَامُهَا

شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1986، ج2، ص: 13. ينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ج1، ص: 266.

(2) كذا في الأصل، والصواب: لئامها.

[مقدمة الناظم][1]

قال الناظم بعد بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، قال: **[يَلُومنَنِي فِي الصَّيْدِ... الخ]**[2]

قال الناظم[3]: لماَّ كانت بلدي فجيج أشبه بالبادية من الحاضرة، وعقول أهلها عن المعاد قاصرة، وقلوبهم على الأحقاد متظافرة، وعلى البغضاء والشحناء متظاهرة، فهم في فتن تصبح فيها فئة مؤمنة وتمسي فئةً كافرة، وفي حَميّةٍ جاهلية عاقبتها النَّدامة في الدُّنيا والآخرة، بحيث تجب الهجرة من أرض الطائفة العاهرة الفاجرة[4]، والفرقة الباغية الجائرة، مع إبلائي بخطرة[5] الفصل بينهم فربما جَنَّ عَليَّ ليل الانقباض فأفر إلى الصحراء كالبعير الشارد، فأستريح برهة من الزمان من ثقل الصادر منهم والوارد، ثم يَرُدُّني إليهم حقوق الأهل والولد والوالد فأتمثل بقول عبد الوهاب[6]:

لَحَــا اللهُ دُنْــيَا أَلْجَأَتْــنَا إِلَــيْهِمُ فَــبُعْدُهُمْ أَشْــهَى إِلَــيَّ مِــنَ القُــرْبِ
صَــحِبْنَاهُمْ لَمَّــا اضْــطَرَرْنَا إِلَــيْهِمُ كَمَا اضْطَرَّ صَيَّادٌ إِلَى صُحْبَةِ الكَلْبِ

فلما ألفت سياسته[7] في البراري، لقنص وحوش مهامه الصحاري، والتفكير

---

(1) يقصد بها أبي راس الناصر وكما هو معروف عنه أنه مرة يزيد ومرة ينقص بيتا وفق ما يتطلبه الموضع الذي ينوي الحديث عنه كما في شروحه على عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، وإنما وضعنا هذا العنوان من عندنا (المحقق) لتسهيل سبل الفهم للباحث فقط لا غير.

(2) كذا في الأصل دون إتمام البيت، ليعود إليه في الصفحة الموالية.

(3) الناظم هنا يقصد به أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي، وأبوراس إنما هو شارح لهذه الروضة السلوانية.

(4) كذا في الأصل والصواب: والبعد عن الطائفة الفاجرة والفرقة الباغية الطاغية الجائرة.

(5) كذا في الأصل والصواب: خطة الحكم.

(6) هو القاضي عبد الوهاب (362 - 422هـ=973 - 1031م) عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي، أبو محمد: قاض، من فقهاء المالكية، له نظم ومعرفة بالأدب. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 143.

(7) كذا في الأصل والصواب: السياحة.

في مصنوعات القادر الباري، فلا قيل ولا قال، ولا هماج ولا ثقال، ولا جمام يسلب الهيبة كما قال:

وَطُولُ جِمَامِ المَاءِ فِي مُسْتَقَرِّهِ يُغَيِّرُهُ لَوْناً وَرِيحاً وَمَطْعَما[1]

كان مما اخترت الاصطياد بالباز لنزاهته وطهارته، ودرابته ونجابته دون الكلب لحقارته ذارته، على نباهته وسرعة إجابته، وكنت أقول: صقر وقور، خير من كلب عقور، لا سيما وقد دل على مقتنيه بنباحه، في موضع يُخَافُ فِيهِ سوء صياحه، فأطلق الغوغاء ألسنتهم، وسَنَّ الحفاة أسنتهم، فقلت على جهة التعريض، وإن كنت لا أحسن القريض.

(1) أبو الفتح البستي (... - 400هـ=... - 1010م) علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي، أبو الفتح: شاعر عصره وكاتبه. ولد في بست (قرب سجستان) وإليها نسبته. وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان، وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، وخدم ابنه يمين الدولة (السلطان محمود، ابن سبكتكين) ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريبا في بلدة " أوزجند " ببخارى. له " ديوان شعر" صغير، فيه بعض شعره. وفي كتب بالأدب كثير من نظمه غير مدون. وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: "زيادة المرء في دنياه نقصان ". وإليه ينسب هذا البيت من البحرالطويل، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 326. وينظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ج3، ص: 111.

شَرْحُ السَّلْوَانِيَّة

[مَنَافِعُ الصَّيْدِ]

يَلُومُونَنِي فِي الصَّيْدِ وَالصَّيْدُ جَامِعٌ لِأَشْيَاءَ لِلْإِنسان فِيهَا مَنَافِعُ

واللوم العَذلُ وبالتحريك كثرة العَذلِ، ولاومته ولمته ولامني[1] والصيد من صاده، يصيده، اصطاده وخرج يتصيد، والصيد: المصيد أو ما كان ممتنعا ولا مالك له، وأمَّا الصيدان فهما النحاس والذهب.

فائدة: في المبتدأ لأبي حذيفة[2] عن أبي إسحاق: أن الشعر ديوان العرب، وقال الخفاجي[3]: المدح بالشعر غير مكروه، وقال الحافظ السيوطي[4] في كتاب

---

(1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر بيروت، ط1983، ج4، ص: 177.

(2) أبو حذيفة: هو إسحاق بن بشر أبو حذيفة البخاري صاحب كتاب المبتدأ. (ت 206هـ) . ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تح: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط3، 1986، ج1، ص: 354.

(3) الخفاجي: الشهاب الخفاجي (977 - 1069هـ=1569 - 1659م) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر. ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءا يعيش منه فاستقر إلى أن توفي. من أشهر كتبه (ريحانة الالبا) ترجم به معاصريه على نسق اليتيمة، و(شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل) و(شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري) و(طراز المجالس) و(نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض) . خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 238.

(4) السيوطي (804 - 855هـ=1402 - 1451م): هو أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان الخضيري السيوطي؛ فاضل مصري، له علم بالعربية وفقه الشافعية. عرض عليه قضاء مكة فأبى. وهو والد الامام السيوطي (عبد الرحمن) . ولد في سيوط (أسيوط) واستقر وتوفي بالقاهرة. له كتب، منها (حاشية على أدب القضاء للغزي) وكتاب في (التصريف) و(حاشية على شرح الألفية لابن المصنف) لم يتمها. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 69. راجع: العيدروس، النور السافر من أخبار القرن العاشر، بغداد، ط1، 1934، ص ص: =

الوسائل إلى معرفة علم الأوائل: أوَّل من تكلَّم بالشِّعر آدم عليه السلام، لماَّ قَتَلَ ابنه قابيل أخاه هابيل، فقال:

تَغَيَّـــرَت الأَرْضُ وَمَـــنْ عَلَـــيْهَا فَـــوَجْهُ الأَرْضِ بِغَيْـــرِ نَـــسِيج
تغَيَّـــرَ كُـــلُّ ذِي لَـــوْنٍ وَطَعْـــمٍ وَقَـــلَّ بَـــشَاشَتُهُ الـــوَجْهُ البَلِـــيجُ

وأول من عمل القصائد الكبار مثل هذه: مهلهل بن ربيعة[1] ولم يقل أحد بعده عشرة أبيات، وفي الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني: هو من كذب في شعره، وهو خال امرئ القيس بن حجر[2] المشهور. وأول شعر قيل في العرب على ما قال صاحب اللباب[3]

=

.123 - 119

(1) المهلهل: عدى بن ربيعة ابن أبي العسكر (.. - نحو558هـ =.. - نحو 1163م) مهلهل بن أبى العسكر: قائد من الأمراء في عهد المقتفى والمستنجد العباسيين. كان هو وأخ له، في خدمة السلطان مسعود السلجوقي وقتل أخوه صبرا، وهو أسير، مع صدقة بن دبيس (سنة 532) وأقر السلطان مسعود محمد بن دبيس (أخا صدقة) على إمارة الحلة وجعل معه مهلهلا يدبر أموره. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 315.

(2) امرؤ القيس (نحو130 - 80ق هـ = نحو497 - 545م) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي. وكان أبوه ملك أسد وغطفان. وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى (دمون) بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا! اليوم خمر وغدا أمر!، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرا كثيرا. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 11.

(3) الشيخ الإمام أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الحنبلي المتوفى سنة (538هـ - 616هـ) رحمه الله تعالى في كتابه: "المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم "، قامت بطبعه دار الفكر في دمشق الطبعة الأولى سنة (1403هـ) في مجلدين بتحقيق الشيخ

=

والسيوطي[1]:

حُثُّوا المَطَايَا وَارْخُوا مِنْ أَزِمَّتِهَا قَبْلَ المَمَاتِ وَاقْضُوا مَا تَقْضُونَا
كُنَّا أُنَاسًا كَأَنْتُمْ فَغَيَّرَنَا دَهْرٌ فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَا

وأول من قال الشعر في الإسلام ضرار بن الخطاب[2] حيث قال:

تَدَارَكْتُ سَعْداً عُنْوَةً فَأَسَرْتَهُ وَكَانَ شِفَاءً لَوْ تَدَارَكْتَ مُنْذِرَا
فَلَوْ نِلْتَهُ طِلْتَ دِمَاءً جِراحَةٍ وكَانَ حراماً أَن تَظَلَّ وَتَهدَرا

وأول من صنع الموشحات ابن عبد ربه الأندلسي[3] ثم القرطبي، مات سنة

=

ياسين بن محمود السواس، نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة. من أهم مؤلفاته: شرح كتاب الإيضاح، إعراب القرآن، وإعراب الحديث. محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ، ص: 166.

(1) سبق التعريف به في الصفحة السابقة.

(2) هو ضرار بن الخطاب: (... - 13هـ=... - 634م) ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري: فارس شاعر، صحابي من القادة. من سكان الشراة، فوق الطائف. قاتل المسلمين يوم أحد والخندق أشد قتال، وأسلم يوم فتح مكة. ولم يكن في قريش أشعر منه. له أخبار في فتح الشام، واستشهد في وقعة أجنادين فارس قريش في الجاهلية وشاعرهم، أسلم يوم الفتح وشهد فتح الشام، استشهد في موقعة أجنادين. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 215. إمتاع الأسماع، ج1، ص: 232، وتهذيب ابن عساكر، ج7، ص: 31.

(3) ابن عبد ربه الأندلسي: (246 - 328 هـ / 860 - 939م)، أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير بن سالم أبو عمر. الأديب الإمام صاحب العقد الفريد، من أهل قرطبة. كان جده الأعلى سالم مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية. وكان ابن عبد ربه شاعراً مذكوراً فغلب عليه الاشتغال في أخبار الأدب وجمعها. له شعر كثير، منه ما سماه الممحصات، وهي قصائد ومقاطع في المواعظ والزهد، نقض بها كل ما قاله في صباه من الغزل والنسيب. وكانت له في عصره شهرة واسعة وهو أحد الذين أثروا بأدبهم بعد الفقر. أما كتابه (العقد الفريد - ط) فمن أشهر كتب الأدب سماه العقد وأضف النساخ المتأخرون لفظ الفريد. وله أرجوزة تاريخية ذكر فيها الخلفاء وجعل معاوية رابعهم. ولم يذكر علياً فيهم وقد طبع من ديوانه خمس قصائد وأصيب بالفالج قبل وفاته بأيام. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 15، ص: 283.

328هـ ثمانية وعشرين وثلاث مائة.

فَأَوَّلُهَا كَسْبُ الحَلالِ بِهِ أَتَتْ نُصُوصُ كِتَابِ اللهِ وَهْيَ قَوَاطِعُ

النص القاطع هو ما كان من كتاب أو سنة أو إجماع، قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ ﴾[1]، وقال: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ﴾ [2]، وقال: ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ [3] ؛ أي محْرِمين أو في الحرمِ أمَّا من كان حلا وهو في غير الحرم فحلال له.

تنبيه: قال ابن عرفة[4]: "وهو من حيث ذاته جائز إجماعا، قلت لأن الأصل فيه الإباحة، مثال: كأن يصطاد بنية توسعة [4/3]غير معتادة على نفسه أو على عياله، أو لشهوة مباحة كأكل تفاح - مثلا - وندب لتوسعة معتادة على عيال، وسدِّ خلة غير واجبة، وكفّ وجه، وصدقة، ويجب لإحياء نفسه أو غيره، كأن لا يمكنُّه قوتُه وقوت عياله إلا من ثمنه، ويحرم إن كان بغير نية ذكاته أو بنية فرجة عليه، كغزال أو حبسه بقفص لغير تعليمه منفعة شرعية، ولو[5] لذكر الله كدرة ونصر، أو ضيع صلاة وقتية، ويكره من الخصل والحشى والفاسق، ومجرد اللهو.

وكان السلطان ملك شاه السلجوقي[6] التركي، مَلَكَ جميع بلاد ما وراء

---

(1) سورة المائدة: 04.

(2) سورة المائدة: 96.

(3) سورة المائدة: 96.

(4) ابن عرفة: الكندي (640 - 716هـ=1242 - 1316م) علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي، علاء الدين، ويقال له ابن عرفة: أديب متفنن شاعر، عارف بالحديث والقراآت. من أهل الإسكندرية. أقام بدمشق، وتوفي فيها. له " التذكرة الكندية " خمسون جزءا، أدب وأخبار وعلوم، و" ديوان شعر" في ثلاثة مجلدات. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 23.

(5) كذا في الأصل، والصواب لولا.

(6) ملك شاه السلجوقي: (1055هـ - 1092م) سلطان سلجوقي من الكبار، أسس النظاميات وبلغت الدولة في عهده أوج ازدهارها. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان، =

النهر وأرض الهياطلة[1] إلى بيت المقدس طولا، ومن القسطنطينية وبلاد الخزر إلى نهر الهند عرضا، وقد أبطل منها المكوس كلها، ومع ذلك كان لهجا[2] بالصيد. حكي أن قدر ما صاده عشرة آلاف، وكان يقول: إني أخاف الله من إزهاق الأرواح من غير مأكلة، فصار بعد ذلك كلما قتل صيدا تصدق بدينار، وقد خرج من الكوفة لتوديع الحجاج فصاد في طريقه وحشا كثيرا، فبنى هناك منارة من حوافر حمر الوحش، وقرون الضباء التي صادها، قال ابن خلكان[3]: "والمنارة باقية إلى الآن تعرف بمنارة القرون"[4] قال اليافعي: وكثير من الناس يسمونها بأم القرون مات سنة 485 هـ، انظر حاشية اليافعي[5].

=

ط2، 1982، ص: 116.

(1) هياطلة: Houyatila اسم لبلاد ما وراء النهر.

(2) لهج: أغري به فثابر عليه. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ص: 261.

(3) ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكيّ الإربليّ أبو العباس المؤرخ الحجة، والأديب الماهر؛ صاحب وفيات الأعيان، (1211 - 1282م)، من إفادات الشيخ قطب الدين رحمه الله تعالى أن لفظ "ابن خَلِّكَان" ضبط على صورة الفعلين (خلِّ) أمراً من خَلَّى أي تَرَك فعل ماض و(كان) الناقصة. وسبب تسميته بذلك أنه كان يكثر أن يقول كان والدي كذا في الأصل، وكان جدي كذا في الأصل فإنه من البرامكة فقيل له خل كان قال: ورأيت من ضبطه بسكون اللام والباقي على حاله، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 220.

(4) انظره في: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، باب التاريخ، القاهرة، ط2، 1992، ص: 535.

(5) اليافعي: هو عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين، (1298 - 1367)م مؤرخ، باحث - متصوف. اليافعي (698 - 768 هـ = 1298 - 1367م) عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين: مؤرخ، باحث، متصوف، من شافعية اليمن. نسبته إلى يافع من حمير. ومولده ومنشأه في عدن. حج سنة 712 هـ، وعاد إلى اليمن. ثم رجع إلى مكة سنة 718 فأقام، وتوفي بها. من كتبه " مرآة الجنان، وعبرة اليقظان، في معرفة حوادث الزمان " أربعة مجلدات، و" نشر المحاسن الغالية، في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية " و"الدر النظيم في خواص القرآن العظيم " رسالة، و" مرهم العلل المعضلة " و" روض الرياحين في مناقب الصالحين " و" أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر". خير الدين

=

فَـصِحَّةُ جِـسْمٍ ثُـمَّ صِـحَّةُ نَاظِـرٍ وَإِحْكَـامُ إِجْـرَاءِ الـسَّوَابِقِ رَابِـعُ

يعني أن الاصطياد يكسب صحة الجسم، وحدة النظر، فيند للعمل كما يأتي، وكذا غياهب الصيد ففيه سر خفي ولطف، وقوله إحكام بكسر همزة القطع، فهو اسم مفرد والمراد إتقان رياضة الخيل المسومة وتهذيبها، وحسن عدوها وتأديبها، ففيه لها تدريب، وصبر على التعب عجيب، ولذا قال امرؤ القيس في مدح فرصه[1].

وَيَعْدُو عَدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ داركـا فَلَـمْ يَنْـضَحْ بِمَـاءٍ فَيُغْـسَلاَ[2]

أراد أن فرسه اقتنص ثور وحش، وبقر وحش، وهي المراد بالنعجة، داركا أي متتابعا متوالي، ولم يعرق ومع ما علم من شدة جري الوحش، وذلك إلا لما اعتاده من التدريب والصبر، حتى عاد له البعيد كالقريب، قلت: وكان نبي الله سليمان عليه السَّلام وفد عليه الأزد، وهم قبيلة باليمن فلما أرادوا الانصراف شكوا له قلة الزاد، فأعطاهم فرسا، فصاروا كلما أرادوا صيدا أجراه إليه أحدهم، فيقتنص ما شاء الله حتى وصلوا إلى اليمن، من القدس، وبينهما مسيرة أكثر من شهرين فسمي ذلك الفرس زاد الراكب[3]، وكان نبي الله المذكور سمَّاه أعرجا. فنسلت منه العرب، فيقال إن جيل خيلهم منه، واستمرت في خيلهم إليه إلى زمن الإسلام.

=

الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 72.

(1) كذا في الأصل والصواب فرسه.

(2) كذا في الأصل والصواب هو:

فَعَـادَى عَـدَاءً بَـيْنَ ثَـوْرٍ وَنَعْجَـةٍ دِرَاكـاً وَلَـمْ يَنْـضَحْ بِمَـاءِ فَيُغَـسلِ

القصيدة من البحر الطويل. امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1978، ص: 38.

(3) يقول عليه الصلاة والسلام: (إنما يكفي أحدكم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب) رواه الطبراني في الكبير ج78/4. وهو في صحيح الجامع رقم: 2384. يعني الشيء اليسير الذي يبلغه المقصود. محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، ج4، ص: 353.

ولذا قال الفرزدق[1] في يزيد بن هبيرة[2] - عامل العراق - لما عزله هشام[3] عنه، وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري[4]، فسجن يزيدا، فهرب من سجنه وقد أديرت له الدواب فبلغ الشام في ليلة من العراق مستجيرا بمسلمة بن عبد الملك[5]: [5/4]

(1) الفرزدق: (.. - 110هـ=.. - 728م) همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. يشبه بزهير بن أبي سلمى. وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين. وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان شريفا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه - وكان أبوه من الأجواد الاشراف - وكذلك جده. خير الدين الزركلي، ج3، ص: 98.

(2) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري الأمير: (87 - 132هـ=706 - 750م) والى العراقين، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 190. له ذكر في الأخبار قاله الهيثم بن عدي. الأصبهاني، فتح الباب في الكنى والألقاب، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، ط1، 1996، ص: 291.

(3) هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (72هـ - 105هـ) الخليفة الأموي العاشر، بلغت الفتوحات الإسلامية في عهده أقصى اتساعها، خير الدين الزركلي، الأعلام.

(4) خالد بن عبد الله القسري: الأمير المشهور. خالد بن عبد الله القسرى البجلى اليماني، كان بواسط ثم قتل بالكوفة قريبا من سنة مائة وعشرين، عن ابيه عن جده، روى عنه سيار أبو الحكم، هو الذى قال يوم الأضحى: إنى مضح بالجعد بن درهم زعم أن الله لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ إبراهيم خليلا ثم نزل فذبحه - قاله قتيبة حدثنا القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال: شهدت خالدا، وهو أخو أسد، حدثنا عبد الله قال حدثنا الليث قال حدثنا يحيى بن سعيد: كان رجل من أهل الجزيرة أميرا علينا خليفة للقسرى وكان رجل صدق. التاريخ الكبير، ج3، ص: 158.

(5) مسلمة بن عبد الملك: (.. - 120 هـ =.. - 738 م) مسلمة بن عبد الملك بن مروان، أحد أمراء بني أمية. اعتمدت في اسم أبيه على طبقات الأطباء 2: 39 وخلاصة الاثر 4: 8 وأخبار الحكماء 214 وسماه ابن حجر في الفتاوى وصاحب جلاء العينين 86 (مسلمة بن القاسم) . واعتمد في تاريخ وفاته على طبقات الأطباء وأخبار الحكماء أيضا، وفى جلاء العينين وخلاصة الاثر أنه توفى سنة(353 هـ) . خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 224.

نَجَـوْتَ وَلَـمْ تَمْـنُنْ عَلَـيْكَ طَلَاقَـةً سِوَى شَكِّ التَّقْرِيبِ مِنْ آل أَجْوَعَا[1]
وَبُعْدٌ عَنِ الرَّذَائِلِ مَعَ صَوْنِ همَّةٍ وَإِغْـلاَقِ بَـابِ القِـيلِ وَالقَـالِ سَـابِعُ

الـرذائل مفـرده رذيـل وهـو الدنـيء، الخـسيس، وأصـل الهمـة كمـا فـي المصباح[2]: العزم، من همَّ بالشيء، ويقال: له همَّة عالية والمراد هنا الثاني، ذلك أنَّ الهمَّة هي الحس وحفظ اللسان والارتفاع عن كل خلق رديء. (وأعلا)[3] الناس هممًا الصوفية، ولذا قال مادحهم[4]:

هُـمُ الـسَّلاَطِينُ فِـي أَثْـوَابِ مُـسْكنَةٍ اسْـتَعْبَدُوا مِـنْ مُلُـوك الأَرْضِ أَقْـيَالاَ
غُبْـرٌ مَلاَبِـسُهُمْ غُـرٌّ مَعَاطِـسُهُمْ جَـروا عَلَـى قلَـلِ الخَـضْرَاءِ أَذْيَـالاَ

وقال غيره:

إِذَا أَعْطَـشَكَ رَكَـدُ اللَّيَالَـي كَفَـتْكَ القَـنَاعَةُ شَـبْعاً وَرَيَّـا
فَكُـنْ رَجُـلاً (رِجْلُـكَ)[5] فِـي الثَّرَى وَهِمَّـةُ هَامَـتِكَ فَـوْقَ الثُّـرَيَّا

وقد أعطى هارون الرشيد مالا عظيما للفضيل بن عياض[6]، فرده عليه وقال: لا أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي! وقوله (وإغلاق باب القيل والقال سابع)،

(1) هذا البيت من البحر الطويل.

(2) المصباح: هو المصباح المنير في غريب الشرح الكبير وهو كثير الفائدة حسن الإيراد لصاحبه أحمد بن محمد الفيومي، ثم الحمي نسبة إلى حماة. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 590.

(3) كذا في الأصل والصواب أعلى.

(4) ينسب هذين البيتين إلى: سعيد الغشدي بن محمد بن راشد بن بشير الخليلي الخروصي من شعراء القرن الثاني عشر. والقصيدة من البسيط. انظرها في محاضرات في الأدب واللغة لليوسي، وفي الكشف والمكاشفة عند الصوفية، بيروت، ط 2، 1982، ص: 361.

(5) كذا في الأصل، والصواب:

فَكُـنْ رَجُـلاً رِجْلُـهُ فـي الثَّـرَى وهَامَـةُ هِمَّـتِهِ فِـي الثُّـرَيَّا

(6) الفضيل بن عياض (105 - 187هـ=723 - 803م) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها. من كلامه: "من عرف الناس استراح ". خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 153.

هو من معنى البعد عن الرذائل، وهو إشارة إلى العزلة عن الناس والانفراد عنهم، ولذا قالت عائشة رضي الله عنها "مُحَبَّبَةٌ له صلى الله عليه وسلم الخلوة"، وقال ﷺ "الخلوة عبادة"[1].

قال ابن أبي جمرة[2] فالخلوة نفسها عبادة فإن زيد عليها شيء من الطاعات فهو حسن. إلا أن الانقطاع الدائم ليس من السُّنة، وقال ابن عطاء الله[3] في الحكم: "ما نفع القلب شيء مثل عزلة، يدخل بها ميدان فكره "، لأن أمراض القلب إنما تكون بصحبة الأضداد، ووقوفهم المعتاد. وانقياده إلى هذا [4] النفس، واتسم بعالم الحس. ومداواة هذا المرض يتأتى من وجوه أنفعها فيه العزلة عن الناس، ليغلق عن نفسه باب القيل والقال، وتطرق المقال. وهما اسما مصدر للقول الذي هو مصدرا[5] والقول في الخير، والقال والمقالة في الشر.

وَأَيْضاً لِعِرْضِ المَرْءِ فِيهِ سَلاَمَةٌ وَحِفْظٌ لِدِينِهِ وَذَلِكَ تَاسِعُ

العِرض بكسر العين المهملة؛ هو جانب الرجل الذي يصونه، من نفسه وحسبه، أو هو موضع المدح أو الذم منه، أو ما يفتخر به من نفس وشرف، وأما بفتح العين فهو ضد الطول[6] والمعنى أن في الاشتغال بالصيد سلامة لعرض

(1) الحديث ورد بصيغ منها قوله عليه الصلاة والسلام: "خيركم الأتقياء الأصفياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا، وقال لا تدعوا حظكم من العزلة فإن العزلة لكم عبادة" انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص: 1806.

(2) سبقت ترجمته، ص: 116.

(3) ابن عطاء الله السكندري: المنسوب إلى الاسكندرية، حيث ولد وعاش، إلى أن غادر إلى القاهرة بعد موت شيخه أبي العباس. اشتهر عن ابن عطاء خصومته لشيخ الإسلام ابن تيمية الذي كان معاصراً له والتسبب في حبسه واستعداء السلطان عليه. والسكندري هو الذي جمع أقوال الشاذلي والمرسي وترجم لهما، وحفظ تراثهما. وجميع الطرق الشاذلية في مصر ترجع بالسند إليه، وإلى ياقوت العرشي تلميذ المرسي. توفي ابن عطاء بالقاهرة سنة 709 هـ، ودفن بمقبرة المقطم بسفح الجبل بزاويته. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 194.

(4) كذا في الأصل والصواب هذه.

(5) كذا في الأصل والصواب مصدر.

(6) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1979، ج4، ص: 269.

الإنسان، وحفظ لبدنه من قرناء السوء الذين لا تصلح مخالطتهم، فيأمن دخول الآفات عليه بنبذ صحبتهم، فيتخلص بذلك من المعاصي التي يقترفها بالمخالطة، مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع. فيسلم بذلك من الطباع الرديئة، والأخلاق الدنيئة، ومن الخصومة وأنواع الشرور والفتن. فإن للنفس مولعا[1] وتسارعا إلى الخوض في ذلك. قال أبو إسحاق الألبيري[2]:

وَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُمْ كَمَا تَخْشَى الضَرَاغِمَ وَالسِّبِنْتَا[3]
وَجَانِبْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِذَاراً وَكُنْ كَالسَّامِرِي إِذَا لَمَسْتَا
وَفِيهِ لأَهْلِ الدِّينِ وَالفَضْلِ عِبْرَةٌ وَتَذْكِرَةٌ لَهَا لَدَيْهِمْ مَوَاقِعُ

(الفضل) ضد النقص والجمع فضول، ورجل فضال كثير الفضل، والفضيلة، الدرجة الرفيعة في الفضل والاسم الفاضلة، وَفَضُلَ كَكَرُمَ ونصر وعلم، و(الدين) الإسلام، والمراد هنا العبادة والطاعة. والعِبرة بكسر العين الاعتبار، والعجب، واعتبر تعجب وبفتحها الدمعة[4]، كما يأتي، يعني أن من قام بهما معا من أهل

(1) كذا في الأصل والصواب: فإن للنفس ولوعا وتسارعا، كي يستقيم المعنى.

(2) أبو إسحاق الألبيري (375هـ - 460هـ): هو إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الألبيري، شاعر أندلسي، أصله من أهل حصن العقاب، اشتهر بغرناطة وأنكر على ملكها استوزاره ابن نَغْزِلَّة اليهودي فنفي إلى إلبيرة وقال في ذلك شعراً فثارت صنهاجة على اليهودي وقتلوه. شعره كله في الحكم والمواعظ، أشهر شعره قصيدته في تحريض صنهاجة على ابن نغزلة اليهودي ومطلعها (ألا قل لصنهاجةٍ أجمعين) . وله ديوان نشره الأستاذ غرسيه غومس. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ، ج4، ص: 12. انظر: ترجمته في المغرب ج2، ص: 132. في ديوان أبي إسحاق (خالطهم بدل جانبهم) والقصيدة من (112) بيتا من بحر الوافر.

(3) كذا في الأصل والصواب السِّبِنْتَى. ابن عجيبة، البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، ج4، ص: 445.

(4) فأمّا الاعتبار والعِبْرة فعندنا مقيسانِ من عَبْرِي النَّهر؛ لأنّ كلَّ واحدٍ منهما عِبرٌ مساوٍ لصاحبه، فذاك عِبرٌ لهذا، وهذا عِبرٌ لذاك، فإذا قلت اعتبرت الشَّيء، فكأنك نظرتَ إلى الشَّيء فجعلتَ ما يَعْنِيك عِبراً لذاك: فتساويا عندك. هذا عندنا اشتقاقُ الاعتبار، والعِبرة: الاعتبارُ بما مضى. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1979، ج4، ص: 210.

الفضل والدين عن[1] التفكر والتذكر والاعتبار في مصنوعات الله، وعجائب مخلوقاته بسبب المخالطة مع الناس، فإنه يجد السبيل إلى ذلك بالاصطياد، يدخل ميدان فكره بذلك الارتياد، لبعده عنهم، لأن بالعزلة يجتمع همه، ويقوا[2] /[5 - 6] في ذات الله عزمه، فقد قيل: إن العبد ليعقد في خلوته على خصال من الخير، فإذا خالط الناس انحلت كلها. وقال عيسى عليه السلام: "طوبى لمن قلبه ذاكرا وصمته فكرا ونظره عبرة"وقال الحسن: "الفكرة مرآة تريك حسنك من سيئك"[3]. وقيل لأم أبي الدرداء ما كان أفضل عمل أبي الدرداء[4] ؟ قالت: التفكر، وذلك لأنه يصل به إلى حقائق الأشياء .

وَيُورِثُ طِيبَ النَّفْسِ وَالجُودِ وَالسَّخَا وَيَأْلَفُ مِنْهُ الصَّبْرُ مَنْ هُوَ جَازِعُ

يعني أن الاصطياد يكسب طيب النفس لنفيه الهموم كما يأتي، لأن النفس إن انتفت همومها وانجلت غمومها، طابت وزكت وأمنت الجبن، وباعدت الضيق وقرت العين، أو أنه أراد الطيب الذي هو ضد الخبيث، لأن ملازمة القفار، وهبوب الصبا بالأسحار، بين (سلمها وضالها) وشيحها وقيصومها وسناها وأتربتها، يطيب النكهة ويعذب الريق ولذا قيل: عليك بسائمة الأيل لبعدهن عن قاذورات الحاضرة وعفونتها وسهولة مساطبها لا سيما روائح الدباغة والمذبح والمرحاض ونحو ذلك.

---

(1) كذا في الأصل والصواب (في)

(2) كذا في الأصل والصواب (ويقوى) .

(3) هذا القول ورد بصيغ مختلفة أهمها ما نسبه النويري إلى علي بن الحسين " الفكرة مرآة تري المؤمن سيئاته فيقلع عنها، وحسناته فيكثر منها". ابن عجيبة، إيقاظ الهمم شرح متن الحكم، ص: 24. والنويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتاب المصرية، مصر، ط 2/ 1992، ص: 930.

(4) أبو الدرداء (000 - 32هـ=000 - 652م) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، أبو الدرداء: صحابي، من الحكماء الفرسان القضاة، كان قبل البعثة تاجرا في المدينة، ثم انقطع للعبادة، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك، وفي الحديث "عويمر حكيم أمتي" و" نعم الفارس عويمر". وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب، وهو أول قاض بها، قال ابن الجزري: كان من العلماء الحكماء، وهو أحد الذين جمعوا القرآن، حفظا، على عهد النبي ﷺ بلا خلاف مات بالشام. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 98.

لأن الرائحة المنتنة تخرق الخيشوم وتصل إلى الأمعاء فتؤذي الإنسان، وذلك أدل دليل على عدم طيب الفم، لذا كثر استعمال أهل الحاضرة للطيب.

وقوله: (ويألف منه) أي أن الأمر إذا دام على الاصطياد، ووطن نفسه على تلك المهابة والأوهاد، زال عنه الجبن والجزع في الحروب، وصبر لمقاسات الكروب، لما اعتاد من تزاحم المهالك، وتقاذف الهوالك، فلا يلين لمن سواه، ولا يجزع ممن حاربه وعداه، و(سخا) كسعى هو الجود، والجمع سخيا وسخايا، هذا الذي يفيده القاموس. وقيل الجود بالكثير والسخاء بالقليل.

وَيَنْفِي الهُمُومَ المُهْرَمَاتِ عَنِ الفَتَى وَيَقْمَعُ وَفْدَ الشَّيْبِ كَيْ لا يُسَارِعُ

هذا من معنى ما قبله من قوله، طيب النفس على التقدير الأول و"المحرجات" واحدها حرج ككتف، أصله المكان الضيق كثير الشجر، تقول: أحرجت فلانا؛ آثمته، وإليه؛ ألجأته وليلة محراج شديدة القر[1]، والمراد هنا شدة ضيق الصدر، أي أن الاصطياد ينفي الهموم التي تضيق بها النفس فينتشر به ويكثر انبساطها كما مر. (ويقمع وفد الشيب)؛ قمع يقمع بفتح الميم فيهما من قمعه إذا صرفه عما يريد، و(الوفد): القدوم، وهو لغة قدوم، شريف قوم على أمير ونحوه يقال: وفد عليه وإليه وفود ووفادة[2]، فلم يعني أن الاصطياد يؤخر على الصائد مجيء الشيب فلا يسرع إليه، وما ذلك إلا لنفي همومه، وذهاب عمومه، وصفاء مرآة قلبه، لأن الهم يسرع بالشيب كما قيل شيب الرأس من الهموم.

وَيُورِثُ عِنْدَ الالْتِحَامِ شَجَاعَةً بِهِ مِنَ السِّرِّ الخَفِيِّ بدَائِعُ
كَرَعْيِ نِظَامٍ وَافْتِقَادِ رَعِيَّةٍ وَحِفْظِ جَنَابٍ مِنْ عَدُوٍّ يُنَازِعُ ويورث[3]

قوله: (يورث)؛ هو من معنى يألف منه الفتى وهو جازع، والاقتحام؛ الهجوم. يقال: قحم في الأمر كنضر، قحوما، رمى بنفسه فيه فجأة بلا رؤية وقحمته

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 07.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، ص: 129.

(3) عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، ج2، ص: 99.

تقحيما، وأقحمته فانقحم والقحمة بلدة باليمن[1] والشجاعة شدة القلب عند اللقاء، والشجاع كسحاب وكتاب وغراب [7/6] والجمع شجعان بالضم والكسر. وقوله (وفيه من السِّرِّ الخفِي) أي الذي لا يدرك إلا بتأمل.

وقوله (بدائع) أي أمور اخترعت على غير مثال بتقدم ليتعجب الإنسان من صنع الله، وإتقان حكمه، ومثال ذلك، فقوله (كرعي نظام) أصله خيط ينظم فيه لؤلؤ ونحوه بتناسب، والمراد هنا إصلاح الناس واتفاقهم على رأي واحد، حتى لا يكون بينهم خلاف، أما افتقاد الرعية فهو من حسن السياسة، وبديع الرياضة، وكان من معنى ما قبله، يقال: ساس الناس يسوسهم إذا ضبط أمرهم وقام بهم، والمعنى: أن تدبير أمر الاصطياد ومعرفة أحواله، وتأمل حاله، يكسب الأمر لنظام الرعية وافتقاد شؤونهم، وحفظ جنابهم، من العدى[2] المنازعين لهم حتى لا يجدوا إليهم سبيلا. الأمر أن كسرى[3] ملك الفرس واسمه أنو شروان قسم دهره على أربعة أقسام، فجعل يوم الغيوم للاصطياد، ويوم الريح للنوم، ويوم المطر للشرب، ويوم القايلة[4]

---

(1) القحمة: بليدة قرب زبيد وهي قصبة وادي ذوال بينها وبين زبيد يوم واحد من ناحية مكة وهي للأشاعرة فيها خولان وهمدان. وهي قرية باليمن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج4، ص: 311.

(2) ومنه العُدْوانُ، قال: وكذلك العَدَاء، والاعتداء، والتعدِّي. وقال أبو نُخَيلة:

ما زال يَعدُو طَورَه العبدُ الرَّدِي ويعتدي ويعتدي ويعتدي

قال: والعُدْوان: الظلم الصُّراح. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 249.

(3) كسرى: ملك الفرس أنوشروان(531م - 579م): كسرى الأول، أو خسرو أنوشروان. ملك فارس من الساسانيين. حارب القائد الروماني يوستينياس واحتل انطاكية ولاذق أو اللاذقية في سورية. أجبر على عقد هدنة مع البيزنطيين عام 555م. استولى على اليمن عام 570 م بعد أن استنجد به أهلها لمساعدتهم ضد الأحباش. اشتهر بعدله وبمشاريعه العمرانية كمسح الأراضي واصلاح نظام الضرائب. كانت عاصمته المدائن في شرق العراق. توفي عام 579 م. و(كسرى انو شروان) تعني في لغتهم: (الروح العالية) أو (High Spirit) . ابن ناصر الدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1993، ج9، ص: 123.

(4) القاضي عياض (476 - 544هـ =1083 - 1149م) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم =

لقضاء الحوائج، (انظر شفاء القاضي عياض، رحمه الله).

نوَى تَدْبِيرُ أَمْرِ الحَرْبِ وَالفَتْكِ بالعِدَى أُسُــودِ الإِنْــسِ وَالــوَحْشُ تَابِــعُ

(الفتك) مثلث: ركوب مما همَّ من الأمور ودعت إليه النفس كالفتوك والإفتاك وهو فاتك، جرئ شجاع وفتك به: انتهز منه فرصة فقتله، أو جرحه مجاهرة أو أعم. انظر القاموس[1].

والمعنى أن الاصطياد يكسب بمنعة كيدك، الصيد وعزته وخلقه وتدبير أمر الحرب، والفتك بالأعداء، وصيد أسودهم، أو شجعانهم بما ألهم الله الإنسان من المكايد والدسائس، حتى يصير صيد الوحوش تابع[2] لصيد أسود الإنسان، ومن هذا المعنى قيل: من يقتل البار هو الذي يقتل الفاجر وقد يتبين ما مر في قوله:

إِذِ الحَــرْبُ خُدْعَــةٌ وَكَــيْدٌ فَــرُبَّمَا تَحَــيَّلَ بِالقَــنْصِ الــدُّهَاةُ التَّــبَابِعُ

(خدعة)كمنعة خدعا، ويكسر، ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم والاسم الخديعة والحرب خدعة مثلثة[3]، والكيد المكر والمكيدة والحيلة، وهما يتكايدان ولا تقل وهما يتكاودان[4]، والقنص من قنص إذا صاده ومحركة المصيد[5] فقوله: (إذا الحرب) راجع لقوله (وتدبير أمر الحرب والمعنى أن الحرب كما

=

الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموما، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " و" الغنية " في ذكر مشيخته، و" ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك " أربعة أجزاء وخامس للفهارس، و" شرح صحيح مسلم " و" مشارق الأنوار " مجلدان، في الحديث، و" الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع " في مصطلح الحديث وكتاب في " التاريخ". وجمع المقري سيرته وأخباره في كتاب " أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ". خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 99.

(1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط،: ج3، ص: 314.

(2) كذا في الأصل والصواب: حتى يصير تابعا.

(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 16.

(4) نفسه، ج3، ص: 334.

(5) نفسه، ج2، ص: 315.

(كان)[1] خدعة وكيدا، فربها تخيل من قنص المصيد. و(الدهات)[2]، هم أهل الرأي الجيد، المتمكن تدبيرهم في الحروب من القوة، والحيلة، والمكر والخديعة، والروغان وقوله (التبابع) هم ملوك اليمن، ولا يقال له تبَّع إلا إذا ملك اليمن وحضر موت وحمير، وإلا قيل له ملك فقط[3]، والمشهور منهم تبع بن وردع[4]، من موته إلى البعثة ألف عام. وتبع يرعش وتبع العبد ذو الاذعار وحسان الذي باد جديسا[5] وغيرهم مما لا يحصى، وآخرهم سيف بن ذي يزن[6]، مات والنبي ﷺ، صغير في حجر جده عبد المطلب.

فَأَظْفَرَهُمْ بِكُلِّ عَادٍ مُعَانِدٍ عَلَى غُرَّةٍ فَضَرَّجَتْهُ الضَّرَاجِعُ

أي أن الدهاة التبابع ظفروا بكل عاد أي متعد معاند لهم ومبارز لهم على غرة ومكر وخديعة التي أخذت من غرة قنص الصيد والضمير في طرحته[7] بمعنى طرحته راجع للعادي المعاند، والضراجع ضرجع بالضاد. لم أقف على معناها لغة، ولعله الشجاع لطرحته أسود الحرب صريعة على الجدالة وهي الأرض، والغرة هي الإتيان على غفلة.

وَيُصَفِّي دِمَاغَ المَرْءِ وَالجِسْم جُمْلَةً مِنْ أَخْلاَطِ سُوءٍ أَوْ فُضُولٍ تُصَادِعُ

---

(1) كذا في الأصل والصواب كانت.

(2) كذا في الأصل والصواب الدهاة.

(3) قال الجوهري: التبابعة ملوك اليمن، والتبع: الظل، والتبع: ضرب من الطير. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج8، ص: 39.

(4) شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ج16، ص: 119.

(5) نفسه، ج16، ص: 119.

(6) سيف بن ذي يزن: ذو يَزَن: هو النعمان بن قيس الحميري ملك اليمن، وهو والد سيف بن ذي يزن. ويَزَن: بفتح الياء تحتها نقطتان، وفتح الزاي، وبالنون، اسم واد باليمن أضيف إليه ذو يَزَن. وقصته مع عبد المطلب مشهورة. ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح: بشير عيون، دار الفكر، بيروت، ج12، ص: 379. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص: 183.

(7) كذا في الأصل والصواب ضرجته.

أي أن الاصطياد يصفي دماغ المرء الذي هو [8/7] محل العقل على أحد القولين ويصفي الجسم أي الجسد جملة من اختلاط سوء أي التي تسوءه، بمعنى تمرضه وتوهنه كالصفراء والسوداء والأرياح الغلاظ وغير ذلك مما يمازح آلام الجسد، (أو فضول)، بضم الفاء أي عوارض كالعقاقير، وضرب العروق. (تصادع)، أي تجلب صداعا بضم الصاد وهو الأصل، وجع الرأس، والمراد هنا كل ما يضعضع البدن، فالاصطياد على هذا يقطع الأمراض كما يقطع الرمد عرقَ (العما)[1]، وكما يقطع الزكام عرق الجذام والسعل يقطع عرق البرص كما في الحديث[2].

وَيُغْنِي عَن الطِّبِّ الصَّعِيب عِلاَجُهُ وَمَا مِثْلُهُ لِلْحُزْنِ وَالسُّقْمِ دَافِعُ

(الطِّب)[3] بكسر الطاء المهملة، ويقال بضمها أيضا، والذي في القاموس (الطب)، مثلث الطاء علاج الجسم والنفس، وقوله (الصعيب علاجه): صفة لمحذوف عن الطب، للمرض الصعيب علاجه كما حكي، أن أميرا من الأمراء أصابه الفلج[4]، واهتم بذلك، فأوتي بالأطباء، فأعياهم أمره، حتى أن جاء رجل كبير فقال له: أنا أعالجك فقال له الأمير: لك ما أردت. فذهب الرجل وأتى بأرنب حية، وكسر يديها ورجليها، وأخفاها على[5] الأمير، وجعل يمشي معه ويحدثه، وحين

(1) كذا في الأصل والصواب العمى.

(2) إشارة إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تكرهوا أربعا لأربع، لا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عرق الجذام، ولا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عرق العمى، ولاتكرهوا الدماميل فإنها تقطع عرق البرص" انظر إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، باب محاسن إصلاح البدن، دار صادر، بيروت، ط 1، 1970، ص: 632

(3) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 96.

(4) وأما الفلج فأمارته أن يعدو الكلب يوماً ويقصّر في آخر، فيُستدل بذلك على داء في جوفه. ودواؤه ماء الشبِتّ يُعجن بدقيق الدُّخْن ويُطعَمُه الكلب سخناً. أو يُطعم كسرة خبزٍ مع صوفِ شاه معجونٍ بسمنٍ فإنه يلقي ما في جوفه من الداء. ويقال لنصيبه من صيده الحرجُ. بازيار العزيز بالله نزار الفاطمي (ت 386هـ)، البيزرة، ص: 47.

(5) كذا في الأصل والصواب عن.

الرواح إلى داره أطلقها بين يديه (فجئة)[1] وتأخر، فانتبه الأمير وجعل يريد قبضها وهي تتملص له حتى قبضها فشكره على شفائه بقدرة الله، وقال له الرجل: هذا دواء (فوصله صلة سنية)[2]. وأما قوله: (وما مثله للحزن...) فقد تقدم ما يغني عنهما معا.

وَقَدْ جَاءَ (سَافِرُوا تَصِحُّوا وَتَغْنَمُوا) وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِ النُّبُوَّةِ شَائِعُ

السفر ضد الحضر، والسافر، المسافر لا فعل له والقليل اللحم من الخيل وبهاء أمة من الروم كأنه لبعدهم وتوغلهم في المغرب، ومنه الحديث لولا أصوات السفارة[3] لسمعتم وجبة الشمس[4]، وقوله: جاء أي في الحديث[5] وقوله (تصح)[6] لأن السفر من جملة طب المرض ومنه السعي لاقتناص الصيد، قد مر ما مثله.

وفي الحديث أيضا قيام الليل ينفي الذنوب ويصحح البدن قاله ابن أبي جمرة[7]. وقوله: (تغنمي) بفتح النون وماضيه غنم بكسرها فهو من باب علم، والمعنى: تنقلبوا إلى أهلكم بغنيمة ما أفاء الله عليكم إما ربح تجارة أو غنم في غزو أو قنص وحوش ونحو ذلك. وقالوا في الحركة بركة، وقالوا أيضا: الحركة ولود والسكون عقيم، وعن أبي هريرة ﷺ " لو يعلم الناس برحمة الله للمسافر لم يصبح

---

(1) كذا في الأصل والصواب فجأة.

(2) أي بلغ به من التقديم والإكرام أعلى محل وجزاه خير الجزاء.

(3) كذا في الأصل والصواب السافرة وفي حديث سعيد " لَوْلا أَصْوَاتُ السَّافِرة لَسمِعْتُم وَجْبَةَ الشَّمس " أي سُقُوطَها مع المَغِيب. والوَجْبة: السَّقْطة مع الهَدَّة وهي أمة من الروم.

(4) ابن الجوزي، غريب الحديث، تح: عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، ج1، ص: 483.

(5) الحديث قوله ﷺ: "سافروا تصحوا وتغنموا". أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، حيدر آباد، الطبعة: الأولى - 1344 هـ، ج7، ص: 102.

(6) كذا في الأصل والصواب تصحّوا.

(7) ابن أبي جمرة: هو أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المالكي، (... - 699هـ) مقرئ، محدث، من تصانيفه: بهجة النفوس وتحليها بذكر ما لها وما عليها، ومختصر صحيح البخاري. انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج. لأبي العباس أحمد بن أحمد بن عمر المعروف ببابا التنبكتي. مطبوع بهامش الديباج المذهب لابن فرحون المالكي، طبع دار الكتب العلمية بيروت، ط1979، ج4، ص: 237.

على ظهرها مقيم ". وفي الحديث أيضا: "عليكم بالدلجة[1] فإن الأرض تطوي بالليل[2] "، وعن كعب بن مالك: أكثر سفره ﷺ يوم الخميس، وكره سفر الرجل وحده، وقال: الراكب شيطان، والراكبان شيطانان والثلاثة ركب. قال ابن عبد ربه: و(دليله)[3] الحث على ترك الإقامة بدار الهوان، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[4]؛ وقول الناظم[5] (وذلك من قول النبوة شافع) صدق في ذلك إلا أن في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه إسقاط لفظ (تصح)[6] انظره. **لطيفة:** قال أعرابي لما منعه أبوه السفر[7]:

أَلَا خَلِّنِي أَمْضِي لِشَأْنِي وَلاَ أَكُنْ ... عَلَى أَهْلِ كَلاَّ إِنَّ ذَا لَشَدِيدُ
تُهِيبُنِي هَوْلَ السَّفَارِ وَلَمْ أَكُنْ ... لِأَرْهَبَ عَمَلاً لَيْسَ عَنْهُ مَحِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَعُرِفَ مَجْلِسِي ... وَقَالُوا إِذَا أَخْطَأْتَ أَنْتَ رَشِيدُ
فَدْعِنِي أَجُولُ الأَرْضَ عُمْرِ لَعَلَّهُ ... يُسَرُّ صَدِيقٌ أَوْ يُسَاءَ حسود

---

(1) "عليكم بالدلجة": أى الزموا سير الليل. "فإنما يطويها الله": أى لا يطوى الأرض للمسافر فيها حينئذ إلا الله عز وجل إكرامًا له حيث أتى بهذا الأدب الشرعى. انظره في: البيهقي، السنن الكبرى، ج5، ص: 256. النسائي، السنن الكبرى، ج6، ص: 236.

(2) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، رقم: 1630، ج1، ص: 613.

(3) كذا في الأصل والصواب دليل.

(4) الملك: 15.

(5) كذا في الأصل والصواب الناظم.

(6) بعد تصفحنا لكتاب العقد الفريد وجدنا بأن كلمة " تصحوا" موجودة على عكس ما ذهب إليه الشارح أو ربما النسخة التي نقل منها ناقصة. انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه: 509.

(7) اختلاف في بعض التراكيب، يقول:

أَلاَ خَلِّنِي لِشَأْنِي وَلاَ أَكُنْ ... عَلَى الأَهْلِ كَلاَّ إِنَّ ذَا لَشَدِيدُ
تُهِيبُنِي رَيْبَ المَنُونِ وَلَمْ أَكُنْ ... وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتَ أَنْتَ رَشِيدُ
فَدَعْنِي أَجُولُ الأَرْضَ عُمْرِي لَعَلَّهُ ... يُسَرُّ صَدِيقٌ أَوْ يُغَاظَ حَسُودُ

وينظر: الإبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة، ط 1، 1304 هـ، ص: 466.

ومما مدح به السفر قول صفي الدين الحليّ[1]:

تَـنَقَّلْ فَلَـذَّةُ الهَـوَى فِـي التَّـنَقُّلِ وَرِدْ كُـلَّ عَـذْبٍ لاَ تَقِـفْ عِـنْدَ مَـنْهَلِ
وَفِي الأَرْضِ أَخْبَارٌ وَفِيهَا عَجَائِبٌ وَلاَ(تَبْكِي)[2] مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
وَلاَ تَسْمَعْ قَوْلَ امْرِئِ القَيْسِ لِأَنَّهُ مُقِـلٌّ وَمَـنْ ذَا يَهْـتَدِي بِمُقِـلِّ

وللقاضي عبد الوهاب[3]:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَبِ العُلاَ وَسَـافِرْ فَفِـي لأسـفار خَمْـسُ فَـوَائِدِ
تَفْـرِيجُ هَـمٍّ وَاكْتِـسَابُ مَعِيـشَةٍ وَعِلْـمٌ وَآدَابٌ وَصُـحْبَةُ مَاجِـدِ [4]

وعارضه القاضي عياض [5] بقوله:

تَقَعَّـدْ عَـنِ لأسـفار إِنْ كُـنْتَ طَالِـباً (نَجَاتـاً) فَفِـي لأسـفار سَـبْعُ عَوَائِـقِ
تَـوَحُّشُ إِخْـوَانٍ وَفَقْـدُ أَحِـبَّةٍ وَتَبْذِيـرُ أَمْـوَالٍ وَخِـيفَةُ سَـارِقِ
وَكَثْـرَةُ أَوْحَـاشٍ وَقِلَّـةُ مُـؤْنِسٍ وَأَعْظَمُهَـا يَاصَـاحِ سُـكْنَى الفَـنَادِقِ
فَإِنْ قِيلَ فِي لأسفار طِيبُ مَعِيشَةٍ وَعِلْـمٌ وَآدَابٌ وَوُجْـدٌ مُوَافِـق
فَقُـلْ كَـانَ ذَا دَهْـرًا تَقَـادَمَ عَـصْرُهُ وَأَغْقَـبَهُ دَهْـرٌ شَـدِيدُ التَّـضَايُقِ
وَمَارِئـيَ مَفْلُـوجًا مَـرِيغَ طَـرِيدَةٍ حَكَى عَـنْ ذَوِي التَّجرِيبِ قَوْمٌ بَلاتِعُ

---

(1) صفي الدين الحلي: (678 - 750هـ/ 1279 - 1349م): عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العز ابن سرايا بن باقي بن عبد الله، الشيخ الإمام العلامة الشاعر الأديب البليغ صفي الدين أبو المحاسن الطائي السنبسي الشاعر المشهور. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 17.

(2) كذا في الأصل والصواب: لا تبك.

(3) القاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي المالكي(ت422 هـ): هُوَ الْقَاضِي شيخ المالكية، أبو مُحَمَّد عَبْد الوهاب بن عَلِيّ بن نصر التغلبي العراقي، لَهُ مصنفات في المذهب المالكي منها: "التلقين " و" الْمَعْرِفَة "، توفي سنة (422هـ) . انظر ترجمته في: المنتظم 61/8، وسير أعلام النبلاء 429/7 و432، والعبر 149/3.

(4) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1994، ج4، ص: 108.

(5) سبقت ترجمته.

قال في المصباح[1] الفلج: مرض في أحد شقي البدن طولا فيبطل إحساسه وحركته وربما كان في الشقين، ويحدث بغتة.

وفي القاموس استرخاء أحد شقي البدن لانصباب خلط (بلغم)[2] فتنسدّ منه مسالك الروح. و(المريغ) من راغ الرجل والثعلب إذا مال وحاد عن الشيء والوريغة: الحيلة، وقال معاوية ﷺ لرجل: أنت ثعلب رواغ تدخل في جحْرٍ وتخرج من آخر[3] (والبلاتع) واحدها ابتلع كجعفر وهو الحاذق في كل شيء[4] والمعنى: ما رؤى مفلوجا يراوغ طريدة من الصيد، لأن الاصطياد يقطع عرق الفالج كما يقطع العطاس، وأنفع دواء له الأهلج وكان العَلامة الجاحظ[5] أصابه الفلج فأتاه بعض العمال من السند[6]

(1) وَالْفَالِجُ مَرَضٌ يَحْدُثُ فِي أَحَدِ شِقَّي الْبَدَنِ طُولًا فَيُبْطِلُ إحْسَاسَهُ وَحَرَكَتَهُ وَرُبَّمَا كَانَ فِي الشِّقَّيْنِ وَيَحْدُثُ بَغْتَةً. وَفِي كُتُبِ الطِّبِّ أَنَّهُ فِي السَّابِعِ خَطَرٌ فَإِذَا جَاوَزَ السَّابِعَ انْقَضَتْ حِدَّتُهُ فَإِذَا جَاوَزَ الرَّابِعَ عَشَرَ صَارَ مَرَضًا مُزْمِنًا وَمِنْ أَجْلِ خَطَرِهِ فِي الْأُسْبُوعِ الْأَوَّلِ عُدَّ مِن الْأَمْرَاضِ الْحَادَّةِ وَمِنْ أَجْلِ لُزُومِهِ وَدَوَامِهِ بَعْدَ الرَّابِعَ عَشَرَ عُدَّ مِن الْأَمْرَاضِ الْمُزْمِنَةِ وَلِهَذَا يَقُولُ الْفُقَهَاءُ أَوَّلُ الْفَالِجِ خَطَرٌ وَفُلِجَ الشَّخْصُ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ فَهُوَ مَفْلُوجٌ إذَا أَصَابَهُ الْفَالِجُ. أبو العباس الفيومي الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج7، ص: 244.

(2) كذا في الأصل والصواب بلغمي.

(3) ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 107.

(4) نفسه، ج3، ص: 07.

(5) الجاحظ: عمرو بن بحر البصري، (ت255) من كبار المعتزلة ومنظريهم، أديب ساخر. ومن المطلعين على كتب الفلاسفة، ونظراً لبلاغته في الكتابة الأدبية استطاع أن يدس أفكاره المعتزلية في كتاباته كما يدس السم في الدسم مثل، البيان والتبيين، وتسمى فرقته الجاحظية. عبد العزيز أبابطين، الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين، تح: الوليد بن عبد الرحمن الفريان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1989.

(6) السند: بلاد السند: لسندي بكسر السين المهملة وسكون النون وفي آخرها دال مهملة – هذه النسبة إلى بلاد السند وهي من بلاد الهند والمشهور بالنسبة إليها جماعة منهم أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي مدني روى عن نافع وهشام بن عروة وغيرهما. أبو الحسن الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ط1، 1980، ج2، ص: 148.

بالإهليلج[1] فاستعمله. وقوله (حكى) مبني للفاعل (وقوم) فاعله، و(بلاتع)[2] نعت (وعن... الخ) متعلق بحكى.

وأَيْـضًا يَـزِيدُ فِـي الـذَّكَاءِ وَفِـي الـدَّهَا وَذَلِـكَ كُلَّـهُ إِلَـى العَقْـلِ رَاجِـعُ

(الـذكاء) سـرعة الفطانـة و(الـدهاء) جـودة الـرأي و(الفعـل)[3]، بالكـسر حـركة الإنـس وكـناية عـن كـل فعـل متعد، وبالفـتح مـصدر فعـل كمـنع، وكـسحاب اسـم الفعـل الحـسن، والـدهاة مـن العـرب قـيس بـن زهيـر بـن جذيمـة العبـسي[4]، والمغيـرة بـن شـعبة[5]، وعمـرو بـن العـاص[6]، وإخـوانهم، ويقـال إن أعـرق النـاس في

(1) الإهليلج: الإهليج Myrobalans: ثمرة ذات نواة، من جنس البرقوق ومنه فجاً ومنه حلواً. سراج الدين ابن الوردي، عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص: 125.

(2) بلاتع: من البَلْتَعة التَّكَيُّس والتظَرُّف والمُتَبَلْتِع الذي يتَحَذْلَقُ في كلامه ويَتدهَّى ويتظرَّف ويتكيَّس وليس عنده شيء ورجُل بَلْتع ومُتَبلتِعٌ وبَلْتَعِيٌّ وبَلْتَعانيٌّ حاذق ظَريف متكلم. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج8، ص: 20.

(3) ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2000، ج4، ص: 376.

(4) قيس بن زهير (000 - 10هـ=000 - 631م) قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي: أمير عبس، وداهيتها، وأحد السادة القادة في عرب العراق، كان يلقب بقيس الرأي، لجودة رأيه. ويكنى أبا هند. وهو معدود في الامراء والدهاة والشجعان والخطباء والشعراء. ورث الإمارة عن أبيه. واشتهرت وقائعه في حروبه مع بني فزارة وذبيان. وحكمته في مأثور كلامه مستفيضة، وخطبه غير قليلة، وشعره جيد فحل. زهد في أواخر عمره، فرحل إلى عمان. وعف عن المآكل حتى أكل الحنظل. وما زال في عمان إلى أن مات. ويضرب بدهائه المثل. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 206.

(5) المغيرة بن شعبة: (؟-50هـ) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، صحابي جليل، أسلم قبل عمرة الحديبية، وشهدها وبيعة الرضوان، وكان من دهاة العرب. مات سنة خمسين عند الأكثر. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص ص: 433 - 434.

(6) عمرو بن العاص: (ت43هـ - 664م) قائد عربي شهير، فاتح مصر ووالیها بنى مدينة الفسطاط، اشترك في التحكيم بعد صفين ونصر معاوية، توفي في القاهرة. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزهراة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ط2، 1963، ص: 56.

الدهاء ثقيف[1].

يحكى أن الأقرع بن حابس التميمي[2] حضر مع النبي ﷺ، في حصار الطائف[3]، وكان من المؤلفة[4] فقال ماحملني على الغزو مع محمد ﷺ، إلا طمعا أن أغنم جارية ثقيفية فنأتي معها بابن يكون من دهاة العرب.

وَفِيهِ حُظُوظُ النَّفْسِ مِنْ كُلِّ بُغْيَةٍ وَكُلُّ سُرُورٍ بالْمُبَاحِ فَوَاسِعُ

(الحظُّ)[5]: النصيب والجد، خاص بالنصيب من الخير، والبِغية بالكسر، ما ابتغى وحبب إليك أي أن في الصيد حظوظا، نصبا[6] للنفس من كل ما ابتغته ورضيته ومالت إليه[7] من ثورانه والفرجة عليه حين يرهشه[8] الكلب أو الباز وقنصه

(1) ثقيف: قبيلة عربية عدنانية سكنت الطائف أسلمت واشتركت في الفتوح؛ وثقيف قبيلة كبيرة منها جماعة جَمَّة من الصحابة فمن بعدهم الثاني نُسب إليهم وليس منهم وهو عبد الواحد بن زياد قال أبو محمد ابن قتيبة هو مولى لقيس نُسب إلى ثقيف. ونسبها يرجع إلى ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ثقيف قسي، ونزلت أكثر هذه القبيلة بالطائف وانتشرت منها في البلاد. السمعاني، الأنساب، ج1، ص: 508.

(2) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي، وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنينا والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه، وكان شريفا في الجاهلية والإسلام وشارك في الفتوحات، وقيل إنه قتل في اليرموك في عشرة من بنيه الإصابة، ج1، ص ص: 72 - 73.

(3) الطائف: مدينة صغيرة شامية الهواء باردة الماء أكثر فواكه مكة منها موضع الرمان الكثير والزبيب والعنب الجيد والفواكه الحسنة وهي على ظهر جبل غزوان ربما يجلد بها الماء عامتها مدابغ إذا تأذى ملوك مكة بالحر خرجوا إليها. محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق، ط 1980، ص: 101.

(4) يقصد المؤلفة قلوبهم.

(5) ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج2، ص: 512.

(6) كذا في الأصل والصواب أنصبة وأنصباء.

(7) كذا في الأصل والصواب: ومالت إليه نفسك.

(8) رهش: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد =

وإجراء[1] السابق خلفه وجعله شواء أو طبخا كما قال امرؤ القيس:

وَظَــلَّ طُهَــاةُ اللَّحْــمِ مِــنْ مُنْــضِجٍ صَــفِيفٍ شِــوَاءٍ أَوْ قَدِيــرٍ مُعَجَّــلِ

النزاهة بأرض الصيد النقية التي لم (يدنسها)[2] الأقدام، ولم تلق بها الأوغاد والرعاع والطعام، لأن كل سرور بالأمر المباح فهو واسع، أي لا حرج عليك فيه مع أن السادات الصوفية ليس عندهم فعل مباح مستوي الطرفين، يبنون أفعالهم فينوون المباح الصرف على الطاعة فيكون مندوبا. انظر ذلك في محله.

تنبيه: في الحديث الصحيح" إنَّ لهو المؤمن في ثلاثة: رميه عن قوسه، وتأديب فرسه، وملاعبة أهله"[3].

غريبة[4]: كان الأمير تميم[5] بن المعز بن باديس الصنهاجي خرج لنزاهة الصيد بإفريقية، فلما رجع لقيه البشير بأنه ولد له بهذه الغيبة في الاصطياد سبعة عشر ولدا، ولما توفي سنة إحدى وخمسين وأربع مائة خلف أكثر من مائة ابن وستين بنتا.

تنبيه: روى ابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد أن النبي ﷺ قال: "إن الله

=

عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ج3، ص: 1008.

(1) يقصد الهز من الخلف.

(2) كذا في الأصل والصواب تدنسها الأقدام.

(3) ينظر: أبي عثمان سعيد بن منصور الخراساني، كتاب السنن، الدار السلفية، الهند، ط1، 1982، ج2/ 208، رقم: 2454.

(4) هذه الكلمة يستعملها أبي راس الناصر في جل كتاباته، وهي طريقة يعتمدها العلماء للترفيه عن طالب العلم والترويح عنه.

(5) تميم بن المعز ابن المعز الصنهاجي (422 - 501هـ=1031 - 1108م) تميم بن المعز بن باديس بن المنصور، أبويحيى الصنهاجي: من ملوك الدولة الصنهاجية بافريقية الشمالية. ولد بها، في المنصورية. وولاه أبوه المهدية سنة 445 هـ. ثم ولي الملك بعد وفاة أبيه (سنة 454 هـ) وكانت الدولة في اختلال واضطراب، فجدد معالمها، واسترد مدائن سوسة وصفاقس وتونس، بعد أن كان الهلاليون وغيرهم من الثائرين قد غلبوا أباه عليها وأخرجوه إلى المهدية. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 88.

يحب ظهور أثر نعمته على عبده"، وقال: تعمَّمُوا تزدادوا جمالا[1] [10/9] وبعث له ملك الروم جبة ديباج وكساها عثمان ﷺ، وكان الحسن يلبس الثوب بأربعمائة درهم، وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم، ويَدخل المسجد، فقيل له في ذلك، فقال: إنّي أجالس ربي. إلى غير ذلك من الأمور المباحة التي يُسَر بها الإنسان.

تتمة: عد النَّاظم نحو ثمانية عشر منفعة في الصيد على تكرار في بعضها كما مر.

كَقَنْصِ ظِبَاء الإنْسِ فِي حِلّ صَيْدِهَا وَقَنْصِ ظِبَاءِ الوَحْشِ أَوْ مَا يُضَارِعُ

هذا من أمثلة السرور المباح وأراد (بضباء) [2] الإنس؛ الغواني غير المومسات، لأنهن يستغنين بالجمال عن الحُلَى، وهذا شيء ابتلى به كثير من الصلحاء فضلا عما سواهم، ولذا قال الشيخ محمد بن داود[3]:

أُنَزِّهُ فِي رَوْضِ المَحَاسِنِ مُقْلَتِي وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّمَا
وَأَحْمِلُ مِنْ ثِقْلِ الهَوَى مَالَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى الصَّخْرِ الأَصَمِّ تَهَدَّمَا

وقال الشيخ الدارمي[4]:

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الخِمَارِ الأَسْوَدِ مَا شَأْنُكِ بِزَاهِدٍ مُتَعَبِّدِ
قَدْ شَمَّرَ لِلصَّلاَةِ إِزَارَهُ فَقَعَدْتِ لَهُ بِبَابِ المَسْجِدِ
أشغلته عن صيامه وصلاته دعيه بحق النبي محمد

---

(1) شهاب الدين الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1986، ج2، ص: 58.

(2) كذا في الأصل والصواب ظباء.

(3) محمد بن داود الظاهري: أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني المعروف بالظاهري؛ كان فقيها أديبا شاعرا ظريفا، وكان يناظر أبا العباس ابن سريج. انظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص: 259. وابن النديم، الفهرست، ص: 217.

(4) الدارمي (... - نحو155هـ=... - 772م): سعيد الدارمي التميمي، من بني سويد بن زيد: شاعر غزل من المغنين الظرفاء. من أهل مكة. كان ينظم الأبيات ويضع لحنها ويغنيها. من مشهور شعره: (قل للمليحة في الخمار الأسود - البيتين) وكان يغنيهما. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 94.

وشاع في المدينة أن الدارمي تعشق بذات خمار أسود، ورجع عن زهده، فلم تبق امرأة في المدينة إلا اتخذت خمارا أسودًا. وفي تأريخ العلامة القاضي ابن خلكان؛ أن الولي الصالح القطب سيد أحمد ابن الرفاعي[1] كان مع اشتغاله بالعبادة له شعر رقيق، منه:

وَفَوْقِي سَحَابٌ يَمْطِرُ الهَمَّ وَالأَسَى وَتَحْتِي بِحَارُ الهَوَى تَتَدَفَّقُ
سَلُوا أُمَّ عَمْرٍ[2] كَيْفَ بَاتَ أَسِيرُهَا تَفُكُّ الأُسَارَى دُونَهُ وَهُوَ مُوَثَّقُ
فَلاَ هُوَ مَقْتُولٌ فَفِي القَتْلِ رَاحَةٌ وَلاَ هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فَيُعْتَقُ

إلى غير ذلك من أخبارهم ولطائف أشعارهم. ومعنى (يضارع) يشابه.

[مَدْحُ الصَّائِدِ]

بِنَفْسِي عَفِيفًا مُثْرَفًا ذَا نَزَاهَةٍ لَهُ فِي سَمَاءِ المَجْدِ وَالسَّعْدُ طَالِعُ

هذا مشروع في مدح الصائد، أي أفدي بنفسي، فهو متعلق بمحذوف على حدِّ قول العرب: بأبي أنت وأمي، وأول من قاله رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص[3] يوم أُحُد، وهو من تواضعه ﷺ، ويقال (عفَّ) فهو (عفيف) إذا كف عمّا لا يحل، وإن كان غلب عليه الميل إليه كما مر، لأنّ ذلك ليس من مقدوره. قال شاب عشية عرفة لابن عباس[4] رضي الله عنهما:

---

(1) الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي، شيخ الطائفة الأحمدية الرفاعية البطائحية، لسكناه أم عبيدة من قرى البطائح، وهي بين البصرة وواسط، كان أصله من العرب فسكن هذه البلاد، والتف عليه خلق كثير، ويقال: إنه حفظ التنبيه في الفقه على مذهب الشافعي. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص: 382.

(2) كذا في الأصل والصواب عمرو.

(3) سعد بن أبي وقاص (؟ - 55 هـ) هو أبو إسحاق سابع سبعة في الإسلام، أول من رمى بسهم في الإسلام صحابي جليل كان أميرا على الكوفة. ينظر: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ص: 193.

(4) ابن عباس: (؟ - 68هـ/؟ - 687م) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس القرشي الهاشمي. ابن عم رسول الله ﷺ كني بابنه العباس وهو أكبر ولده وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية. وهو ابن خالة خالد بن الوليد. وكان يسمى البحر لسعة علمه ويسمى حبر الأمة. ولد والنبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالشعب من =

وَمَا عَجَباً مَوْتُ المُحِبّينَ فِي الهَوَى وَلَكِنْ فِعْلُ العَاشِقِينَ عَجِيبُ[1]

ومعنى (مترفا)[2]، متنعما قد رسخت في النعيم أقدامه، (ذا نزاهة) عما يشين عرضه، أو عما في أيدي الناس، و(المجد) نيل الشرف والكرم، أي يكون بالآباء أو كرم الآباء خاصة، مَجَدَ كنصر وكرُمَ مجدا، ومجادة فهو ماجد ومجيد، فأتت للمجد أسماء على طريق مجاز الاستعارة، وقوله (والسعد) أي له طالع سعد أي كوكب من كواكب السعود الذي يُعْلِم بالمطر ونحوه. وضده كوكب النحس وما حضر له. بحسب عادة الله في ذلك لأنه قادر لما كان. قال الخليل[3] أحمد ﷺ والكوكب النحسي يسقي الأرض أحيانا.

تنبيه: "سعود النجوم عشرة: سعد بلع وسعد الذابح وسعد السعود وسعد الأنبياء، وهذه الأربعة من منازل القمر" انظر بقيتها في القاموس[4]. وقوله (عفيفا) أي رجلا عفيفا بدليل ما بعده.

لطيفة: خرج هشام بن عبد الملك[5] يتصيد ولقي أول خروجه رجلا مشوه الخلقة وكان يتصيد، فقال له: تعرف حالي وتلقاني في هذا الوجه فأمر به فقيّد

=

مكة فأتي به النبي ﷺ فحنكه بريقه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك ورأى جبريل عند النبي ﷺ. انظر ترجمته في: ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج8، ص: 277، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج4، ص: 82، وسير أعلام النبلاء، ج2، ص: 314.

(1) أورد هذه القصة النويري في كتابه نهاية الأرب، فلتراجع، النويري، نهاية الأرب، ص: 408.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص: 345.

(3) الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي، أبو عبدالرحمن، من أئمة اللغة والأدب، توفي سنة خمس وسبعين ومائة، وقيل: سنة سبعين ومائة. انظر: "إنباه الرواة": (341/1)، و"تهذيب التهذيب": (163/3).

(4) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، م1، ص: 301.

(5) هشام بن عبد الملك بن مروان، أبو الوليد، الخليفة الأموي القرشي، ولد سنة 72هـ، وأصبح خليفة في سنة 105هـ، قال ابن سعد عن سحبل بن محمد: ما رأيت أحداً من الخلفاء أكره إليه الدماء، ولا أشد عليه مثل هشام، وقد دخله من مقتل زيد بن علي وابنه يحيى أمر شديد، حتى قال: "وددت لو كنت افتديتهما "؛ مات سنة 125هـ. طبقات ابن سعد: 326/5؛ تاريخ الطبري: 111/4 وما بعدها؛ سير أعلام النبلاء: 351/5.

وطرح في بئر، وذهب لشأنه فما كان أسعد من ذلك اليوم عليه من كثرة قنص الصيد، وغير ذلك، فلما رجع أمر بإطلاقه فلما رآه الرجل قال له: ناشدتك بالله يا أمير المؤمنين أينا أشأم وأنحس على صاحبه؟ لقيتك فسعد يومك ولقيتني فنحس يومي فضحك هشام وأجازه.

عَلَى هَيْكَلٍ نَهْدٍ، وَفَوْقَ شِمِالِهِ وَقُورٌ مِنَ الطُّقُورِ أَبْيَضٌ نَاصِعُ

(الهيكل) أصله البيت الجيد البناء، مرتفع القواعد، ولذا يقال لبناء سيدنا سليمان عليه السلام بيت الله بالمقدس، هيكلا، ثم سمي عظيم الخدمة. وقال في القاموس" الهيكل الضخم من كل شيء"[1] والفرس الطويل، وبيت للنصارى فيه صورة مريم عليها السلام والبناء المشرف".

قال امرؤ القيس[2]:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ[3]

وَ(النَّهْدُ)، الفرس الجسيم الصحيح المشرق الحسن، (والصقر) قال في القاموس[4]: "كل شيء تصيده من البازات والشواهين" وقوله: (وقور) أي قوي وأبيض ناصح هو الباز الأشهب، يقال إن بين السماء والأرض بحر مكبوب من سم لا يصله أحد إلا الباز الأشهب.

فائدة: وصفت العرب غاية كل لون فقالوا: أبيض ناصع، وأصفر فاقع وأحمر قاني وأسود حالك، وأول من صاد بالصقر بهرام جور[5] أحد ملوك الطائفة

---

(1) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر بيروت، ط 1973، م4، ص: 69.

(2) انظر ديوان امرئ القيس، ص 38 ط 4 دار بيروت للطباعة والنشر 1978. أبو بكر الأنباري، الزاهر فى معانى كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992، ج2، ص: 157.

(3) الوكن في الجبل بمنزلة التمارید في السهل وهي الأوكار والأوابد الوحش والمنجرد القصير الشعر القليلة والهيكل العظيم وإنما سمي بيت النصارى هيكلاً لعظمه وقال الأعشى. أبو بكر الأنباري، الزاهر فى معانى كلمات الناس، ج2، ص: 157.

(4) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، م2، ص: 71.

(5) بهرام جور ملك الفرس، ومن قصته المصورة فى القصور أنه خرج ذات يوم إلى الصيد على جمل وقد أردف جارية له يتعشقها فعرضت له ظباء. أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في

الرابعة من الفرس وهي سسانية[1] التي قضى عليها الإسلام. أولهم أرد شير[2] بن بابك وآخرهم يزدجر بن شهريار، قتل في خلافة عثمان.

وأول من صاد بالفهد كليب بن وائل[3] وكانت العرب تلقب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان "بصقر قريش" وهو المعروف بالداخل[4]، لأنه أول من جمع ملك الأندلس من قريش. وكان إمام الزهاد إبراهيم بن أدهم [5] من أبناء ملوك

=

المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1965، ص: 179.

(1) كذا في الأصل والصواب الساسانية، الساسانيون: بعد فتوح الاسكندر فقدت فارس مركزها كعاصمة، ولكنها عادت ثانية إلى مركزها الأول بعد تأسيس الدولة الساسانية، إذ اختار أردشير مؤسس الدولة الساسانية مدينة إصطخر، وهى عاصمة فارس، عاصمة له ولدولته. وقد فتح المسلمون فارس أيام عمر بن الخطاب، واستمرت فتوحاتهم بها إلى عهد عثمان بن عفان، ولما أصيبت مدينة إصطخر بالخراب، صارت عاصمة فارس مدينة شيروز إلى أن انتقلت العاصمة إلى مدينة طهران.

(2) أردشير بن هرمز: من ملوك المجوس، ابنه (سابور) بن أردشير وكان أبوه مات وأمه حبلى فعقد التاج على بطنها فملك اثنتين وثلاثين سنة ثم ملك ابنه (بهرام) بن سابور إحدى عشرة سنة ثم ملك ابنه (يزدجرد) ابن بهرام الذى يقال له " يزدجرد الخشن) اثنتى عشرة سنة. ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تح: محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص: 12.

(3) كليب بن وائل التيمي البكري، المدني، نزيل الكوفة، صدوق، من الرابعة، (التقريب/5663) . ينظر: محمد بن عبد الله غبان الصبحي، فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، 2003، ج1، ص: 303.

(4) عبد الرحمان الداخل: عرف بذلك لأنه أول داخل من ملوك بني مروان إلى الأندلس وكان أبو جعفر المنصور يسميه صقر قريش لما رأى أنه فعل بالأندلس ما فعل وما ركب إليها من الأخطار انظر: المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط1، 1968، ص: 143.

(5) (000 - 161هـ=000 - 778م): إبراهيم بن أدهم: بن منصور التميمي البلخي، كنيته أبو إسحق، كان أبوه من ملوك خراسان وكان موسراً، وعاش مترفاً منعماً، زاهد مشهور، تفقه =

خراسان [1] وكان كلف بالصيد فأجرى فرسه يوما عقب وحش فنعق له الهاتف من قربوس سرجه، فقال له: ألهذا خلقك الله يا إبراهيم؟ فنزل عنه في الحال ودفعه مع ثيابه لراع لأبيه، ولبس المصوف ولحق بالشام[2] مخفيا نفسه، وقصته مشهورة ﷺ ونفعنا به آمين.

تَصَامَمَ عَنْ لَوْمِ اللِّئَامِ عَلَى السُّرَى وَمَازَالَ مَشْغُوفًا بِهِ وَهْوَ يَافِعُ

أي لا يلتفت للوم اللئام وهم الرذال، و(على السرى) كالهدى، وأصله يسري عامة الليل، والمراد هنا مباكرة الصيد وتلك عادة الصائدين. قال امرؤ القيس[3]:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدِ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

كما مرّ، ولشغفه وحبه للصيد لايلتفت لكلامهم، ولا يبال بعذالهم، على حدّ قول البوصيري[4]: إن المحب عن العذال في صمم و(اليافع)، الغلام إذا وافق

=

وجال في العراق والشام والحجاز، أخباره كثيرة فيها مبالغات عظيمة(ت161هـ)، وعندما أحس بالموت قال أوتروا لي قوسي، وتوفي وهو في كفه، ودفن في إحدى جزائر البحر في بلاد الروم.

(1) خراسان: بلاد مشهورة. شرقيها ما وراء النهر، وغربيها قهستان. قصبتها مرو وهراة وبلخ ونيسابور. وهي من أحسن أرض الله وأعمرها وأكثرها خيراً، وأهلها أحسن الناس صورة وأكملهم عقلاً وأقومهم طبعاً، وأكثرهم رغبة في الدين والعلم. لهذا الإقليم فضائل تنسب إلى هذا الجانب ويشركه في أكثرها جانب هيطل إلا أن هذا لما كان أقدم في الاختطاط والفتح في الإسلام وأقرب إلى أقاليم العرب خص بالذكر وعرف عند النسبة. محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط1980. ص: 229.

(2) راجع هذه الرواية في: محمد أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، 1400هـ، ص: 141.

(3) لقد سبقت الإشارة إلى هذا البيت والشاعر معا.

(4) البوصيريّ: محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي المولد المغربي الأصل البوصيري المنشأ. ولد بناحية دلاص في يوم الثلاثاء أول شوال سنة ثمان وستمائة، وبرع في النظم. قال فيه الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس: هو أحسن شعراً من الجزار والوراق. مات سنة خمس وتسعين وستمائة، وهو صاحب البردة المؤلفة من 158 بيتا نظمها في مدح الرسول صلى الله عليه

=

العشرين وهذا كله مدح للصائد.

وَغَـابَ غَـدَاةَ القَـنْصِ عَـنْ كُـلِّ غَيْـبَةٍ وَعَـنْ كُـلِّ مـا تُـصَانُ عَـنْهُ المَـسَامِعُ

أي غـاب بـسبب الـسرى الـذي اعـتاده للـصيد عـن كـل غيـبة، بكـسر الغـين المعجمة فهي كبيرة نجاه الله منها. وقوله (غداة)[1] القنص أي صبيحة الصيد، وغاب أيضا أي بسبب ذلك عن كل ما يصان المسامع عنه، من نميمة وفحش وسب وشتم وغير ذلك. ولا يخفى أن فيه نوع تكرار مع ما مر من قوله (وإغلاق باب القيل والقال سابع).

وَغَـابَ غَـدَاةَ القَـنْصِ عَـنْ كُـلِّ غَيْـبَةٍ وَعَـنْ كُـلِّ مَـا تُـصَانُ عَـنْهُ المَـسَامِع

يعني أن بسبب فعله ما مر أصبح سلما للورى، أي سالما من شرهم ومباعدا لمكرهم. وقوله (يطأ الثرا) [2] إلى آخره، إشارة لعلو همته وصون عرضه، فرجله [12/11]في الثرى أي الأرض وهمته فوق الثريا، قال زهير[3] في الهرم[4] بن سنان المري:

لَـوْ كَـانَ يَقْعُـدُ فَـوْقَ الـشَّمْسِ مِـنْ كَـرَمٍ قَـوْمٌ بِـأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْـدِهِمْ قَعَـدُوا

=

وسلم:

يـا لائمي في الهـوى الغـدري معـذرة منـي إلـيك ولـو أنـصفت لـم تلـم

عــدتك حالــي لأســرى بمــستتر عــن الوشــاة ولا دائــي بمنــسجم

شهاب الدين العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط1، 1972، ج5، ص: 63.

(1) كذا في الأصل والصواب غداة.

(2) كذا في الأصل والصواب الثرى.

(3) زهير بن أبي سلمى: (... - 13ق هـ=... - 609م) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 52.

(4) الصواب هو: هرم بن سنان (.. - نحو 15 ق هـ =.. - نحو 608م) هرم بن سنان بن أبي حارثة المري، من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان: من أجواد العرب في الجاهلية. يضرب به المثل. وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 82.

و(الثريا)كواكب ملتفة معروفة، ستة نجوم أو سبعة. وقال القاضي عياض[1]: وقد عد فيها رسول الله ﷺ اثني عشر نجما، والذي لابن طباطب[2] العلم في الأول لقوله:

خَلِيلَـــيَّ إِنِّـــي لِلثُّـــرَيَّا لَحَاسِـــدٌ وَإِنِّـي عَلَـى صَـرْفِ الـزَّمَانِ لَـوَاجِدُ
أَيَبْقَـى جَمِـيعًا شَـمْلُهَا وَهِـيَ سِـتَّةٌ وَيَفْقِـدُ مِـنْ أَحِبَّـتِهِ وَهُـوَ وَاحِـدُ[3]

و(القنابع) الرذال الذين أقعدهم العجز، وافتقروا، وقيل اسم للكلاب، وفي القاموس: القنبع، كقنفد، وعاء الحنطة. والرجل القصير، والقنبعة الأنثى، وقَنْبَعَ في بيته توارى.

فَـلاَ خُلْطَـةٌ تُـرْدِي وَلاَ سُـوءُ عِـشْرَةٍ وَلاَ هَـتْكُ هَيْـبَةٍ، ولاَ مَـنْ يُـصَانِعُ

يعنى أن الصايد لا خلطة ترديه، أي تأتي به لمواضع التهم الرادية وقال[4]: "إياك ومواضع التهم" وقال الشاعر:

وَإِيَّـاكَ أَنْ تَرْضَـى بِـصُحْبَةِ سَـاقِطٍ فَيَـنْحَطَّ قَـدْرَ مَـنْ عَـلاَكَ وَتُحْقَـرُ

---

(1) القاضي عياض (476 - 544هـ=1083 - 1149م) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموما، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " و" الغنية " في ذكر مشيخته، و" ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك " أربعة أجزاء وخامس للفهارس، و" شرح صحيح مسلم " و"مشارق الانوار" مجلدان، في الحديث، و" الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع " في مصطلح الحديث وكتاب في " التاريخ ". ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، ص: 259.

(2) كذا في الأصل والصواب ابن طباطبا (281 - 345هـ=894 - 956م) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل الحسني الرسي الطالبي، أبو القاسم ابن طباطبا: نقيب الطالبيين بمصر، وأحد الشعراء المترقين في الزهد والغزل. مولده ووفاته في مصر. ابن خلكان، ج2، ص: 124.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1900. ج1، ص: 121.

(4) كذا في الأصل والصواب قيل.

وقوله (ولا هتك هيبة...) أي ولا يكون ثمَّ من يهتك حرمته ولا من يصانع بمداهنة ونحوها، ممن يمشي بوجه ويأتي بغيره، ففي الحديث "ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها[1]. الحاصل أن المتلبس بالصيد يسلم من كل سوء وعاهة وكفى بالاشتغال به شرفا.

إنّ سيدنا خليل[2] عليه السلام كثيرا ما يأتي من الشام ليتفقد أحوال ابنه إسماعيل عليهما السلام بمكة، فيجده في غالب ذلك غائباً للاصطياد، وكانت الخيل إذ ذاك وحوش، فألفته لكثرة جولاته في القفار وذللها الله له، فهو أول من اقتناها وركبها وذلك بسبب مثابرته على الصيد. لولم يكن في الصيد من مخايل الخير إلا هذا لكفاه، وصف الصايد أيضا بقوله:

[الصائد العادل]

أَخَا العَدْلِ، لَكِنْ فِي سِوَى كُلِّ طَائِرٍ وَجَارٍ أَمَامَ المُرْسَلاَتِ يُسَارِعُ

يعني أن الصائد أخو العدل، أي أنه لكونه لا يحول عن العدل فكأنه أخٌ شقيق. ومن ضد هذا المعنى قول الشيخ أحمد بن العريف الصنهاجي[3] أحد رجال الطريق: "سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان"، وقوله (لكن في سوى كل طائر) لم يجعله عدلا في ذلك لكونه يقنص الطير على كره منها ورغم.

وهكذا من باب الفكاهة الملهية، لا من باب الأشياء المنهية، قال رجل لأبي الأسود الدؤلي[4]: كيف تقول في تعذيب الله إياي بناره وهو قد قضى علي بالكفر.

---

(1) راجع: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1415هـ. ج4، 417.

(2) كذا في الأصل والصواب الخليل عليه السلام.

(3) أحمد بن العريف الصنهاجي: عالم جليل، زاهد مشهور من مؤلفاته المجالس، له مكاتبات مع القاضي عياض توفي سنة536هـ بمراكش. / انظر: صلاح الدين الصفدي الوافي بالوفيات، ص: 135.

(4) أبو الأسود الدؤلي: كان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب عليا بن أبي طالب رضي الله عنه شهد معه صفين كان من أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلا، وهو أول من وضع النحو بإيعاز من الامام علي. انظر ترجمة أبي الأسود الدؤلي في: تهذيب ابن عساكر 7: 104 والخزانة 1: 136 =

فأجابه بقوله: إذا كنت مالكا لنفسك فقل ما شئت وإن (كنت)[1] مالكها الله فيفعل في ملكه ما يشاء. ثم (سئل) الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقال له إن ذبحت شاتك التي تملك، ولا يكون ذلك إلا عن كره منها، أيكون ذلك جرما منك؟ قال: لا. قال: فكذلك خالقك ومالك رقبتك يفعل بك ما يشاء، إن عفا ففضل، وإن عاقب فعدل. فانصرف الرجل وهو يقول: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾[2]، وقوله (وجار) أي(أمام)؛ يجري فرسه أمام المرسلات بفتح السين على الصيد من الجوارح، يسارع لإدراك ما اقتنصته ليذكي ما تطلب ذكاته[3] كما فصل في الفقه.

أَخِي هَلْ تَرَى الأَيَّامَ تَجْمَعُ شَمْلَنَا وَنَحْنُ عَلَى جُرْدٍ سِرَاعٍ نطالع

قوله (أخي) على حذف حرف النداء و(شملنا) أي أحوالنا المتشتتة و(الجرد) واحدها أجرد، وهو فرس قصير الشعر رقيقه، وقوله (نطالع)، أي ننظر ظهور قطيع أوجليبة[4] ظبأ، أو سرب (حبار)[5] وأنعام أو غير ذلك، [13/12] وأسند الجمع إلى الأيام على طريق العرب في ذلك، وكذا قولهم: دهري خانني، ودهري أفناني ونحوه.

وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال الله: "هل يسب

=

والفهرست: 39 وأنباه الرواة 1: 13 ومعجم الأدباء 12: 34 وسرح العيون: 153 وغاية النهاية 1: 345 انظر وفيات الأعيان ابن خلكان ص597 ط 2 بولاق 1982.

(1) كذا في الأصل والصواب وإن قلت.

(2) الأنعام: 124.

(3) الذكاة: أصل الذكاة في اللغة تمام الشيء من ذلك ذكاء السن أي تمام السن أي النهاية في الشباب والذكاء في الفهم أن يكون فهما تاما سريع القبول وذكيت النار إذا أتممت إشعالها وقوله إلا ما ذكيتم أي إلا ما أدركتم ذبحه على التمام. شهاب الدين المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، تح: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة، ط1، 1992، ص: 179.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص: 469.

(5) كذا في الأصل والصواب حبارى.

ابن آدم الدهر، أنا الدهر، بيدي الليل والنهار[1] ". (صارح)[2] الحديث أن مجموع الليل والنهار تسمى بالدهر، كما أن قول الناظم (الأيام) المراد بها الليل والنهار. وفي الحديث دليل لأهل السنة القائلين بأن العقل لا يحسِّن ولا يقبِّح، وإنما التحسين والتقبيح للشرع لا غير لأن قوله بيدي، بقدرتي الليل والنهار، نفى عنهما أن يكون لهما تأثير فيما يجري فيهما من الأمور.

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة[3]: الممنوع سب أعيان الليل والنهار، أو ما يجري فيهما من الحوادث، فهذا لا يخفى على أن من سب الصَّنعة، فقد سب صَانِعَها، ولا يكاد يخفى على أحد حتى يأتي على ذلك. هذا (التعب) وإنما الظاهر ما يجري فيهما من الحوادث، وهذا هو الذي يقع فيه كثير من الناس، وهو الذي يعنيه قياس الحديث. انظر تمامه.

[كيفية الصيد]

لَدَى كُلِّ رَبْوَةٍ وَأَجْرَاسُ طَيْرِنَا لَهَا زَجَلٌ مِنْ فَوْقِنَا وَقَعَاقِعُ

فقوله (لدى) ظرف لما قبله من قوله (نطالع)، أي نطالع الصيد عند كل ربوة، و(الجرس) الصوت، وجرس الصايد[4] إذا سمعت صوت مروره، ومن الحديث الصحيح "يسمعون جرس طيور الجنة"[5] روي أن الأصمعي حضر حلقة شعبة[6] الحجاج آخر حفاظ الحديث فسمعه يقول في هذا الحديث، الجرش بالشين

(1) أحمد بن حنبل، الجامع الكبير، ج5، ص: 891.

(2) كذا في الأصل والصواب صريح.

(3) عبد الله بن أبي جمرة الأزدي هو أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المالكي، (... - 699هـ) مقرئ ومحدث. من تصانيفه: بهجة النفوس وتحليها بذكر ما لها وما عليها، ومختصر صحيح البخاري. انظر: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج. مطبوع بهامش الديباج المذهب لابن فرحون المالكي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط1979، ج 4، ص: 237.

(4) كذا في الأصل والصواب الصائد.

(5) هذا الحديث لا وجود له لا في كتب الصحاح ولا في شروحات الأحاديث.

(6) الصواب شعبة بن الحجاج (82هـ - 60هـ)، شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم أبو بسطام الواسطي، أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال، وذَبَّ =

المعجمة فقال الأصمعي[1]: بالسين المهملة فقال شعبة لأصحابه خذوها عنه فهو أولى منا في هذا، أي لكونه حافظا اللفظة.

والزجل (بفتحتين)[2]، الصوت الحسن، و(القعاقع)، الأصوات القوية المهولة، ومن ذلك قعيقعان، كزعيفران، أحد جبال مكة المشرفة، سبب تسميته بذلك أن جرهم[3] وخزاعة[4] في مدة الحرب (الذي)[5] بينهم أي أمسوا وضعوا الأسلحة فيه فتقعقع[6].

[شرح السلوان]

فَنَقْضِي مِنَ السَّلْوَانِ بَعْضَ غَرَامِنَا وَنَجْنِي جَنْيَ اللَّذَّاتِ، وَالدَّهْرُ خَاضِعُ

وأصل السلوان[7] "ما يشرب ليسلى، أو هوكما قيل يؤخذ من تراب قبر ميت

=

عن السنة، وكان عابدًا من السابعة، مات سنة ستين. الدارقطني، كتاب الصفات، تح: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ط1، 1983، ص: 28.

(1) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي، المعروف بالأصمعي (أبو سعيد) أديب، لغوي، نحوي، إخباري، محدث فقيه أصولي، من أهل البصرة، (123 هـ - ت 216) قدم بغداد أيام هارون الرشيد، وتوفي بالبصرة من تصانيفه الكثيرة، نوادر الأعراب، الأجناس في أصول الفقه، المذكر والمؤنث، كتاب اللغات وكتاب الخراج، انظر: رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج6، ص: 187.

(2) كذا في الأصل والصواب الزُّجلة. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص: 1304.

(3) جرهم: قبيلة جرهم من عرب اليمن، ثم تزوج سيدنا إسماعيل عليه السلام من قبيلة جرهم العربية، واكتسب منهم اللسان العربي، وكانت من نسله العرب المستعربة، ومنهم عدنان الذي هو جدُّ النبي ﷺ. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار الساقي، ط4، 2001، ج2، ص: 11.

(4) خزاعة: أبناء كعب بن ربيعة، من بطون الأزد، انخزعوا من قومهم باليمن؛ ونزلوا مكة فسموا خزاعة. ينظر: الحازمي، عجالة المبتدي، ص: 54.

(5) كذا في الأصل والصواب التي.

(6) بالهامش توجد عبارة: "كانوا مدة التي كانت بينهم اذا مسوا وضعوا الأسلحة والله أعلم. انتهى". وهذا لتوضيح المعنى.

(7) قيل والسلوان ما يسلي وكانوا يتداوون من العشق بخرزة يحكونها ويشربونها، ويسمونها السلوان. أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد

=

فيجعل في ماء فيسقى فيموت حبه"[1] والمراد هنا الأمر المحبوب الذي يسليك عن غيره وينسيكه و(الغرام): الولع[2] بالشيء، وقوله: (ونجني جني اللذات) هو من باب الاستعارة لأنه أثبت للذات شيئا يجنى كما تجنى الثمرة على حد قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ وَلاَ تَمْنَعِينَا[3] جَنَاكِ الْمُعَلَّلِ

وخضع كمنع خضوعا تطامن وتواضع ويأتي هنا في الدهر ما مَرَّ من الحديث، ومعلوم أن هذا جار [14/13] على ألسنة العرب قديما، ومنه قوله[4]:

أَسَاءَتْ لِيَ الأَيَّامُ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ وَجَاءَتْ لِيَ الْيَوْمَ مُعْتَذِرَاتِ
وَنَجْعَلُ (ذَاتَ الجَرِّ) جَارًا كَعَهْدِنَا وبنا[5] لِلاقْتِنَاصِ مَاضٍ وَرَاجِعُ

ذات الجر موضع بصحراء فجيج[6] كما أنه موضع بأرض الحجاز وبلد الشام، أو خشبة برأسها كبة يصاد بها الطنبار المناسب، لقوله جار الأول[7] وسبق الثاني، أو الإبل لأنها تجره بأرمتها و(الاقتناص) الاصطياد، والقنيص والقَنَص محركة؛ المصيد، وقوله (ماض وراجع) إشارة إلى قوة تمكنهم من بلادهم وأمنهم،

=

كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص: 241.

(1) ينظر: الأزهري، معجم تهذيب اللغة للأزهري، القاهرة، ط1، 1964.

(2) (ولع) الواو واللام والعين: كلمتانِ تدُلُّ إحداهما على اللَّهَجِ بالشيء، والأخرى على لَونٍ من الألوان. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، ص: 144.

(3) كذا في الأصل والصواب:

فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جناك المعلل

(4) نسب هذا الشعر إلى علي ابن الرومي وتتمته من الطويل:

أساءت بي الأيام يا ابن محمد وهن إلي الآن معتذرات
رأين مطافي حول بيتك عائذ فهن لما أبصرنه حذرات

(5) كذا في الأصل والصواب فمنا.

(6) فجيج هي موضع الناظم عبد الجبار الفجيجي أبو إسحاق، (وذات الجار) الموضع على نحو الأربع أميال من بلد الناظم رحمه الله، والجر هو سفح الجبل وأسفله حيث انجرار الماء. انظر: أبو القاسم الفجيجي، الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد، تح: عبد الهادي التازي، ص ص: 95 - 97.

(7) كلمة مشطوبة.

ورغد عيشهم، ورسوخ أقدامهم في النعمة.

ونَـزْقُبُ فِـي رُبَـى (الغَمِـيمِ) وَ(نَخْلَـةٍ) بِكُـلِّ صُـيُودِ خَاضِـبِ الكَـفِّ دَارِعِ

الربا[1] واحدها ربوة: ما ارتفع من الأرض و(الغميم) والغمام بفتح الغين، السحاب وربى الغمام موضع، ونخلة كذلك. (فكل صيود) أي ما يصاد به من باز وصقر ونحوهما. لأن الباز ونحوه يصاد به لا أنه يصاد. حكي أن رجلا أتى يستفتح شاعرا فذهب به إلى أصدقائه، فجمع له شيئا ودفعه إليه. وقال البزاة بها[2] لا أنها تصاد، وقوله (خاضب الكف) أي بدماء (الحبارا)[3] ونحوها وقوله (داراع) أراد به جلجل[4] من حديد ينسج بحلق مثل حلق الدرع يعلق على (البزات)[5] فتزداد به قوة على الاقتناص وسماعه للمصيد فيجيبه، كما يأتي، وقعت بالمفرد لكون الجمع مضر.

[وَصْفُ الصَّقْرِ]

طَـــوِيلُ ثَـــلاَثٍ لاَ كَطُـــولِ بُغَاثِهَـــا جَـنَاحٌ وَعُـنْقٌ ثُـمَّ طَالَـتْ أَصَـابِعُ

(البغاث) أوله مثلث الضبط وآخره مثلث النقط، قال في القاموس[6]: هو طائر أغبر والجمع كغزلان وشرار الطير. قال الشاعر[7]:

---

(1) كذا في الأصل والصواب الرّبى.

(2) كذا في الأصل والصواب بها يصاد لا أن تصاد.

(3) كذا في الأصل والصواب الحبارى.

(4) الجلاجل: جمع جلجل: الجرس الصغير. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ص: 337.

(5) كذا في الأصل والصواب بزاة.

(6) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 162.

(7) عباس بن مرداس بن أبي عامر بن جارية بن عبد عبس بن رفاعة بن الحارث بن حبي بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور السلمي وقيل في نسبه غير ذلك. يكنى أبا الهيثم وقيل: أبو الفضل أسلم قبل فتح مكة بيسير وكان أبوه مرداس شريكا ومصافيا لحرب بن أمية فقتلتهما الجن جميعا وخبرهما معروف. ابن حجر، تقريب التهذيب، ج2، ص: 458.

بُغَـــاثُ الطَّيْـــرِ أَكْثَـــرُهَا فِـــرَاخًا وَلَكِـــنَّ الـــصَّقْرَ مِقْـــلَاةٌ نَـــزُورُ[1]

وقال آخر: البغاث بأرضنا تستنسر، أي من جاورنا عز بنا، والبغث الرقط[2] من الغنم، والأبغث، الأسد، وأراد بالأصابع؛ المخالب للبزاة كالبرثن للأسد.

قَـــصِيرُ ثَـــلَاثٍ مِـــنْ زِمِكَّـــى وَرِيـــثُهَا وَسَاقٍ تُقَوِي الرُّسْغَ إِذْ هُوَ رَاصِعُ

الزِّمِكَّى بكسر الزاي المعجمة، والميم وبكاف مشددة مقصوراً، هي للطائر بمنزلة الألية للإنسان، والريش ينبت عليها، هو الذنب، وقال في القاموس[3]: منبت ذنب الطائر أو ذنبه كله أو أصله و(الساق) معروفة والرُّسغ بالضم، وبضمتين؛ الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد، والرجل ومقصل ما بين الساعد والكف والساق والقدم، ومثل ذلك من كل دابة، والجمع أرساغ، وأرسغ، والرِّساغ بالكسر حبل يشد في رسغ البعير وغيره، ثم يشد إلى وتد فيمنعه عن الانبعاث في المشي[4].

وأصل الرصع الضرب بالكف[5] وشدة الطعن وتغييب السنان في المطعون، والمراد هنا ضرب الباز المصيد بمخالبه، وتقييدها فيه، والجمع رصايع، وأما الترصيع فهو التركيب والنسج [15/14] كما يرصِّعُ الطائر عُشَّهُ.

رَحِـيبُ ثَـلَاثٍ وَهِـيَ مَـا هِـيَ كَفُّـهُ وَمَـا بَـيْنَ مَنْكَبَـيْهِ وَالـصَّدْرُ وَاسِـعُ
عَظِـيمُ ثَـلَاثٍ رَأْسُـهُ ثُـمَّ فَخْـذُهُ وَمِنْـسَرَهُ لِجُـزْرِ مَـا هُـوَ صَـارِعُ[6]

(الرحب)، السعة، والرُّحب، بالضم موضع لهذيل، ورحاب كغراب، موضع

(1) نسب هذا الشعر إلى العباس بن مرداس السلمي وتتمته:

تـــرى الـــرجل النحـــيف فتـــزدريه وفـــي أثـــوابه أســـد هـــصور
ويعجـــبك الطريـــر فتبتلـــيه فـــيخلف ظـــنك الـــرجل الطريـــر
بغـــاث الطيـــر أكثـــرها فـــراخا وأم الـــصقر مقـــلاة نـــزور

ينظر: النيسابوري، الكشف والبيان، ج9، ص: 136.

(2) كذا في الأصل والصواب (الرقطاء).

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 305.

(4) نفسه، ج3، ص: 29.

(5) نفسه، ج3، ص: 29.

(6) كذا في الأصل وفي النظم ضارع.

بحوران ورحب ككرم، وسمع رُحبانا بالضم، وقوله: (ما هي) أي التي هي. فما موصولة أي بها وبصلتها لإقامة الوزن وزيادة البيان، والكف والمنكبان معروفان، (والمنْسِر)، المنقار، وهو بكسر الميم وسكون النون وفتح السين والجزر[1] الحط من علو إلى أسفل الجرور والإسراع كالتحدي، وحرزون أقوياء نشطون.

[سمات الباز]

عَلَـيْهِ سِـمَاتُ الفَـتْكِ إِمَّـا نَظْـرَتُهُ أَطَلَّـتْ حَـوَاجِب وَغَـارَتْ مَدَامِـعُ

يعني أن الباز مهما نظرت إليه يظهر لك (سيمة)[2] الفتك والغدر، من حاله لطول حواجبه وغور عينيه، وهما المراد بالمدامع، وذلك علامة اللص الفاتك من الرجال، كما أن علامة الأمانة انقباض أسارير الجبهة، وعلامة الشجاعة طول الأنف إلى غير ذلك.

و(الفتك) مثلث الفاء؛ ركوب ما همَّ من الأمور ودعت إليه النفس، كالفتوك والإفتاك، وفتك به، انتهز منه فرصة فقتله، أو جرحه، وفتاك العرب، الشنفرى[3] بألف مقصورة، والصعاليك من الصعلكة ومنهم أبو الطمحان[4] بفتح الميم الكناني، واسمه حنظلة بن الزبير بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وكان فاتكا، فقال له الزبير

(1) كذا في الأصل والصواب حرز.

(2) كذا في الأصل والصواب سمة.

(3) الشنفرى: (000 - نحو70 ق هـ=000 - نحو525م): عمرو بن مالك الازدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدائيهم. وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. وقيست قفزاته ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريبا من عشرين خطوة. ج5، ص: 85.

(4) أبو الطمحان: أبو الطَمحان القَيني(45 ق. هـ - 30هـ/578 - 650م): حنظلة بن شرقي، أحد بني القين، من قضاعة. شاعر، فارس، معمر، مخضرم عاش في الجاهلية، وكان فيها من عشراء الزبير بن عبد المطلب، وهو ترب له، أدرك الإسلام وأسلم ولم ير النبي (صلى الله عليه وسلم) . وإنما كان نديم الزبير بن عبد المطلب. وقد أشير في هامش المخطوط إلى ذلك بما يلي: (لا يخفى أن أبا الطمحان قيني والزبير هاشمي فقد كان أبو الطمحان ينزل ضيفا على الزبير المذكور لا أنه كما ترى، وإنما ذلك من تخليط النساخ) انتهى قول صاحب الهامش.

يوما ما بلغ من فتكك وفسقك (بتت)[1] ليلة عند راهبة تتعبد في دارها أكلت معها لحم الخنزير وشربت من خمرها، وزنيت بها وسرقت (كل منها)[2] ومضيت. عاش مائة سنة وأدرك الإسلام، فأسلم، فهو مخضرم، وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن معدي كرب[3] (ما أشجو العرب)[4] قال: حرّاها وعبداها، أما حرّاها فبسطام بن قيس بن عروة بن مسعود الشيباني[5]، وعتبة بن الحارث بن شهاب، وأما عبداها(الشمليك بن الشملكة)[6] وعنترة بن شداد[7] وليس المراد أنهما رقان بل من قح العرب ولكن لما كانا شديدي السمرة قال ذلك.

طَمُــوحٌ، كَثِيــرُ الالْــتِفَاتِ، مّــسَلَّطٌ لأمِّ الــسِّلاَحِ الدَّهْــرَ مِــنْهُ فَجَائِــعُ

(1) كذا في الأصل والصواب بِتُّ.

(2) كذا في الأصل والصواب سرقت كساءها.

(3) كذا في الأصل والصواب عمرو بن معدي يكرب وكان موصوفا بالشدة والبأس، عظيم الخلقة / ينظر التذكرة الحمدونية لابن حمدون: 330 ط1 بيروت دار صادر 1996. تح / احسان عباس.

(4) كذا في الأصل والصواب من أشجع العرب.

(5) بسطام بن قيس: (000 - نحو10ق هـ=000 - نحو612م) بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، أبو الصهباء: سيد شيبان، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية. يضرب المثل بفروسيته. خير الدين الزركلي، ج2، ص: 51.

(6) الصواب هو السليك بن السلكة: (... - نحو17 ق هـ=... - نحو 605م) السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي، والسلكة أمه: فاتك، عداء، شاعر، أسود، من شياطين الجاهلية. يلقب بالرئبال. كان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. له وقائع وأخبار كثيرة. وكان لا يغير على مضر. وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة. قتله أسد ابن مدرك الخثعمي. خير الدين الزركلي، ج3، ص: 115.

(7) عنترة العبسي (000 - نحو 22 ق هـ = 000 - نحو 600م) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الاولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة. وكان مغرما بابنة عمه " عبلة " فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلا، وقتله الأسد الرهيص أو جبار بن عمرو الطائي. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 91.

يقال: (طمح)[1] بصره إليه كمنع، ارتفع طمحت، فهي طامح، وبه ذهب، وفي الطلب أبعد وهذا الأخير هو المراد، ومن صفة الباز، أيضا كثرة الالتفات، وذلك من صفات الجري والشدة والثبات، ليس فيه صفة ذميمة ليذم بها، وقد كان تأبط شرا أحد لصوص العرب ذهب مع خاله يتلصص فأتيا إلى موضع ليلا، وقال له: ننام هنا، فاضطجع كُلٌّ وحده، فأراد خاله تجريبه، فأخذ حصاة وضربه بها، وتناوم[2]، فقام سريعا وجرد سيفه حول المكان فلم ير إلا خاله، فرجع إلى موضعه، فلما أحس به هذا، فعل به كما تقدم، فقام تأبط شرا[3] وفعل ما فعل أولا، ثم رجع إلى موضعه ففعل به خاله ثالثة، [16/15] فلما قام ولم يجد شيئا قال له: خالي ما فعل بي هذا إلا أنت. والله إن لم تكف لعلى الحسام مفرقك، فشكر خاله وعلم منه أنه نجا به[4].

وقوله (مسلط) أي على المصيد و(أم السلاح) يعني الحبارى، و(السلاح) كغراب[5] وهو النجو، يقال: نجا فلان إذا أحدث، والحدث خرج، واستنجى منه[6]، والمراد هنا راجع للحبارى، والغالب أن خروجه مساء، حال طيرانها. و(الفاجع)، المصائب والرزايا ومن ذلك أن تعدم شيئا يكرم عليك، فتتوجع (لك)[7]:

ثَقِيلٌ مَتَى يُحْمَلُ، خَفِيفٌ طُلُوعُهُ كَأَسْرَعِ مَا فِي السَّهْمِ إِنْ هُوَ وَاقِعُ

---

(1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 238.

(2) أي تظاهر بالنوم.

(3) تأبط شرا: تأبط شرا (000 - نحو80ق هـ=000 - نحو540م) ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهمي، من مضر: شاعر عداء، من فتاك العرب في الجاهلية. كان من أهل تهامة. شعره فحل، استفتح الضبي مفضلياته بقصيدة له، مطلعها: (يا عيد مالك من شوق وإيراق) ويقال إنه كان ينظر إلى الظبي في الفلاة فيجري خلفه فلا يفوته. قتل في بلاد هذيل وألقي في غار يقال له (رخمان) فوجدت جثته بعد مقتله. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 97.

(4) كذا في الأصل والصواب نجا منه.

(5) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 229.

(6) نفسه، ج4، ص: 393.

(7) كذا في الأصل والصواب (تتوجع له) .

يعني أن صفات الباز أن يكون ثقيلا في حملته على الصيد، خفيف في طلوعه فوقه، لأجل أن ينقض عليه، قال الشاعر[1] في وصف قومه:

ثِقَــالٌ إِذَا لَقُــوا خِفَــافٌ إِذَا دُعُــوا كَثِيــرٌ إِذَا شَــدُّوا قَلِــيلٌ إِذَا عُــدُّوا

وقوله(كأسرع ما) إلى آخره (الموثبة)[2] والخفة (إن هو واقع)، يقال لنزول الطائر وقوع، ومنه أن الطيور على أجناسها تقع، كأسرع شيء في الوجود، أن وقع، أي انقض، وقال القاموس، والسهوة للناقة[3] والقوس والمواثبة والمراد بقوله ما في السهم أي انحدار، أي كأنه كأسرع شيء في الوجود إن هو ليقع على الصيد، ولو قال ما في الجو لكان أظهر.

ظَلُــومٌ غَـشُومٌ مِـنْ صُـقُورِ (شَـمَارِخٍ) لِخِــزَانِهَا وَالطَّيْــرُ مِــنْهُ تَــوَادَعُ

يعني كثير الظلم، و(الغشوم) للمصيد، فهما من أمثلة المبالغة، فالظلم وضع الشيء في غير محبب، والغشوم هو ذو المكر والخداع، وفي القاموس[4] (الغشم): الظلم و(الشمارخ)، وأحدها شِمراخ بكسر الشين، وهو العثكال الذي عليه بسر أو عنب، ورأس الجبل وأعالي السحاب والمراد هنا القوي الشديد، وقوله (لخزانها) متعلق بظلوم وغشوم، والمراد لخزان اللحم من الطير ونحوه، وقوله (الطير... الخ)

---

(1) أبو الطيب المتنبي: (303 - 354هـ=915 - 965م) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي: الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الادب العربي. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين. ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته. ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الادب وعلم العربية وأيام الناس. وقال الشعر صبيا. وتنبأ في بادية السماوة (بين الكوفة والشام) فتبعه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ (أمير حمص ونائب الاخشيد) فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه. ووفد على سيف الدولة ابن حمدان (صاحب حلب) سنة 337 هـ فمدحه وحظي عنده. والقصيدة من ثلاث وسبعين بيتاً. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 115.

(2) كذا في الأصل والصواب المواثبة أو الوثبة.

(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج4، ص: 346.

(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 263.

أي أن الطير إذا رأته توادع[1] بعضها بعض لما تعلم من بطشه وفتكه بها، وقال ابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد عن بعضهم: ما رأت كتيبة علي بن أبي طالب إلا وأوصى بعضهم بعضا.

وقال الفرزدق [2] في يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأَزدي[3] بفتح الهمزة:

وَإِذَا الـرِّجَالُ أَبْـصَرُوا يَـزِيدًا رَأَيْـتَهُمْ نَكِيسَ[4] الـرُّؤُوسِ خُـضَّعَ الأَبْـصَارِ

لَـهُ عُـدَّةٌ مِـنْ نَفْـسِهِ فِـي مَخَالِـب شَـدِيدٌ سَـوَادُهَا حِـدَادٌ، لَوَاسِـعُ

يَفُـزُّ إِلَـى اليَحْـبُورِ مِيلَـيْنِ بُكْـرَةً وَأَكْثَـرُ بِالأَصِـيلِ، إِنْ هُـوَ جَائِـعُ

يعني أن البازي له عُدَّة أي سلاح من نفسه، أي متصل به، ملازمة لخلقته ومن ذلك قول الخنساء[5]:

مَـشَى الـسِّبِتى إِلَـى هَـيْجَاءَ مُعْـضِلَةٍ لَـهُ سِـلَاحَانِ أَنْـيَابٌ وَأَظْفَـارُ

و(الـسِّبْتَى)[6] [17/16] النمر، وقوله (حداد) من حداد وهو ضد الحفأ

(1) كذا في الأصل والصواب تودّع.

(2) الفرزدق(.. - 110هـ=.. - 728م): هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. يشبه بزهير بن أبي سلمى. وكلاهما من شعراء الطبقة الاولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين. وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان شريفا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه - وكان أبوه من الأجواد الأشراف - وكذلك جده. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 93.

(3) يزيد بن المهلب: (35 - 102هـ=673 - 720م): يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الازدي، أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان الأجواد. ولي خراسان بعد وفاة أبيه (سنة 83 هـ) فمكث نحوا من ست سنين، وعزله عبد الملك بن مروان، ج8، ص: 189.

(4) كذا في الأصل والصواب (خضع)

(5) الخنساء: (000 - 24هـ=000 - 645م): تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السلمية، من بني سليم، من قيس عيلان، من مضر، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 86.

(6) كذا في الأصل والصواب السِّبتَّى.

وأصل اللسع للعقرب والحية، واستعملها هنا لمخالب (البازات)[1]، وأراد (بالفز) الوثب وفي القاموس. فزعني، عدل وانفرد، والظبي فزع، والرجل يفز فزازة الخ. و(اليحبور)[2] يشمل ذكره وأنثاه، و(الأصيل)؛ العشي، ضد البكرة ففي القاموس[3] البُكرة بالضم الغدوة[4]، وقوله (إن هو جائع)، لأن الجوع يهيج الذات على الاصطياد ولذا قيل إن الحفير الذي دار بسد ذي القرنين عليه السلام فيه حجر الياقوت، فمن كان عنده باز ممن جاور ذلك المحل، يجوعه كثيرا ثم يأتي به على شفير الخندق، ويرمى لحمه في السماء بمرأى من الباز فتسقط في بطن الخندق وينقض (لها)[5] الباز، فيأتي بها، فربما وجد ياقوتة لاصقة بها، بحسب ما يعملون في ذلك من صنعة التوصل للمطلوب.

بِيُمْنَاهُ بَارِقٌ مُحِيطٌ بِزَنْدِهِ مِنَ الفِضَّةِ البَيْضَاءِ كَالسَّيْفِ لاَمِعُ
كَذَلِكَ فِي يُسْرَاهُ ثَانٍ، وَجَلْجَلٌ تَلَوَّنَ بِالإِبْرِيزِ أَصْفَرُ فَاقِعُ

(البارق)، اللامع و(الزند) موصل طرف الذراع في الكف[6] وأراد به هنا الجناح في الأيمن شيء محيط به من الفضة، وقوله (البيضاء) نعت مؤكدة (لأمر سبر)[7] وفي يسراه مثله، وفي عنقه جلجل إلا أنه من الإبريز، أي الذهب ومن الفاقع من الألوان في الحلي على هذا في جناحيه.

لطيفة: قال مدرس في الحديث: بمصر صورت الدنيا على شكل طائر له

---

(1) كذا في الأصل والصواب البزاة.

(2) اليَحْبُورُ: طائِرٌ أو ذَكَرُ الحُبارَى. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج2، ص: 3.

(3) ذكر وهب بن منبه: "أن ذا القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين وهو منقطع أرض الترك مما يلي الشمال فذرع ما بينهما فوجده مائة فرسخ، فحفر له أسا حتى بلغ على الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ويصب عليه، ثم علاه الأرض بزبر الحديد والنحاس المذاب". ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980، ص: 309.

(4) وَقْتُ البكُورِ مِنَ اليَوْمِ، مِنَ الفَجْرِ حَتَّى طُلُوعِ الشَّمْسِ.

(5) كذا في الأصل والصواب ينقض عليها.

(6) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 298.

(7) كذا في الأصل والصواب (لا مخصص) .

رأس وجناحان وذنب، فالرأس العراق وجناح اليمن والآخر مصر والشام والبطن الحجاز والذنب المغرب[1]، وكان في حلقته عالم من المغرب، فقال: إن صح الحديث فهذا الطائر هو الطاووس، فأفهم المدرس بأن الطاووس أحسن شيء فيه الذنب[2].

[كيفية انقضاض الباز على فريسته]

إِذَا انْقَضَّ، خِلْتَ البَرْقَ وَالرِّيحُ عَاصِفًا وَرَعْدٌ بِهِ رِجْزٌ عَلَى الصَّيْدِ وَاقِعُ
دَوِيُّ جَلاَجِلٍ وَلَمْعُ خَلاَخِلٍ وَخَفْقُ جَنَاحٍ، كُلُّ ذَلِكَ فَاجِعُ
إِلَى قَهْرِ غَالِبٍ وَصَوْلَةِ سَالِبٍ وَهَتْكُ مَخَالِبٍ إِذَا هُوَ سَادِعُ

(انقضَّ) الباز والعقاب إذا كسر جناحيه وانحط من الجو للصيد، والذي في القاموس[3] "انقض أصابعه ضرب بها" والعقاب صوتت والرِجز بالكسر والضم، و(دوي الجلاجل) صوتها، و(لمع الخلاخل) (الذين)[4] في جناحيه كما مر. ومعنى (فاجع) أي للحبارى ونحوها، و(صولة سالب) للمال وغيره. يقال صال على قرنه صولا، سطا واستطال[5]، و(سادع) من سدع كمنع، أصله لغة صدم الشيء بالشيء[6] والمراد هنا به ضرب بمخالبه.

[**تنبيه**][7]: أقرب وصف للباز وكيفية صيد الحبارى[8]، من قول الشاعر في

---

(1) راجع هذه الرواية في كتاب: ابن أبي الدنيا، الإشراف في منازل الأشراف نجم عبد الرحمان خلف، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1990، ص: 106.

(2) بمعنى إذا كان الذنب هو المغرب فذلك شيء جميل كون أجمل ما في الطاووس هو الذنب المزركش الملون.

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 2، ص: 347.

(4) كذا في الأصل والصواب (التي) .

(5) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 4، ص: 4.

(6) نفسه، ج3، ص: 37.

(7) كلمة مشطوبة، وضعنا ذلك من عندنا لتسهيل الفهم والمعنى.

(8) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط1979، ج2، ص: 127.

شبيب الحروري[1]:

إِنْ صَاحَ يَوْمًا حَسِبَ الصَّخْرَ مُنْحَدِرًا وَالـرِّيحُ عَاصِـفَةٌ وَالمَـوْجُ يَلْـتَطِمُ

لأنه كان إذا صاح في جنبات الجيش فلا يلوى أحد على أحد

[وَصْفُ الحُبَارَى]

هُـنَالِكَ يُلْقِـي أَخَـرَبُ خَـوْفًا سُـلاَحَهُ وَهَـيْهَاتَ مَـا الـسُّلاَحُ لِلْخَـرَبِ نَافِـعُ

(الخَـرب) بفـتح الخـاء، والـراء، ذكـر الحـبارى، وسـكنها الـناظم ضـرورة (والسلاح) تقدم، إنه رجيعة فيلقية ويرصد به الباز، لأنه إذا أصابه حرز موضع منه فيحصل للبازي تألم، ولذا قال: (فهيهات ما السلاح[2] للخرب نافع) ويقال: سلحت الناقة إذا أخرجت بقلتها جارية[3]. ومعنى هيهات لغة: بَعُدَ.

وَيَلْجَـأُ لاَتَ حِـينَ يَأْويـهِ مَلْجَـأٌ فَـلاَ الأَرْضُ تنْجِـيه وَلا الجَـوُّ مَانِـعُ

(لجـأ) إلـيه كمـنع، وفـرح، لاذ كالـتجأ وألجـأه اضـطره وأمـره[4] [18/17] إلى الله، أسنده والملجأ الحصن والمنعة، و(لات) شبيهة ليس، وهي حرف مركبة من لا والتاء، ترفع الاسم وتنصب الخبر، إلا أنه لا محل لها في سوى الحين، وحين هنا بنصب النون، خبر، والاسم محذوف، أي يلجأ، ولات الحين حين ملجأ.

---

(1) قال ابن السِّكِّيت: حكاية عن أم شبيب الحَرُورى "ومن حمقها أنها لما حملت شَبيبا فأثقلت قالت لأحمائها: إن في بطني شيئاً ينقر فنشرن عنها هذه الكلمة فحمقت". أبو الفضل النيسابوري، مجمع الأمثال، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص: 218.

(2) عن سلاح الحبارى وغيرها من الحيوان نجد الجاحظ يقول: "وللحبارَى خِزانة بين دُبُره وأمعائه له فيها أبداً سَلْحٌ رقيق لزج فمتى ألحّ عليها الصقرُ وقد علمت أن سُلاحها منْ أجود سِلاحها وأنها إذا ذرقتْهُ بقي كالمكتوف أو المدبَّقُ المقيَّد فعند ذلك تجتمع الحبارياتُ على الصقر فينتفن ريشَه كلَّه طاقةً طاقةً وفي ذلك هلاكُ الصقر". أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1996، ج5، ص: 446.

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 229.

(4) عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1995، ص: 612.

و(الجو) الهواء الذي بين السماء والأرض بكلام الناظم على حد قول الشاعر[1]:

فَإِنَّـكَ كَاللَّـيْلِ الـذِي هُـوَ مُدْرِكِـي وَإِنْ خِلْتَ أَنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ[2]

وَتُبْـصِرُهُ يَحْكِـي أَسِـيَر فَـوَارِسٍ يَجُـرُّ ذُيُـولَ الـذُّلِّ يَعْثُـرُ، خَانِـعُ

ذُؤَابَـتُهُ فِـي كَـفِّ مَـنْ لاَ يُقِـيلُهُ يُـسَاقُ بِهَـا لِلْمَـوْتِ وَهـوَ يُـوَادِعُ

معنى (يحكي) يشابه ويماثل (أسير فوارس)؛ إن العرب كانت تأسر بعضها بعضا في الحروب، ولقد أسر بكر بن وائل[3]، عتيبة بن الحارث بن شهاب[4] اليربوعي فارس تميم ففداه أخوه الربيع بأكثر من مائة ناقة وثلاثين. وأسرت قبيلة عنزة حاتم الجواد[5]، وأسر بنو

(1) النابغة الذبياني(... - نحو18 ق هـ -... - نحو604م): هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 54.

(2) البيت الشعري من الطويل، ومن جملة ثلاث وثلاثين بيتا لقصيدة للشاعر النابغة الذبياني المتقدم ذكره؛ حيث نظمها معتذرا للنعمان بن المنذر فيها. أبو إسحاق القزويني، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ج 2، ص: 404.

(3) بكر بن وائل بن قاسط، من بني ربيعة، من عدنان: جد جاهلي، من نسله (بنو يشكر) و(حنيفة) و(الدؤل) و(مرة) و(بنو عجل) و(تيم الله) و(ذهل بن شيبان) وكان صنم البكريين في الجاهلية يدعى (المحرق) شاركتهم فيه ربيعة كلها. أقاموه في (سلمان) وراء الكوفة. وجعلوا في كل حي من ربيعة (ولدا) له. وكان سدنته آل الأسود، من بني عجل. ومن أصنامهم (أوال) بضم الهمزة، وكان من أصنام تغلب، قبلهم، و(ذو الكعبين) وكان قبل زمن صنما لإياد. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 71.

(4) عتيبة بن الحارث بن شهاب التميمي: فارس تميم في الجاهلية. كان يلقب " سم الفرسان " و"صياد الفوارس" ويضرب المثل به في الفروسية. نفسه، ج4، ص: 201.

(5) كذا في الأصل والصواب حاتما، فحاتم الطائي (000 - 46 ق هـ=000 - 578م): هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي: فارس، شاعر، جواد، جاهلي. يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيئ) قال ياقوت: وقبر حاتم عليه. شعره كثير، ضاع معظمه، وبقي منه ديوان صغير. وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب والتاريخ. وأرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ.

غانم[1] بن كنانة بن الصامت[2]، فأطلقته سلم[3] حرة ربيعة بن مكدم[4] فارس الجاهلية على الإطلاق نظير الرمح الذي أعطاه دريداً في معترك الحرب بينه وبينه إلى غير ذلك.

وفي قوله (يجر ذيول الذل) فيه الاستعارة المكنية والتخيلية، والذُّل بالضم الإهانة و(عثر) كضرب، ونصر، وعلم، عثرا وارتعث[5] كبا والخنوع الخضوع والذّل، والخانع يقال للمريب الفاجر[6] والذؤابة الخصلة من الشعر وقوله(في كف من لا يقيله) بضم الياء من أقال. ولما رأى[7] جساس بن مرة الشيباني كليبا الوائلي، وقف عند رأسه، فقال له: اسقني جرعة، فقال الشاعر:

المُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ
وَتَنْدُبُهُ حُبَارِيَاتٌ أَلِفْنَهُ بِفَيْفَاءَ مَجْهَلٍ، وَهُنَّ جَوَازِعُ

يقال ندب الميت بكاه، وعدد محاسنه، والاسم النُّدبة بالضم والمندوب فرس أبي طلحة الأنصاري[8]، الذي ركبه النبي ﷺ وقال: إنا وجدناه لحبراً[9] وفرس

(1) قبيلة (بنوغانم): هو بنو غانم بن دودان من القبائل العربية التي سكنت شبه الجزيرة العربية، ومع مجيء الإسلام أبلت هذه القبيلة بلاء حسنا خصوصا في الهجرة. أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، ج4، ص: 77. رقم: 6936.

(2) كذا في الأصل والصواب بن الصمة.

(3) كتب في هامش المخطوط (قوله فأطلقته سلمى.. . الخ، لا يخفى أن التي أطلقته هي ربطة بنت جذل الطعان زوج ربيعة بن مكدم) . م – س، ورقة: 102.

(4) -ربيعة بن مكدم: أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين قتله بنيشة بن حبيب السلمي في يوم الكديد.. . / انظر العقد الفريد لابن عبد ربه: 184.

(5) ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج2، ص: 85.

(6) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص: 223.

(7) كذا في الأصل والصواب رمى. وقد كتب في هامش المخطوط السفلي(... لكن المحقق عند أهل التاريخ أن عمرو وهو ابن الحارث وليس جساس) .

(8) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 131.

(9) نفسه، ج1، ص: 131.

مسلم بن ربيعة الباهلي[1]. و(حباريات) جمع حبارى، انظر القاموس[2]. والفيفاء المفازة لا ماء فيها، و(المجهل): يقال أرض مجهل كمقعد، لا يهتدى فيه[3]، لا تثنى ولا تجمع، وناقة مجهولة لم تحلب قط، ولا سمة عليها، والجاهلية الجهلاء ومن معنى الجزوع، غير صابرة.

يُـرِدْنَ الفِـرَارَ لَـمْ يَجِـدْنَ سَـبِيلَهُ وَيَحْـشُرُهُنَّ الخَـوْفُ وَالخَـوْفُ رَادِعُ
نَـوَائِحُ أَعْـرَابٍ عَلَـى الطَّـبْلِ حِلْقَـةً يُحَـاجِلْنَ مَجْـنُوناً، لَهُـنَّ تُـرَاجِعُ
شَـقَقْنَ جُـيُوباً ثَائِـرَاتِ الـرُّؤُوسِ قَـدْ جَـرَحْنَ خُـدُوداً مَـا لَهُـنَّ بَـرَاقِعُ

يعني أن الحباريات لما يبصرن الباز يردن الفرار، ولا يجدن سبيلا؛ أي طريقا، ولما ترام[4] المسلمون يوم اليمامة[5] وحملوا على الموت الأحمر بعد هزمهم ثلاث مرات وألجأوا بني حنيفة[6] إلى الحديقة، ولم يجدوا سبيلا[19/18]

(1) نفسه، ج1، ص: 131.

(2) انظر شرح كلمة " حبارى" كما تقدم.

(3) كذا في الأصل والصواب لا يهتدى فيها، انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 353.

(4) كذا في الأصل والصواب هو " ترامى".

(5) اليمامة: مدينة متصلة بأرض عُمان من جهة المغرب مع الشمال، كان اسمها جوّاً، وسميت اليمامة بامرأة، وهي الزرقاء، زرقاء اليمامة، وهي المشهورة في الجاهلية بجودة النظر وصحة إدراك البصر. محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980، ص: 619.

(6) بنى حنيفة: الذين سكنوا الوادى الذى عرف باسمهم منذ ما قبل الإسلام بما يقرب من القرنين وكانت لهم قوة ومنعة ومع الوقت تفرقوا فى البلاد ثم تحالفوا مع قبيلة عنزة. وتعد بنو حنيفة من القبائل المحاربة، فمن أيامهم وقعة كانت في موضع يقال له: الظهر، بينهم وبين عمرو بن تميم، ويوم ذي أراطى كان بين بني حنيفة، وحلفائها من بني جعدة، وبني تميم، ويوم ذي ذرائح كان بين بني عمرو بن تميم وبني حنيفة، ويوم ملهم كان بين تميم وبني حنيفة، ويوم الفلج الاول كان لبني عامر بن صعصعة على بني حنيفة، والفلج الثاني لبني حنيفة على بني عامر، ويوم النشناش كان بينها وبين بني عقيل. رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دار العلم للملايين بيروت، ط2، 1968، ج1، ص: 312.

للفرار، فقالوا لمسيلمة[1]: هل أتاك وحي بنصرنا الآن. فقال: أما الدين فلا دين، ولكن قاتلوا على أحسابكم. ولما أخبر السلطان إسماعيل بن علي[2] بخروج الأتراك لحربه من الجزائر في عدة وعدد، وهو إذ ذاك بالشلف الأسفل مازونة[3] من أرض مغيلة[4]، قال لوزيره، منصور الرامي: هل عندك رأي فقال: ما رأيي إلا القتال، ولا سبيل للفرار منهم، وذلك في أواخر اثنين وعشرين ومائتين وألف. (ويحشرهن)، أي الحباريات، الخوف على حد قول امرئ القيس:

فَأَلْحَقَـــهُ بِالهَادِيَـــاتِ وَدُونَـــهُ جَوَاحِـرُهَا فِـي صَـرّةٍ لَـمْ تُـزَيَّلِ[5]

وقوله: (أعراب)، أي نساء أعراب وهم سكان البوادي عجما كانوا أو عربا، (على الطبل) يعني برنة؛ رنة النياحة (حلقة) جماعة و(يحاجل)؛ يحاور، (لهن تراجع) أي تكرير بكاء وصوت، و(الجيب) معروف، و(ثائرات الرؤوس) مرتفعة شعر الرؤوس بسبب نتفه وتلويثه، وفي الحديث "ليس منا من صلق، وذلق وحلق

(1) مسيلمة الكذاب: (ت 12هـ - 633م): رجل من بني حنيفة في اليمامة ادعى النبوة هزمه خالد بن الوليد في واقعة اليمامة المشهورة سنة 12هـ. نظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ج2، ص: 603.

(2) هو أبو الفداء إسماعيل بن علي بن كثير (1273 - 1331م) أمير مؤرخ وجغرافي عربي ولد بدمشق وكان أبوه الملك الأفضل أبلى بلاءً حسناً في قتال الصليبيين دخل سنة (1299) م في خدمة السلطان الملك الناصر، فكافأه بتعيينه في (1310م) والياً لمدينة حماه. ترجع شهرته إلى تأريخه العام (المختصر في تاريخ البشر) وله مؤلف جغرافي اسمه (تقويم البلدان) يعد من اشهر من حكموا (حماه) . الموسوعة العربية الميسرة. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 335.

(3) مازونة: بالمغرب(بالغرب الجزائري) بالقرب من مستغانم، وهي على ستة أميال من البحر، وهي مدينة بين أجبل، ولها مزارع وبساتين وأسواق عامرة، ولها يوم يجتمع فيه لسوقها أصناف البربر بضروب من الفواكه والألبان والسمن، والعسل بها كثير، وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصباً. الروض المعطار في خبر الأقطار، ص: 521.

(4) مغيلة: وهي قلعة على جبل منيف شديد الحصانة بينها وبين البحر خمسة فراسخ وبها عين ماء. الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص: 470.

(5) البيت من البحرالطويل انظر: ديوان امرؤ القيس: 51.

وخرق"[1] أي شق ثيابه وصلق صوته بالبكاء وذلق، ضرب الخد وحلق الشعر. و(البرقع): كقنفذ وخندق يكون للنساء، قال الحريري[2] في المقامة الثانية وهي الحلوانية:

وَأَقْبَلَتْ يَوْمَ جَدَّ البَيْنُ فِي حُلَلٍ ... سُودٍ تَعُضُّ بَنَانَ النَّادِمِ الحَصِرِ
فَلَاحَ لَيْلٌ عَلَى صُبْحٍ أَقَلَّهُمَا ... غُصْنٌ وَضَرَّسَتْ البِلَّورَ بِالدُّرَرِ
وَصَرْصَرَ فَوْقَهُنَّ بَازٌ عَرَفْنَهُ ... فَأَطْرَقْنَ هَيْبَةَ وَهُنَّ فَوَاكِعُ
وَحَلَّ بِهِنَّ الوَيْلُ مِنْهُ، وَأَصْبَحَتْ ... لَهُنَّ جَوَارٍ خَرْ بُهُنَّ مَصَارِعُ

(صرصر)، صوت بقوة، و(فكع) كمنع: استقبله بما يكره وقطعه، و(بكته) كبكعه، وضربه شديدا متتابعا في مواقع متفرقة في جسده، ويقال: طرق إذا سكت ولم يتكلم وأرخى عينيه ينظر إلى الأرض[3].

وفي المثال طرق إطراق الأقحوان في أصول السخبر[4]، و(الويل) حلول الشر وبهاء الفضيحة، أو هو تفجيع، يقال ويلهن وويلك وويلي في الندبة. وفي الحديث[5] "الريح باب رحمة والويل باب عذاب" أخرجه أبو نعيم. وقوله: (لهن

(1) ابن بطال، شرح صحيح البخارى، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 2003، ج3، ص: 280.

(2) الحريري: هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري صاحب المقامات والملحمة وشرحها، كان إماماً في النحو واللغة، مات سنة 516 هـ. ابن قاضى شهبة، طبقات الشافعية، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1407هـ، ج1، ص: 289.

(3) رضي الدين الأستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1975، ج 2، ص: 308.

(4) كذا في الأصل، والصواب ولا تطرق إطراق الأفعوان في أصول الخبر. راجع: أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط 1، 1968، ص: 258.

(5) ورد حديث آخر في الريح؛ من ذلك قوله: "لا تسبُّوا الرّيح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنّا نسألُك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شرّ هذه الرّيح وشرّ ما فيها وشرّ ما أُمرت به" صحّحه الترمذي". صالح بن فوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 2002، ج2، ص: 237.

جوار) من جأر كمنع جأرا؛ إذا رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث وفي التنزيل: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾[1] والخرب ذكر الحبارى، و(مصارع)؛ مقتول.

[المنى والأمنية]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَعُودُ لَنَا المُنَى وَتُسْعِفُنَا الأَيَّامُ وَالسَّعْدُ رَاجِعُ

المنى والأمنية ما تتمناه وترجى إتيانه إليك، وقوله عليك، قال شرف الدين بن عيسى للمظفر قبل أن يتولى[2]:

مَتَى أَرَاكَ وَمَنْ تَهْوَى وَأَنْتَ كَمَا تَهْوَى عَلَى زَعْمِهِمْ رُوحَيْنِ فِي بَدَنِ
هُنَاكَ أُنْشِدُ وَالأَمَانِي مُقْبِلَةٌ هُنِيتَ بِالمُلْكِ وَالأَحْبَابِ وَالوَطَنِ[3]

فلما ولاه أعطاه ألف دينار. و(ليت شعري) فلانا وله وعنه، ما صنع أي ليتني شعرت[4]، وأشعره الأمر وبه: أعلمه، والشعر: غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعرا "انظر القاموس[5]، والدهر قد يعد في الأسماء الحسنى، والزمن الطويل، والأمد الممدود، وألف سنة. وبفتح الهاء[6] والجمع أدهر، ودهور والنازلة والهمة والغاية والعادة والغلبة. انظر القاموس[7]، وقولنا الحديث فيه.

وتَكْنِفُنِي وَالصَّحْبَ صَحْرَاءُ (بَخْتَرِي) وَيَجْمَعُنَا (بحَبْلِ شَتْوَانَ) جَامِعُ

---

(1) النحل: 53.

(2) زكي الدين بن وهيب القوصي عبد الرحمن بن وهيب بن عبد الله، زكي الدين أبو القاسم القوصي الكاتب. كان فاضلاً في نظمه ونثره، متقناً للكتابة، توفي بحماة مشنوقاً بعد وزارته للملك المظفر بحماة وصحبته له دهراً طويلاً. صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ص: 290.

(3) البيتين من البحر البسيط.

(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج2، ص: 59.

(5) نفسه، ج2، ص: 59.

(6) نفسه، ج2، ص: 33.

(7) عبارة يكررها ابا راس كلما كان الكلام طويلا؛ ليشعر السامع أو القارئ إلى وجوب الرجوع إلى الأصل للاستفاضة من المعلومة.

تكنفني تأويني، ونحن في كنف الله، محركة، أي في حرزه وستره، وهو الجانب والظل والناحية و(الصحراء) الأرض المستوية في لين والفضاء الواسع لا نبات فيه، وإنما لم يصرف للزوم حروف التأنيث[1]، وبختري وشتوان موضعان ومازال الناس مشغوفين بحب الوطن، ولذا قال ﷺ كما جاء في صحيح البخاري: "اللهم أحبب[2] لنا المدينة كحبنا مكة أو أكثر".

وكان الملك سابور[3] أحد الأكاسرة أتى مختفيا لأرض الروم فعثروا عليه، فقبضه قيصر ملكهم وحبسه، فسمعت به بنت قيصر، فصارت تبعث له ما يريد خفية. وقد أصابه المرض فقالت له على لسان الرسول: أي شيء تشتهي؟ فقال: شربة ماء دجلة، وشمة من تراب اصطخر، وكلاهما [20/19] ببلده بالعراق، فبعثت، فأوتي بهما ففرش التراب وشرب الماء فبري، وفي الحديث " حب الوطن من الإيمان"[4]، وكفاك أن خُرُوجَهُمَا[5] قُرِنَ بالموت، ففي القرآن قال تعالى: ﴿ وَلَو أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ

(1) كذا الأصل، والصواب "لا نبات به.. . للزوم حرف التأنيث".

(2) كذا في الأصل والصواب "حبب". راجع: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج2، ص: 268.

(3) سابور بن هرمز الملك ابن نرسي بن بهرام الملك، ويقال له الملك شاهنشاه بن بهرام الملك ابن هرمز البطل الملك ابن سابور الجنود الملك بن أزدشير بن بابك بن ساسان بن بابك ابن ساسان بن بابك بن ساسان بن بهمن الملك، وهو سابور ذو الأكتاف، هكذا نقلت نسبه من خط عبد السلام بن الحسين بن محمد البصري في الكتاب المتضمن ذكر فضائل الفرس وذكر طبقات ملوكهم. الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص: 174.

(4) حديث(حب الوطن من الإيمان)، ليس بحديث، ولم يرد في كتب الحديث. ولكن معناه صحيح. انظر الدرر المنتثرة للسيوطي، ص: 110، وكشف الخفاء، ج1، ص: 325، والأسرار المرفوعة، ص: 189.

(5) يستدرك أبا راس ذلك في الهامش بقوله: "أن خروجه. . ". م - س، ورقة: 19.

مِّنۡهُمۡ ﴾[1].

وَنُرْسِلُ فِي (شَرْيَاطَةِ الجَرِ) طَيْرَنَا وَفِي (دَارَةَ الأَرْجَامِ) وَالحَيُّ نَاجِعُ

(شرياطة) اسم موضع وكذا (دارة الأرجام) و(الحي) اسم لقبيلة الناظم و(ناجع) طالب للمرعى، قال في القاموس: والنجعة بالضم طلب الكلا في موضعه ثم قال: وانتجع؛ طلب الكلأ، وفلانا؛ أتاه طالبا معروفه كتنجع فيهما والمنتجع المنزل في طلب الكلأ[2].

وَنُحَيِّي دَوَارِسَ الرُّبُوعِ التِّي عَفَتْ مَشَاتٍ لِقَنْصِنَا بِهَا وَمَرَابِعُ

(الدرس والعفا) بمعنى الذهاب والمحو، ففي كلامه تكرار، وجهة المعنى؛ ونحيي دوارس التي بها، وقوله (مشات لقنصنا) أي لصيدنا بها، و(المراجع) أي راجعين فكان يقول: ذاهبين وآيبين، قال في القاموس: "مرجع، ورجعى مقعد[3] ومنزل، صرفه ورده، كأرجعه، وأما الرجعة بالتاء أو كسر الراء، الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وبالكسر والفتح عود المطلق إلى مطلقته، والمرجع كمقعد، الموضع يرتبعون فيه في الربيع، والربع: الدار بعيبها حيث كانت[4] والجمع رباع وربوع وأربع[5]، وأرباع والمحلة والمنزل.

وَنُنْزِلُ مِنْ مَخْرُوفِهَا كُلَّ مُخْبِرٍ مُخْزٍ تَفُوتُ الحَصْرَ فِيهِ الفَعَافِعُ

قال خرف الثمار خرفا ومخرفا وخرافا، جناه: كاخترفه وكمرحلة البستان وسكة بين صفين من نخل يخترف المخترف من أيهما شاء، والطريق اللاعب كالمخرف كمقعد فيهما[6] والمخبر والمخبرة: العلم بالشيء كالاختيار، والمعنى

---

(1) النساء: 66.

(2) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 87.

(3) كذا في الأصل والصواب المقعد.

(4) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 27.

(5) ورد في الهامش السفلي من المخطوط عبارة " من باب مراجع بالجيم" إلا أن الرواية بالباء جمع مربع، وعلى كل حال فتفسيره لهذا البيت والذي بعده لا يخلو من خلل. وهو تعليق في محله.

(6) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 130.

ننزل من البساتين نخلها وطرقها وكل ما نعرفه ونعلمه ونختبره، و(الحز) بالحاء المهملة والزاي المعجمة و(الفعفع) كفدفد؛ الجدي والرجل الخفيف كالفعافع بالضم والسريع فعفع إذا قال للغنم: فع فع والفعفعاي والفعفعفني الجبان كالفعفاع[1].

عَفِيٌّ غَرِيرُ الصَّيْدِ مَا سَارَ قَانِصٌ بِهِ حِقْبَةً لَمْ يُرَعْ فِيهِ رَائِعُ

يعني أن كل موضع مما مر عفي من المرور والطروق، و(غرير الصيد) أي تُمكِن فيه غرة الصيد وخَدْعُه والمكربةِ، و(ما) نافية، أي لم يسر قانص أي صائد، (حقبة) بكسر الحاء، والحقبة بالكسر، والدهر مدة لا وقت لها، والسنة، والجمع كعنب وحبوب والحقب بالضم وبضمتين ثمانين[2] سنة أو أكثر، والدهر والسنة أو السنون، والجمع أحقاب، وأحقب[3]. وقوله (ولم يرع) أو لم يروع الصيد فيه أي فيها ذكر رايع ولم يفزعه فيه فازع لأمنه وعدم خوفه ممن يرومه بسوء.

كَسَتْهُ سَحِيقَةٌ مِنَ الجُودِ دِيمَةٌ بُرُوداً كَوَشْيِ لَوَّنَتْهُ الصَّوَانِعُ[4]

(السحيقة)؛ المطرة العظيمة تسحق ما مرت به، و(الجود) المطر الغزير، وما لا مطر فوقه جمع جائد[5]، و(الديمة) بالكسر مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق، أو يدوم خمسة أو ستة أو سبعة أو يوم[6] وليلة أقله ثلث النهار أو الليل[7]، والجمع ديم وديوم، و(الفرود) المكان الصلب الغليظ المرتفع، والأرض المستوية هكذا في نسخة بالفاء[8] والدال، والصواب (برود) بالباء والراء؛ أي كسته سحيقة من الجود ديمة، منصوب على الحال، وبرود منصوب؛ مفعول ثاني ل (كسى) والأول الضمير،

(1) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 64.
(2) في هامش المخطوط وردت كلمة "ثمانون" بدل "ثمانين".
(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 56.
(4) كذا في الأصل والصواب الصوانع.
(5) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 284.
(6) كذا في الأصل والصواب " يوما".
(7) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، ص: 114.
(8) إشارة إلى امتلاك الناسخ عددا من نسخ شرح الروضة السلوانية.

فكسى كأعطى يتعدى لمفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر[1].

والمراد بالبرود، خلاف[2] أزهار النبات ولذا قال: كوشي لأن الوشي: رسم الثوب وتزويقه يكون من كل لون، يقال: وشى الثوب وشيا نقشه، وحسنه كوشاه، وكلامه كذب فيه[3] ولذا يقال الكذابين في كلامهم: الوشاة. والمراد هنا "كوشي" كتزويق ثياب لونته، أي حسنته الصنايع بضم العين الوزن على أنه جمع صانع مع أن جمع صانع صناع، ولما قال في القاموس صنع كمنع صنعا بالضم إلى أن قال كالصنيعة والجمع صنايع انظره[4].

وَنَشْهَدُ حُسْنَ الصَّنْعِ فِيمَا نُرِيغُهُ مِنَ الوَحْشِ أَوْ نُرَوِّعُهُ، وَهُوَ هَاجِعُ

يعني أنَّا[5] نشهد حسن الصنع في اقتناص الصيد فيما يزيغه منه، أي نأتيه على غرة ومكر وخديعة، أو نروعه وهو هاجع. قال في القاموس الهجوع، والتهاجع؛[22/21] النوم ليلا، والتهاجع النومة الخفيفة، وهجع كمنع، وأراد هنا مطلق النوم ليلا ونهارا[6]. وفي كلامه من الجزالة والمقابلة ما لا يخفى، لأن الإراغة[7] إنما تناسب الصيد واليقظان والروع للهاجع.

وَنَسْمَعُ تَغْرِيدَ الطُّيُورِ إِذَا غَدَتْ بِمُخْتَلَفِ الأَصْوَاتِ صُبْحاً، تَرَاجَعُ

قال في القاموس: "الغريد كخذيم الشديد الصوت"[8] ؛ قال الشاعر[9]:

---

(1) كذا في الأصل والصواب ليس أصلهما مبتدأ وخبر.

(2) كذا في الأصل والصواب اختلاف أزهار النبات.

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، ص: 400.

(4) نفسه، ج3، ص: 52.

(5) كذا في الأصل والصواب هو "أنّنا".

(6) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، ص: 98.

(7) الإراغة: من راوغ فلانٌ فلاناً، إذا صارعه؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يُرِيغ الآخَر، أي يُديرُه. ويقال: هذه رِواغة بني فلان ورِياغتهم: حيث يصْطَرِعُون. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص: 460.

(8) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 321.

(9) كتب في الهامش السفلي من المخطوط [ومربعهم] للتصويب. وللشعراء قديما وحديثا الإكثار من ذكر الحمام والفواخت والورشان في أشعارهم واستحسان أصواتها. فمن مستحسن ما =

سَـــيُغْنِيكَ مِـــزْمَارُهُ آلَ مُخَـــارِقٍ [وَمَـنْ يَفْهَـمِ] تَغْـرِيدَ تِلْـكَ الحَمَـائِمِ
بِأَيْكَـــةٍ نَـــضَارٍ تُجَـــارِينَ بِالـــضُّحَى عَلَـــى شَـــاهِقَاتٍ آفِـــلَاتٍ نَـــوَاعِمِ

قال الشيخ الشريف الغرناطي[1] في شرحه لمقصورة حازم عن ابن سراج: صوت الحمام على حال المستمع، فإذا سمعه من يطرب سماه غناء وإذا سمعه من يحزن سماه نواح، قال ابن قاضي ميلة[2]:

يَـرَهُم القَلْـبُ الخَالِـي فَـيَقُولُ غَـنَّا وَمَـنْ بَـرِحَ بِالـشَّجَى يَقُـولُ بَـيَانا

قلت سماه نواحا أبو فراس الحمداني[3] وهو أسير بأرض الروم حيث قال:

=

للأولين في ذلك قول الشاعر :
سيغنيك عن مزمار آل مخارق.. . وبربطهم تغريد تلك الحمائمِ
بأيكة ناظر تجاوبن بالضحى.. . على شاهقات آفلاتٍ نواعم
راجع: اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1981، ص: 299.

(1) الشريف الغرناطي(697 - 760هـ=1297 - 1359م): محمد بن أحمد بن محمد الحسيني أبو القاسم، المعروف بالشريف: قاض أندلسي، من الفضلاء الأدباء، ولد ونشأ بسبتة، وولي ديوان الإنشاء بغرناطة، ثم القضاء والخطابة فيها، وولي قضاء وادي آش، ثم أعيد إلى غرناطة، وتوفي بها وهو على قضائها. له ديوان شعر سماه "جهد المقل" وشروح في الأدب والنحو. ج5، خير الدين الزركلي، الأعلام، ص: 327.

(2) ابن قاضي ميلة: هو عبد الله بن محمد بن قاضي ميلة - بكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف. بليدةٌ من إفريقية. قال ابن رشيق في الأنموذج: شاعرٌ لسنٌ مقتدر يؤثر الاستعارة ويكثر الزجر والعيافة، من أوصافه: "لا يجلب لأدب يرسم، ولا حظ من حسن الذكر يقسم، ولا لعرف يتنسم، ولا لبركة تتوسم". لسان الدين ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1963، ص: 147.

(3) أبو فراس الحمداني(320 - 357هـ=932 - 968م) الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي، أبو فراس الحمداني: أمير، شاعر، فارس، وهو ابن عم سيف الدولة، كان الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك وختم بملك - يعني امرأ القيس وأبا فراس - وله وقائع كثيرة، قاتل بها بين يدي سيف الدولة، وكان سيف الدولة يحبه ويجله ويستصحبه في غزواته ويقدمه على سائر قومه، وقلده منبجا وحران وأعمالها، فكان يسكن بمنبج (بين حلب والفرات) ويتنقل في بلاد الشام، وجرح في معركة مع الروم، فأسروه (سنة 351 هـ) =

أَقُـولُ وَقَـدْ نَاحَـتْ بِقُرْبِـي حَمَامَـةٌ أَيَـا جَارَتَـا هَـلْ بَـاتَ حَالُـكِ حَالِـي
مَعَاذَ الهَـوَى مَـا ذُقْتِ طَارِقَـةَ النَّوَى وَلَا خَطَـرَتْ مِـنْكِ الهُمُـومَ بِـبَالِ
أَتَحْمِـلُ مَحْـزُونَ الفُـؤَادِ قَـوَائِمٌ إِلَـى غُـصْنٍ نَائِـبِ المَـسَافَةِ عَـالِ

وهي طويلة أوردها شهاب الدين أحمد الخفاجي في شرح الشفا[1] وقال ذو الرمة[2]:

وَلَـوْ لَـمْ يَهْجِنِي الضَّاعِنُونَ[3] لَهَاجَنِي حَمَـائِمُ وُرْقٍ فِـي الـدِّيَارِ وُقُـوعُ
تَبَاكَـيْنَ فَاسْـتَبْكَيْنَ مَـنْ كَـانَ ذَا هَـوَى نَـوَائِحُ مَـا تجـر فِـي المُقَـلِ دُمُـوعُ

وقوله تراجع من التراجيع وهو ترديد الصوت.

عَلَـى كُـلِّ مَـيَّادٍ يُـرَنِّحُهُ الهَـوَى وَتُطْـرِبُهُ الأَلْحَـانُ وَالغُـصْنُ يَانِـعُ

يقال (ماد) الغصن والنبات، اهتزّ وجرى فيه الماء وتنعم[4] ومعنى يرنحه الهوى، أي يميله، وترنح الرجل تمايل بالسكر، أو غيره[5]، والطرب خفة تلحقك

=

فامتاز شعره في الأسر برومياته، وبقي في القسطنطينية أعواما، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 155.

(1) أحمد الخفاجي (979 - 1069هـ/1571 - 1659م) أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، المصري، الحنفي (شهاب، أبو العباس) لغوي، أديب مشارك، ولد بمصر، وتوفي بها في 12 رمضان وقد أناف على التسعين، من مؤلفاته الكثيرة: شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل والنادر الحوشي القليل، وديوان العرب في ذكر شعراء العرب. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص: 138. ذو الرمة: هو غيلان بن عقبة بن بهيش، ويكنى أبا الحارث، وهو من بني صعب بن ملكان بن عدي بن عبد مناة. عاش بين سنتي 77 - 117هـ.

(2) ذوالرمة: (77 - 117هـ=696 - 735م): غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة: شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره، وكان مقيما بالبادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيرا، وامتاز بإجادة التشبيه. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 124.

(3) كذا في الأصل والصواب الظاعنون.

(4) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 336.

(5) نفسه، ج1، ص: 224.

فتسرك أو تحزنك، وتخصيصه بالفرح وهم[1]، لاكن[2] المراد هنا الفرح، والغصن بالضم ما تشعب من ساق الشجر، رقاقها وغلاظها، يقال أينع الثمر؛ حان قطافه. قال في القاموس: "واليانع: الأحمر من كل شيء"[3] وأينع الغصن، كمل وتم ولان، ولذا قال في القاموس أيضا (واليانع) بالضم من جل الشجر، قال حميد الأرقط[4]: [23/22]

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقُ إِلَّا حَمَامَةٌ دَعَتْ سَاقَ حُرٍّفِي حَمَامٍ تَرَنَّمَا
فَغَنَّتْ عَلَى غُصْنٍ عَشَاءً فَلَمْ تَدَعْ لِنَا بِحَةٍ فِي نَوحِهَا مُتَلَوِّمَا
إِذَا حَرَّكَتْهُ الرِّيحُ أَوْ مَالَ مِيلَة فَغَنَّتْ عَلَيْهِ مَائِلًا وَمُقَوَّمَا

لطيفة: قال إمام اللغة الزبيد[5]، حدثني منذر بن سعيد الولهاصي[6] قاضي

---

(1) نفسه، ج1، ص: 16.

(2) كذا في الأصل والصواب لكن.

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 102.

(4) حميد الأرقط: هو حميد بن الأرقط بن ثور من فحول شعراء العرب، فقد كان شاعرا وبخيلا؛ هجاءً للضيف، فحاشاً عليه، فنزل به ضيف ذات ليلة، فقال لامرأته: نزل بك البلاء، قومي فأعدي لنا شيئا، ففعلت، فجعل الضيف يأكل ويقول: ما فعل الحجاج بالناس؟ فلما فرغ، قال حميد:

يجر على الأطناب من جذل بيتنا هجفٌ لمخزون التحية باذل
يقول وقد ألقى المراسي للقرى أين لي ما الحجاج بالناس فاعل

أبو العباس المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1007، ج3، ص: 92.

(5) كذا في الأصل والصواب "الزبيدي". مرتضى الزبيدي (1145 - 1205هـ = 1732 - 1790م) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدى، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ومنشأه في زبيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله وانهالت عليه الهدايا والتحف، وكاتبه ملوك الحجاز والهند واليمن والشام والعراق والمغرب الأقصى والترك والسودان والجزائر. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 77.

(6) البلوطي (273 - 355 هـ =886 - 966م) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النفزى القرطبى، أبو الحكم البلوطى: قاضى قضاة الاندلس في عصره. كان فقيها خطيبا شاعرا =

قرطبة[1]، قال: أتيت مجلس ابن النحاس بمصر فألفيته يملي: قيس بن معاذ المجنون[2] وهو:

خَلِيلِي هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ فَتَبْكِي عَلَى نَجْدٍ [لَعَلَّ][3] أُعِينُهَا
قَدْ أَسْلَمَهَا البَاكُونَ [إِلَى][4] حَمَامَةٍ مُطَوَّقَةٍ قَدْ بَاتَتْ وَبَاتَ قَرِينُهَا
تُجَاوِبُهَا أُخْرَى خَيْزُرَانَةٍ يَكَادُ يُدْنِيهَا مِنَ الأَرْضِ لِينُهَا

فقلت ماذا باتا يصنعان؟ فقال: وكيف تقول أنت يا أندلسي؟ فقلت: بانت وبان قرينها، فسكت ومازال يستثقلني حتى منعني من نسخ كتاب العين[5].

=

فصيحا. نسبته إلى (فحص البلوط) بقرب قرطبة. ويقال له (الكزنى) نسبة إلى فخذ من البربر يسمى (كزنة)، رحل حاجا سنة 308هـ، فأقام في رحلته. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 294.

(1) قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس، اشتهروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزي وعلو الهمة وجميل الأخلاق، وكان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء، وتجارها مياسير وأحوالهم واسعة، وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضاً، وبين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمّامات وسائر الصناعات، وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال، وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس. الروض المعطار في خبر الأقطار، ص: 456.

(2) هو قيس بن معاذ، ويقال قيس بن الملوح. أحد بني جعدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويقال بل هو من بني عقيل بن كعب بن ربيعة. ولقبه المجنون لذهاب عقله بشدة عشقه، وكان الأصمعي يقول لم يكن مجنوناً، ولكن كان فيه لوثة كلوثة أبي حية، وهو من أشعر الناس، على أنهم قد نحلوه شعراً كثيراً رقيقاً يشبه شعره، كقول أبي صخر الهذلي:

أَما والَّذي أَبْكَى وأَضْحَكَ والَّذي أَماتَ وأَحْيَا والَّذي أَمْرُهُ الأَمْرُ
لقَدْ تَرَكَتْني أَحْسُدُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى أَلِيفَيْنِ منها لا يَرُوعُهُما النَّفْرُ

ابن قتيبة الدنيوري، الشعر والشعراء، ص: 121.

(3) كذا في الأصل والصواب هو لعلي.

(4) كذا في الأصل والصواب إلا.

(5) كتاب العين لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى. قيس بن معاذ: وهو المجنون صاحب ليلى، وكان الأصمعي يقول: لم يكن مجنونا، وإنما كانت به لوثة كلوثة أبي حَيَّةَ =

قال السيوطي[1]: جلس أبو جعفر ابن النحاس على المقياس يقطع شيئا من الشعر، فسمعه جاهل، فقال: هذا يسحر النيل حتى لا يزيد، فدفعه برجله، فغرق سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.

فَيَهْتَـــزُّ شَـــوْقاً أَنْ تُغَنِّـــي بَلاَبِـــلٌ وَإِنْ رَنَّـــت الـــوَرْقَاءُ فَهُـــوَ يُطَـــاوِعُ

(الشوق) نزاع النفس وتحريك الهوى، والجمع أشواق، وقد شاقني حبها، هاجني، و(البلابل) واحدها بلبل بالضم طائر، معروف له صوت حسن، يعني أن الغصن يهتز شوقا من هوى وغنى[2] البلابل. و(رنت الورقاء)، الرنة؛ الصوت ورَنَّ، يَرِنُّ، صَاحَ إليه صَغَى[3] والورقاء الحمامة، والجمع وراقي، ووراق، أي وإن صوتت الورقاء بألحانها فهو، أي الغصن يطاوع في أي جهة مالت إليها مال وقال الغراب الصفاقسي[4]:

لاَ غَـرْوَ أَنْ رُمْـتُ الوَصْـلَ مِـنْهَا ثَانِـيَةً وَكَـانَ عَنِّـي مِـنْهَا الوَصْـلُ يَمْتَـنِعُ
وَقَـدها غُـصْنُ بَـانَ وَالغُـرَابُ أَنَـا إِنَّ الطُّـيُورَ عَلَـى أَجْنَاسِـهَا تَقَـعُ
وَنَقْطِـفُ نُـورَ الزَّهْـرِ مِـنْ كُـلِّ رَوْضَـةٍ وَنَقْـتَحِمُ الغُـدرَانَ وَهِـيَ نُوَاقِـعُ

يقال قطف العنب يقطفه، جناه والنور بفتح النون، هو الأشجار يقال نور الشجر تنور[5] خرج نوره والزهر بسكون الهاء ويحرك، النبات أو الأصغر منه،

=

وهو القائل في ليلى :

ولم أرَ ليلى بعد موقف ساعةٍ.. . ببطنِ مِنًى ترمى جمار المحصَّبِ

(1) السيوطي (804 - 855هـ=1402 - 1451م) أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان الخضيري السيوطي: فاضل مصري، له علم بالعربية وفقه الشافعية. عرض عليه قضاء مكة فأبى؛ وهو والد الامام السيوطي (عبد الرحمن)، ولد في سيوط (أسيوط)واستقر وتوفي بالقاهرة، له كتب، منها (حاشية على أدب القضاء للغزي) وكتاب في (التصريف) و(حاشية على شرح الألفية لابن المصنف) لم يتمها. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 69.

(2) كذا في الأصل والصواب غناء.

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2، ص: 228.

(4) علي الغراب الصفاقسي (؟ - 1767 م) هو أبو الحسن، شاعر له علم بفقه المالكية، من أهل صفاقس انتقل إلى تونس وتوفي بها، له مقامات أدبية وديوان شعر. / والبيتين من البسيط.

(5) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2، ص: 148.

والجمع أزهار، وجمع الجمع أزاهير. ومن الدنيا بهجتها ونضارتها وحسنها، والروضة والريضة بالكسر[1] والعشب مستنقع بالماء[2] لاستراضة الماء فيها والجمع روض ورياض.

إِذَا لَمْ تَسُدْ بِالعِلْمِ وَالحِلْمِ وَالتُّقَى وَبِالجُود والإِقْدَامِ، إِنَّكَ رَاضِعُ

وهو أعور أشل أفطس أعرج وأمه سوداء، [24/23] وإنما ساد بالعلم، علم لعبد الملك وبنيه شيئا من مناسك الحج، فقال عبد الملك[3] لهم عليكم بالعلم فإنني لا أنسى وقوفا بين يدي هذا العبد الأسود.

وقال علي ﷺ لكميل النخعي: "يا كميل[4] العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال[ينفظ][5] بالنفقة، والعلم يزكو بها" وقال أيضا: العالم أفضل من الصايم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه، وقال العيني في آخر شرح الكنز في قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[6] : هم العلماء، وقوله (والحلم)، قال ابن عطية[7] من فسر الحلم

(1) ما دام الناسخ قد ذكر حرف العطف (الواو) في قوله والعشب، فإنه حتما يكون أسقط كلمة (رمل) الواردة في القاموس المحيط. والأصل (والريضة بالكسر من الرمل والعشب).. . ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2، ص: 333.

(2) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2، ص: 333.

(3) عبد الملك بن مروان (26 - 86هـ=646 - 705م) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد: من أعاظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة، فقيها واسع العلم، متعبدا، ناسكا، وشهد يوم الدار مع أبيه. واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن 16 سنة. وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة 65 هـ) فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة، فكان جبارا على معانديه، قوي الهيبة. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 165.

(4) كُميل بن زياد النخعي الكُوفي كان شجاعًا زاهدًا قتله الحجاجُ بنُ يُوسف، وذلك أن الحجاج نقم عليه؛ لأنه طلب من عثمان بن عفان القِصَاص من لطمةٍ لطمها إيَّاه، فلما مكَّنَهُ عثمان من نفسه عفا عنه. عبد الحميد بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1959، ج17، ص: 149.

(5) كذا في الأصل والصواب ينفذ.

(6) النساء: 59.

(7) عبد الحق بن عطية المحاربي: (؟ - 709هـ) . ولقي في ترحاله علماء كثيرون منهم: =

بالتردد فقد أحرز أكثر معناه، وكان الأحنف بن قيس التميمي[1] يضرب به المثل في الحلم، وكان سيد قومه ومع ذلك قال: تعلمته من قيس بن عاصم[2] وقيس هو الذي بسط له الرسول ﷺ رداءه وقال: "هذا سيد الوبر"[3]، وقال معاوية[4] "إني أستحيي أن يكون ذنبا أعظم من حلم"، وكان سليمان بن نوفل سيد كنانة[5]. وثب رجل على ابنه وابن أخيه فأتي به إليه فقال له: ما أمنك من انتقامي، فقال: لأنا سيدناك إلا أن تكتم الغيظ وتحلم على الجاهل، فخلى سبيله. قال الشاعر:

=

الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر الإشبيلي، ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج1، ص: 57.

(1) الأحنف بن قيس (؟ - 72هـ، ؟ - 691م) . الأحنف بن قيس التميمي. سيد بني تميم، مخضرم، أدرك النبي ﷺ ولم يره. محدِّث ثقة ومأمون. ولد في البصرة. كان حليمًا، ذا رأي وحزم، يُضرب به المثل في الحِلْم. وفد على عمر بن الخطاب أيام خلافته، فمكث عنده سنة، ثم رجع إلى البصرة. روى عن عمر، وعثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود، وأبي ذر وغيرهم. مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج10، ص: 130.

(2) قيس بن عاصم المنقري: قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس، واسم مقاعس: الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي المنقري وإنما سمي الحارث مقاعسا لتقاعسه عن حلف بني سعد بن زيد مناة. يكنى: أبا علي وقيل: أبو طلحة وقيل: أبو قبيصة. والأول أشهر. وأمه أم أسفر بنت خليفة وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم وأسلم سنة تسع. ولما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: "هذا سيد أهل الوبر". ابن ماكولا، إكمال الكمال، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج3، ص: 185 . خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 206.

(3) راجع: ابن ماكولا، إكمال الكمال، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج3، ص: 185.

(4) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أمير المؤمنين ولد قبل البعثة بخمس سنين وقيل بسبع وقيل بثلاث عشرة والأول أشهر وحكى الواقدي أنه أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ، ج6، ص: 151.

(5) كذا في الأصل والصواب سلم بن نوفل.

[سيدون][1] أَقْوَامٍ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ بَل السَّيِّد الصِّنْدِيدُ سَلْمُ بْنُ نَوْفَلِ

وقال عامر بن الطفيل[2]: إيعادي كذب ووعدي صدق" وقوله و(التقى)، اعلم أن التقى رأس كل خير وكفى به مدحا، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3].

هشم جبلة بن الأيهم[4] ملك غسان أنف رجل من فزارة في المطاف بالبيت، أقاده منه عمر ﷺ. قال جبلة: وأنا ملك وهو من السوقة فقال عمر: "إن تفضله إلا بالتقى".

وقوله (بالجود) هو بذل ما يشق على النفس، وكان النبي ﷺ أجود من الريح المرسلة وأكثر ما يكون في رمضان[5] ؛ وكان يقال لعبد الله بن جعفر "كريم الدنيا"[6]. وضرب بحاتم الطائي المثل وهو المخاطب لزوجه ماوية بنت

---

(1) كذا في الأصل والصواب "يسود".

(2) عامر بن الطفيل: (70 ق هـ - 11هـ=554 - 632م): عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة: فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كنيته أبو علي. ولد ونشأ بنجد. وكان يأمر مناديا في (عكاظ) ينادي: هل من راجل فنحمله؟ أو جائع فنطعمه؟ أو خائف فنؤمنه؟ وخاض المعارك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخا. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 252.

(3) الحجرات: 13.

(4) جبلة بن الأيهم (000 - 20 هـ = 000 - 641 م) جبلة بن الأيهم بن جبلة الغساني، من آل جفنة: آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام. عاش زمنا في العصر الجاهلي، وقاتل المسلمين في دومة الجندل (سنة 12 هـ) وحضر وقعة اليرموك (سنة 15 هـ) وهو على مقدمة عرب الشام من لخم وجذام وغيرهما، في جيش الروم، وانهزم الروم، وجبلة معهم.
ثم أسلم، وهاجر إلى المدينة (في رواية ابن خلدون) وارتد فيها، وخرج إلى بلاد الروم. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 111.

(5) راجع: أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1999، ج1، ص: 51.

(6) (000 - 8 هـ = 000 - 629 م) جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم: صحابي هاشمي. من شجعانهم. يقال له (جعفر الطيار) وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وكان أسن من علي بعشر سنين. وهو من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل =

ملكان[1] بقوله:

أَمَــاوِي إِنَّ المَــالَ غَــادٍ وَرَائِــحُ وَيَبْقَى مِنَ المَالِ الأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ[2]

ومن خرج عن العادة فيه كعب بن أمامة[3] فإنه آثر غيره بالماء فمات عطشا، ومنهم حارثة بن لأم الطائي[4] المشهور بابن سعدى وهما مراد جرير[5] في مدح عمر بن العزيز[6]، حيث يقول[7]:

=

رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ويدعو فيها، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلم يزل هنالك إلى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فقدم عليه جعفر، وهو بخيبر (سنة 7هـ) وحضر وقعة مؤتة بالبلقاء (من أرض الشام) فنزل عن فرسه وقاتل، ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين، فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى، فقطعت أيضا، فاحتضن الراية إلى صدره، وصبر، حتى وقع شهيدا وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية، فقيل: إن الله عوضه عن يديه جناحين في الجنة. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 125.

(1) حاتم الطائي مشهور بكرمه وهو أحد الثلاثة منهم: هرم بن سنان - كعب بن أمامة الإيادي وحاتم الطائي. أما زوجه فهي ماوية بنت عفزر وكانت ملكة لا تتزوج إلا من أرادت. انظر: أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ص: 242.

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق، تح: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998، ج11، ص: 376.

(3) كعب بن أمامة: الذي يضرب به المثل في الجود، كان معه ماء ومعه رفيق فعطش رفيقه في الطريق فسقاه الماء الذي كان معه ومات عطشاً. الجاحظ، المحاسن والأضداد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994، ص: 54.

(4) هو ابن سعدى وهو أوس بن حارثة بن لأم الطائي، وسعدى أمه.

(5) هو جرير بن عطية الخطفي ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب من يربوع التميمي أبو حزرة، الشاعر، ولد باليمامة، وتوفي بها سنة 110هـ. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص: 127، ابن سلام، طبقات الشعراء، ص: 86.

(6) عبد العزيز بن عمر (000 - بعد 147 هـ = 000 - بعد 764 م) عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي: أمير، من سكان المدينة. ولاه يزيد بن الوليد إمرة مكة والمدينة، سنة 126 هـ. وأقره مروان بن محمد، ثم عزله بعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 23.

(7) قصيدة جرير في مدح الخليفة عمر بن عبد العزيز (26) بيتا من الوافر. ابن الوردي، تاريخ ابن

=

فَمَا كَعْبُ بْنُ أُمَامَةَ وَابْنُ سَعْدَى بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرُ الجَوَادَا

وقوله (والإقدام) أي في الحرب على جند العدو، وقال أبو العلاء المعري وأجاد[1]:

اَلَا فِي سَبِيلِ المَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلُ عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ ونَائِلُ

وقال أبو تمام[2]، واسمه أوس بن حبيب الطائي في الواثق العباسي[3] إقدام عمرو في سماحة حاتم، أراد عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وكان حضين بن المنذرعقد له علي ﷺ في حروب صفين على ربيعة كلها فسادهم وقال فيه:

لِمَنْ رَايَةٌ سَوْدَاءُ يَخْفَقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قدمها حُضَيْنُ تَقَدَّمَا[4]

وكان عصام ساد[5] الناس بإقدامه حتى قدمه الحجاج بن يوسف على خرق البيرتات وقال في نفسه:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا وَعَلَّمَتْهُ الكَرَّ وَالإِقْدَامَا

وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامَا وَحَتَّى عَلَا وَجَاوَزَ الأَقْوَامَ

والمشهور بالإقدام في الجاهلية بسطام بن قيس الشيباني[6]،

=

الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996. ج1، ص: 89.

(1) أبو العلاء المعري: (363 - 449 هـ=973 - 1057م) أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعري: شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيرا فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر. ج1، ص: 157.

(2) أبو تمام (188 - 231 هـ = 804 - 846 م) جبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الاديب. أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 165.

(3) الواثق العباسي، سيد بني العباس في زمانه وشيخهم مات في ذي الحجة وله خمس وتسعون سنة. خير الدين الزركلي، ج4، ص: 303.

(4) خير الدين الزركلين الأعلام، ج2، ص: 263.

(5) كذا في الأصل والصواب "وكان عصام "قد"" ساد الناس.

(6) قد سبقت ترجمته.

قتل في حروبهم مع تميم[1]. وعتبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي التميمي[2]، قتله ذؤاب بن ربيعة الأسري[3]، وصخر أخو الخنساء السلمي[4] قتله بنو أسد. وربيعة بن مكدم[5]، قتله نبشة بن حبيب الأسدي وعبد الله بن جذل الطعان الكناني[6] والحوفزان الشيباني[7] وغيرهم، وكل واحد سيد قومه. وقوله: "فإنك راضع" أي مرضع، والمعنى[فإنك] [8] رضاع أمك إياك، فلا يؤثر فيك خصلة، فلا يقال فيك لله دره، من الدر وهو الحليب رضعته من أمك.

(1) قبيلة تميم: من قبائل العراق قديماً والمترددة إليه بكثرة وأصلها من القبائل العدنانية ومن أشهر رؤسائها حاجب بن زرارة التميمي صاحب القوس (قوس حاجب) الذي يضرب به المثل في الوفاء. وهي من القبائل العربية الكبيرة في شرق الجزيرة، كان لها شأن في الجزيرة والإسلام. جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ط4، 2001، ج7، ص: 363.

(2) ينظر: أبي البقاء الحلي، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، ص: 106.

(3) ذؤاب بن ربيعة: ذؤاب بن ربيعة بن عبيد بن أسعد بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين الاسدي قاتل عتيبة بن الحارث بن شهاب. ابن ماكولا، إكمال الكمال، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج3، ص: 338.

(4) راجع: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1900، ج6، ص: 34.

(5) وهو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة، وهم أنجد العرب، كان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم، وكان ربيعة بن مكدم يعقر على قبره في الجاهلية، ولم يعقر على قبر أحد غيره، وقتلته بنو سليم يوم الكديد. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، تح: مفيد قميحة وجماعة، بيروت، ط1، 2004، ج15، ص: 286.

(6) عبد الله بن جدل الطعان: شاعر جاهلي ويكنى أبا وافر، واسمه عبد الله بن جذل الطعان، عمير بن قيس الكناني، ومن شعره:

لَقَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌ أَنَّ قَوْمِي كِرَامُ النَّاسِ إنَّ لَهُمْ كِرَامَا

البكري، اللآلئ في شرح أمالي القالي، ص: 59.

(7) هو الحوفزان بن شريك الشيباني: قاهر الملوك، والموصوف بالكرم والشجاعة. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، المرجع السابق، ج10، ص: 69.

(8) كذا في الأصل والصواب فإن رضاع أمك لا يؤثر.

[الحسرة عَلَى المَاضِي]

كَأَنِّـي لَـمْ أَرْقُـبْ مَـسَاءً بِـشَدْنُقِي ... عَلَـى طَلَـلٍ، وَالغَـيْثُ طَـلٌّ وَهَامِـعُ
وَلَـمْ أَتَخَيَّـرْ عَـنْ بِـسَاطِي وَنَمْرُقِـي ... بِـسَاطًا نَقِـيُّ الـرَّمْلِ، وَالفَـجُّ وَاسِـعُ
بِذَاتِ العَلْنَدَى أَوْ(بِذَاتِ الهُبُورِ) أَوْ ... عِطَاشَ الفَيَافِي، حَيْثُ لاَمَنْ يُطَالِعُ

(الشدنق) بدال مهملة، وبذال معجمة أيضا، والشينذق والشيذقان؛ الصقر أو الشاهين[1]، و(الطلل) بالتحريك، الشاخص من أثر الديار، وشخص كل شيء كالطلالة، كسحابة والجمع أطلال، وطلول، و(الطل)؛ المكر الضعيف[2]. و(الهامع) المطر السيال من همعة عينه، إذا سالت الدمع، و(البساط) الفراش، و(النمرق) الوسادة، والمعنى: لم أتخير في فراشي ووسادتي عن بساط (نقي الرمل)، وهي القطعة منه، بل هما عندي سواء [فقد داخلة] على بساط، و(الفج) الطريق الواسعة بين جبلين، و(العلندي) شجر من العصاه له شوك، والواحدة بهاء والجمع علاند، وبضمتين[3] و(الهبور)[4] واحد هبر بفتح الباء ما اطمأن من الأرض والرمل كالهبير و(الفيافي): الأرض القفر، وَلَمَّا عد هذه الأماكن لأنها محل الصيد في الغالب، ألا ترى إلى قول الحجاج بن يوسف[5]: [25/24]

يَـــرْكَبُ كُـــلَّ عَاقِـــرٍ جُمْهُـــورِ ... مَخَافَـــةَ وَزَعَـــلِ المَحْـــبُورِ

---

(1) راجع: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 248.
(2) نفسه، ج4، ص ص: 08 - 07.
(3) نفسه، ج1، ص: 317.
(4) الهبور: بطن من الرياحين، من مطير. عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، دار العلم للملايين، ط2، 1968، ج3، ص: 1208. والهبور الذي يقصده الشارح هو موضع بين بلدة منطقة فجيج وتيجرارين وبه صيد وفير.
(5) (40 - 95 هـ = 660 - 714 م) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 168.

والهول من تهول الهبور، وقوله (لامن يطالع) أي لامن ينظر إلى فعلك من حاسد وماكر، ومن غيبة فاجر، فهو من معنى قوله فيما مر أول الكتاب بصدد ذكر الرذائل... إلخ.

وَأَرْضٌ تَحَـارُ فِـي مَجَاهِلِهَـا القَطَـا وَلاَ تَهْـتَدِي تَـسِيُر فِـيهَا الطَّلَائِـعُ

تحار بفتح التاء، أي تتحير و(أرض مجهول) كمقعد لا يُهتدى فيها، لا يثنى ولا يجمع كما في القاموس، ولعل الناظم جمع لضرورة الوزن و(القطا)، طائر معروف يضرب به المثل في الاهتداء، فإنها تترك أفراخها في القفر وتذهب للماء المسافة البعيدة كالخمسة[الأيام][1]، وتأتي فلا تخطئ. قال الطرماح، شاعر تميم[2]:

بِطـرق اللُّـؤْمِ أَهْـدَى مِـنَ القَطَـا وَلَـوْ سَـلَكَتْ سُبُلَ المَكَـارِمِ ضَـلَّت

وسميت قطا بتسمية صوتها لأنها تقول قطا قطا، قال الشاعر فيها[3]:

عَـدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَمَا تَمَّ ضُمْرُهَا تَـصِلُ وَعَـنْ قَـيْضِ بَـيْدَاءَ مَجْهَـلِ

والطلايع: جمع طليعة، وهي مقدمة الجيش، وكان الخنشوان ملك الهياطل[4]، مكر بكسرى، واسمه فيروز، أحد ملوك الفرس وجَدُّ أنو شروان، فكان دليلا له في غزوة، فسلك به أرضا قفراء لا ماء فيها، فمات فيروز وعسكره عطشا، ولذا أباد أنوشروان الهياطلة فجازاهم من جنس عملهم.

نَـرُوحُ وَنَغْـدُو فِـي نَعِـيمٍ تَـودُّه وَتَتْـرُكُ مُلْكَهَـا المُلُـوكُ التَّـبَابِعُ

---

(1) كذا في الأصل والصواب كالخمسة أيام.

(2) الطرماح: (... - نحو 125 هـ =... - نحو 743 م) الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيئ: شاعر إسلامي فحل. ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة، فكان معلما فيها. واعتقد مذهب (الشراة) من الأزارقة. واتصل بخالد بن عبد الله القسري، فكان يكرمه ويستجيد شعره. وكان هجاءا، معاصرا للكميت صديقا له، لا يكادان يفترقان. خير الدين الزركلي، ج3، ص: 225.

(3) كذا في الأصل والصواب خمسها: والقصيدة لمزاحم العقيلي، شاعر أموي (ت 120هـ)، وهو من بني عقيل، والقصيدة من بحر الطويل، عدد أبياتها 113. راجع: المبرد، أدب الكاتب ص: 628.

(4) الهياطلة: جنس من الترك أو الهند، وكانت لهم شوكة وبلاء، والهيطل: الجماعة القليلة يغزى بها. الدينوري، الأخبار الطوال، ص: 58.

قوله نروح ونغدو... إلخ، هو كناية عن تنعمهم بالاصطياد وترفهم في العيش الرغد ورفاهم في حلل النضارة والرفاهية لأن كل من أولع بشيء لا يرضى به[1] بدلا، فهو على حد قول الخطيب[2] وراح في نيل المعالي وغدا.

وقد قال عبد الملك بن مروان للأخطل النصراني[3]: أسلم ولك عندي حكمك فقال: أردت أن تمنعني من شرب الخمرة، ولا يسرني بدلها ملكك. وقوله (توده)، أي تحبه وتتمناه، وليس هو من باب التنازع، وإنما هو على حد قول امرئ القيس:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ المَالِ

لأن المعنى كفاني قليل من المال، ولم أطلب الملك ولذا رفع قوله قليل، ومعنى كلام الناظم هنا نروح ونغدو.. الخ توده الملوك التابع، وتترك ملكها لأجله لقيام ذلك النعيم مقامه، حتى أنه لم يبق لهم رغبة في الملك، والتابع، هم ملوك حمير، وكهلان، ولا يسمى تبعا إلا إذا ملك اليمن وحضرموت وحمير[4]، وإلا قيل أسعد[5] فقط، وهم من أولاد عبد الشمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن

---

(1) كذا في الأصل والصواب "لا أرضى عنه بدلا".

(2) كتب في هامش المخطوط كلمة "ابن الخطيب".

(3) الاخطل (19 - 90 هـ = 640 - 708 م) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك: شاعر، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع.
اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل. نشأ على المسيحية، في أطراف الحيرة (بالعراق) واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجبا بأدبه، تياها، كثير العناية بشعره، ينظم القصيدة ويسقط ثلثيها ثم يظهر مختارها. وكانت إقامته طورا في دمشق مقر الخلفاء من بني أمية. خير الدين الزركلي، ج5، ص: 123.

(4) حمير: استقلت بمملكة سبأ، وقد عرف ملوكها بـ "ملوك سبأ وذى ريدان "، وكانت قبيلة حمير تعبد الشمس. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت، ط3، 1993، ج20، ص: 561.

(5) أسعد أبو كرب: تبع تبان أسعد أبو كرب بن مليك بن زيد بن عمرو بن ذي الأذعار، وهو أبو حسان. النيسابوري، الكشف والبيان، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث =

عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير، وسموا تبابعة لأنهم كما قيل يتبعون الأقيال لأنهم يتقيلون كما قال الزمخشري ونقله ابن خلدون، وقيل حتى يتبعه بنو جشم بنو عبد شمس، وأول من ملك منهم باتفاق المؤرخين الحرث الرائش ثم ابنه أبرهة ذو المنار، ثم ابن أبرهة افريقس الذي سميت به إفريقية، وآخرهم سيف بن ذي يزن[1] الذي أباد الحبشة عن اليمن، كان في عصر مولد النبي ﷺ.

وَنَحْنُ عَلَى سَلَامَةٍ مِنْ طَوَائِفٍ عَلَى جِيفَةِ الدُّنيَا سُدَى تَتَقَاطَعُ

مثل الدنيا بجيفة منتنة والطوائف الذين يطلبونها بالأسد العادية التي تقاطع[2] أو تتقاطع بالعداوة والبغضاء، والخصومات، بحيث لا تثبت على مواخاة، ولا تراعي صلة الرحم ولا غيرها. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا"[3] ؛ والمراد أن بعضهم يؤذ بعضا على الدنيا وزهرتها، ولما أوتي عمر ﷺ بخزائن كسرى، واسمه يزدجر بن شهريار[4]. وقد ضاق بها المسجد فبكى عمر، فقيل له: أتبكي يا أمير المؤمنين في يوم أعز الله فيه المسلمين؟ فقال: "ويلكم، والله ما كثر هذا عند قوم إلا وقع بأسهم بينهم"[5]، ومن العجب أنك ترى الحفاة العراة غابطين للدنيا يكرهون الموت كما قال بعض الصوفية.

=

العربي، بيروت، ط1، 2002، ج9، ص: 96.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) كذا في الأصل والصواب "سدى تتقاطع" وشرحها أبو راس على أنها أسدا تقاطع. كما هو واضح.

(3) عضد الدين الإيجي، كتاب المواقف، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1997، ج3، ص: 605.

(4) شهريار بن شروين، أخو الهرمزان. راجع: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج2، ص: 223.

(5) أبو بكر بن علي البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة، الهند، ط1، 1344هـ، ج6، ص: 357.

أَرَى أَشْـقِيَاءَ الـنَّاس لاَ يَـشْتَمُونَهَا[1] عَلَـى أَنَّهُـمْ فِـيهَا عَـوْرَاتٌ[2] وَجَايِـع[3]

ولما هزم علي[4] ﷺ أهل الجمل[5]، ودخل البصرة ثم ذهب إلى بيت المال ففتحها له كلها عثمان بن حنيف الأنصاري[6]، ولما رأى كراس الذهب والفضة قال: "يا صفراء، يا بيضاء، غري غيري"[7].

ولما دفع هارون الرشيد[8] ألف دينار ليلا للفضيل بن

(1) كذا في الأصل والصواب لا يسأمونها.

(2) كذا في الأصل والصواب عراة.

(3) هذا البيت ينسب إلى سفيان الثوري. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تح علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998، ج57، ص: 372.

(4) علي بن أبي طالب (23 ق هـ - 40 هـ = 600 - 661 م) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الابطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء وأول الناس إسلاما بعد خديجة. ولد بمكة، وربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 295.

(5) أهل الجمل نسبة إلى وقعة الجمل المعروفة في التاريخ الإسلامي. راجع: النيسابوري، الكشف والبيان، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002، ج9، ص: 79.

(6) عثمان بن حنيف (000 - بعد41 هـ=000 - بعد661م) عثمان بن حنيف بن وهب الانصاري الاوسي، أبو عمرو: وال، من الصحابة. شهد أحدا وما بعدها. وولاه عمر السواد، ثم ولاه علي البصرة. ولما نشبت فتنة الجمل (بين عائشة وعلي) دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على علي، فامتنع، فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، واستأذنوا به عائشة فأمرتهم بإطلاقه، فلحق بعلي وحضر معه الوقعة. ثم سكن الكوفة، وتوفي في خلافة معاوية نفسه، ج 4، ص: 205.

(7) انظر: ابن الجوزي، صفوة الصفوة، تح: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي دار المعرفة، بيروت، ط2، 1979، صك.

(8) هارون الرشيد: (149 - 193هـ=766 - 809م) هارون (الرشيد) ابن محمد (المهدي) ابن المنصور العباسي، أبو جعفر: خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم. ولد بالري، لما كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان. ونشأ في دار الخلافة ببغداد. وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة إيريني Irene وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار =

عياض[1] قال له: "يا أمير المؤمنين. هذا المال لا أرضاه لك، فكيف أرضاه لنفسي". ومرّ عيسى عليه السلام بأصحابه على كثير، فتشوقوا له، فقال لهم: دعونا من هذا القاتول، فانصرفوا معه إلا ثلاثة، فذهب أحدهم ليأتي بدواب، ليحملوا عليها ذلك الذهب. فاتفقا صاحباه [الذين][2] بقيا عند الكنز على أنه إن أتى قتلاه، واقتسما الذهب نصفين ودبر هو في قتلهما في غيبته ليأخذه وحده، بأن أوتي لهما بطعام مسموم، فإن أكلا ماتا وأخذه ولما قدما قتلاه، ثم شرعا في أكل ما أوتي به من الطعام فماتا معا، ولما رجع عيسى عليه السلام وجد الثلاثة موتى، فقال لأصحابه: ألم أقل لكم إنه القاتول، فتعجبوا من ذلك، ولذا قال ﷺ: "اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا"[3] إلى غير ذلك من الأحاديث.

[فَضْلُ الاِصْطِيَادِ]

فَــلاَ طــارِقٌ يَغْــشَاك إلاَّ نَقَانِــقٌ وَإِلاَّ وُحُــوشٌ حَــوْلَ بَيْتِــي رَوَاتِــعُ
وَلاَ رَاكِــبٌ بَغْــلاً لَــهُ عَقْــلَ بَغْلِــهِ وَلاَ سُــوقَةٌ تَــضِيقُ مِــنْهَا الــشَّوَارِعُ

هذا بيان لفضل الاصطياد، ونزاهة صاحبه وبعده عن كل ما يذم عادة وشرعا، و(الطارق) هو الإتيان بالليل وأراد هنا مطلق الزمان. (ويغشاك)، يأتيك، وقوله (إلا نغانق) [4]، أصله، صياح العرب[5] في الخير [26/25] والشر، أو نغق في

=

تبعث له إلى خزانة الخليفة في كل عام. وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي (سنة 170 هـ) فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 62.

(1) الفضيل بن عياض (105 - 187هـ=723 - 803م) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 153.

(2) كذا في الأصل والصواب اللذَيْن.

(3) علاء الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1981، ج6، ص: 612.

(4) وجدت في الهامش كلمة "نقانق" تصويبا لما في المتن.

(5) وجدت في الهامش عبارة "من صياح الغراب"، تصويبا لما في المتن.

الخير ونعب في الشر[1] و(الوحوش)؛ جمع وحش، وهو معروف، وقوله (ولا راكب) بغل.. إلخ أراد أَوْغَاد الناس، وهم العوام، والذين هم من جملة الهوام والدواب السواح، فهو لغباوته [وبلدته][2]، لا فرق بين عقله وعقل بغله، لأن العقل ممدوحة ومآثر راجحة مرجوحة، وإلا فلا فرق بينه وبين البهائم، ولما خلق الله العقل قال له أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قال: وعزتي وجلالي ما جعلتك إلا فيمن أحبه.

وقد قالوا: إن البهائم لا عقل لها، إلا أنها جبلت على الاهتداء لمنافعها، وقال ابن أبي حجر وتلميذه ابن الحاج[3] في حديثه "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير... " إن الطير لا يقصد رزقا، وإنما طيرانه في السماء بلا قصد، كحركة الارتعاش انظرهما.

وقال الخفاجي[4] في شرح الشفا: أن هذا الحديث"لو توكلتم... " ليس هو من توكل الخواص. **تنبيه:** أخذ المصنف هذا من قول الشاعر:

وَكَمْ لِحْيَةٍ طَالَتْ عَلَى ذَقْنِ جَاهِلٍ وَمَا تَحْتَهُ إِلَّا الغَبَاوَةُ وَالجَهْلُ
وَكَمْ رَاكِبٍ بَغْلٍ لَهُ عَقْلُ بَغْلِهِ تَأَمَّلْ تَجِدْ بَغْلًا عَلَى ظَهْرِهِ بَغْلُ

وقوله "ولا سوقة"... إلخ. السوقة هم الأرذال، وفي القاموس[5] (السوقة) الرعية، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث و(الشوارع)؛ الطرق النافذة وهي المداخل. إن النبي ﷺ نهى حيًّا من الأنصار أن يجلسوا بالطريق، فقالوا يا رسول الله: ديارنا ضيقة لا تسعنا للجلوس، فسكت عنهم. وعن أبي سعيد الخدري

(1) شرحت العبارة على أساس أنها نغانق، وبذلك يتغير المعنى مطلقا. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 286. راجع: هامش المخطوطة، ورقة: 25.

(2) كذا في الأصل والصواب بلادته.

(3) ابن الحاج (713 - 768هـ=1313 - 1367م) إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري، أبو القاسم، المعروف بابن الحاج: أديب أندلسي. من كبار الكتاب. ولد بغرناطة، وارتسم في كتاب الإنشاء سنة 734 ثم رحل إلى المشرق فحج وعاد إلى إفريقية فخدم بعض ملوكها ببجاية وخدم سلطان المغرب.

(4) قد سبقت ترجمته، ص: 90.

(5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 247.

عن النبي ﷺ أنه قال: "إياكم والجلوس [عن][1] الطرقات. قالوا: ما لنا [سرا][2]، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أتيتم المجالس، فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى ورد السلام، وأمر بمعروف وانه عن منكر"[3].

قال ابن أبي حجر عقبة[4]: ظاهره يدل على الجلوس في [الطروقات][5] لغير ضرورة، وإن كانت ضرورة فيعطى للطريق حقها... إلخ. وهل الجلوس في الدكان لغير أهله، والمساجد و[عتاب][6] الأبواب كذلك؟ انظره.

ولا [يتصافح][7] الماشي وجوه الناس وحريمهم يمينا وشمالا، ثم قال وفيه دليل على جواز مراجعة المأمور عن [...][8] أمره له ليتبين حاله، يؤخذ من ذلك من قولهم عند النهي: ما له بد، وبينوا الحذر المذكور بعده، وهو أن مساكنهم كانت في غاية الضيق. [لم نكر][9] تحمل جلوسهم لأن يتحدثوا في ضرورتهم فكانوا يجلسون لذلك في الطرق وفيه دليل على العذر إذا كان بَيِّنًا، لا يطلب صاحبه بإثباته.

---

(1) كذا في الأصل والصواب في.

(2) كذا في الأصل والصواب "ما لنا بد".

(3) أبو بكر علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1344هـ، ج7، ص: 89.

(4) ابن أبي حجر: عقبة بن عامر بن عبس. . الجهني الصحابي المشهور روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأبو أمامة وجبير بن نفير وبعجة بن عبد الله الجهني وأبو إدريس الخولاني وخلق من أهل مصر. انظر: الشاطبي، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الرياض، ط 1، 1997، ج1، ص: 46.

(5) كذا في الأصل والصواب الطرقات.

(6) كذا في الأصل والصواب عتبات.

(7) كذا في الأصل والصواب ولا يتصفَّحُ.

(8) كلمة مشطوبة.

(9) كذا في الأصل والصواب لم ينكر.

[من خصال الصائد]

وَلاَ مَلِـــكٌ فَـــظٌّ وَلاَ ذُو تَجَبُّـــرٍ وَلاَ حَـاكِمٌ بِالجُـورِ تَدْعُـو الأَقَـارِعُ
لاَ عَائِـــبٌ أَمْـــراً رَأَيْـــتَ صَـــوَابَهُ وَلاَ حَاسِـــدٌ فَـــضْلاً بِفَـــضْلٍ يُـــتَابِعُ

مع أن الاصطياد لنزاهة ساحته ونقاوة مساحته، لم تلق مجالاته شيئا لما ذكر. والفظ بالظاء المهملة، الغليظ الجانب السيئ [الخلوق][1]، القاسي، الخشن الكلام بين الفظاظة والتجبر والتكبر، وجبره على الأمر[2] أكرهه على، كأجبره، و(الجور) ضد العدل، والأقراع من قرع الباب دخله، ورأسه بالعصا ضربه، والمقرعة السوط، وقوله أتدعو الأقراع، أي [تنزيل][3] الأقراع الضرب والكلام الموجع، ومن دعاه الله بمكروه أنزله به وقوارع[4] القرآن التي قرأها أمن من الشياطين الإنس والجن، كأنها تقرعهم، والتعوذ بالله من قوارع فلان أي من قوارض لسانه[5]، وقوله (ولا عايب... إلخ) أي من جملة خصال الاصطياد، أي أنك لا تلقى في مجالاته من يعيب لك أمرا من قول أو فعل رأيت أنت صوابه، لأن من عاب ما استصوبته، شوش عليك صنعك، وعكر عليك فعلك، كما لا تلقى فيه أيضا حاسدا لك على ما تفضل الله به عليك. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[6] وانظر ما تقدم، وللداء أدواء من الحسد، وربما رجع على صاحبه كما قال الشاعر:

إِنَّ الغُـــرَابَ وَكَـــن يَمْـــشِي مَـــشْيَةً فِـيمَا حَكَـى مِـنْ سَـالِفِ الأَحْـوَالِ
حَـسَدَ القَطَـاةَ فَـرَامَ أَنْ يَمْـشِي مَـشْيَه فَأَصَـــابَهُ ضَـــرْبٌ مِـــنَ العِقَـــالِ[7]

(1) كذا في الأصل والصواب السيئ الخلق.
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 441.
(3) في هامش المخطوط تنزل وهو الصواب.
(4) قوارعُ القرآن: الآياتُ التي مَن قَرأها لم يُصِبْه فزَع. وكأنها سمِّيت بذلك لأنَّها تَقْرَع الجِنّ. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 72.
(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 72.
(6) النساء: 54.
(7) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، تح: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1413هـ، ج9، ص: 331.

تنبيه: مثل مجالات الصيد سكنى البادية، وقفر الصحراء، لذا بعد عن ضيم الأمراء، ولذا مدح علي ابن الرومي[1] أبا الصقر بقوله[2]:

هَـذَا أَبُـو الـصَّقْرِ فَـرْدًا فِـي مَحَاسِـنِهِ مِـنْ نَسْلِ شَيبَانِ بَيْنَ الضَّال وَالسَّلَمِ[3]

فأراد بهذا تمييز الممدوح، و"فردا" نصب على المدح أو الحال، والعامل فيها ما في الإشارة من معنى الفعل كقوله تعالى: ﴿ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾[4]، والضال والسلم من شجر البادية، يريد أن هذا الممدوح يقيم بالبادية، لأن فقد العز في الحضر، وقوله(بفضل... إلخ)، أي أن ذلك كالحاسد، لكن فعل الفضل له فضل على زعمه يتبع فضلك، أي دونه لأن الغالب أنه لا يحسدك إلا من هو دون منك، وإنما قلنا على زعمه لأن الحاسد لا فضل له على حد قول الأحنف بن قيس[5]: "الثقات لا يكون عاما".

وَلاَ جَـارُ سُـوءٍ لَـيْسَ يَـأْمَنُ جَـارُهُ بَـوَائِقَهُ إِنْ غَـابَ أَوْ هُـوَ هَاجِـعُ

(لا) في هذه الأبيات هي العاملة عمل ليس، لا العاملة عمل إن، وجار السوء، حذرت منه قديما وحديثا، والبوائق جمع بائقة، وهي الداهية، وباق جاء بالشر والخصومات[6] والهاجع، النائم ليلا، والمهاجع؛ النومة الخفيفة، وفي الحديث: "لا يشم رائحة الجنة من خاف جاره بوائقه"[7] وفي الحديث أيضا"ما زال

(1) ابن الرومي (221 - 283 هـ=836 - 896م) علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، أبو الحسن: شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الاصل، كان جده من موالي بني العباس، ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموما، قيل: دس له السم القاسم بن عبيدالله (وزير المعتضد) وكان ابن الرومي قد هجاه. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 297.

(2) القصيدة من البحر البسيط.

(3) الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1948، ج1، ص: 107.

(4) هود: 72.

(5) قد سبقت ترجمته، ص: 165.

(6) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 214.

(7) علاء الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1981، ج9، ص: 55.

جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يرثني ويرثه"[1] وفي الحديث أيضا" نعوذ بالله من ثلاثة: إمام سوء إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يفجر، وجار سوء، إن رأى حسنا أسره، وإن رأى قبحا أذاعه، وامرأة السوء إن غبت عنها خانتك وإن دخلت عليها لسنتك"[2].

وقالت الخنساء في مرثية أخيها صخرا السلمي: [3]

لَـمْ تَـرَهُ جَـارَةٌ يَمْـشِي بِـسَاحَتِهَا لِـرِيبَةٍ حِـينَ يُخْلِـي بَيْـتُهُ الجَـارُ

لأن العرب كانت تخاف على الجار ووعر الزمان ودفع المغار.

وَلاَ مَاكِـرٌ يُـرِيكَ شَـهْداً فَتَنْثَنِـي فَيُـسْقِيكَ أَدْهَـى الـسُّمِّ لَـيْسَ يُـضَارَعُ

المكر، الخديعة، وهو ماكر ومكار ومكور، وقوله (يريك شهدا) أي أنه في مجلسك وبين يديك يزين كلامه ونمقه[4] كما يحب، وإن انثنى عنك، أي غاب عنك، فيمزق عرضك بأن يتكلم فيك بما تكره، وهو المراد يسقيك (إذ هو السم) مثلث السين وهو معروف، وإضافة أدهم[5] إلى السم من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي السم الأدهم أي الأسود، وهو أضر نوع منه، وقوله ليس يضارع، من ضرع إليه ضرعا وضراعة إذا خضع وذل واستكن[6].

وكان الأخنس بن شريق الثقفي[7] حلو البيان، وكان يجلس عند النبي ﷺ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، ج7، ص: 78. أبو بكر بن علي البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الهند، ط1، 1344هـ، ج6، ص: 275.

(2) ينظر / ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري: 459 (من رواية أبي هريرة) ط 1 القاهرة 1292 هـ.

(3) القصيدة من البحر البسيط. ينظر: الخنساء، ديوان الخنساء، ص: 154.

(4) كذا في الأصل والصواب ينمقه.

(5) كذا في الأصل والصواب أدهى.

(6) كذا في الأصل والصواب استكان. الفيروزآبادي، القاموس المحيط للفيروزآبادي. ج3، ص: 56.

(7) الأخنس بن شريق الثقفي واسمه أبي وكان مولى لبني زهرة من قريش وهم أخوال النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يظهر المودة للنبي صلى الله عليه وسلم. ولم ينضم إلى المشركين في واقعة بدر بل خنس أي تأخر عن الخروج معهم إلى بدر وكان له ثلثمائة من =

فيعجبه كلامه فيقربه ويدنيه، ويشهد أنه مؤمن، فإذا قام من عند النبيﷺكان أبغض الناس للمسلمين، حتى أنه إذا مر بزرع لهم حرقه، أو دابة عقرها، حتى فضحه الله بالوحي فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [1]. قال الشاعر:

لاَتَهْتِكَنَّ عَنْ مَسَاوِئِ النَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيَهْتِكَ اللهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ
وَاذْكُرْ مَحَاسِنَ مُكَافِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

وقيل لعمرو بن عباد[2]: "لقد وقع فيك اليوم أيوب السفياني حتى رحمناك، قال: إياه فارحموا".

وَلاَ مُتَلَصِّصٌ يُرَاقِبُ عَوْرَةً وَيُبْدِي سِمَات النَّسْكِ وَهْوَ يُخَادِعُ
وَلاَ سَارِقٌ لِلسَّمْعِ، لِلْقِيلِ لاَقِطٌ وَلاَ فَاسِقٌ يَرْمِي بِمَا هُوَ صَانِعُ
وَلاَ مُتَعَرِّضٌ لِلأَعْرَاضِ مُولَعٌ بِتَمْزِيقِهَا تَأْتِيكَ مِنْهُ الفَظَائِعُ
وَلاَ أَهْلُ فِتْنَةٍ حَرَامٌ جِوَارُهُمْ عَلَى مَا ذَوُو الفُتْيَا عَلَيْهِ تُتَابِعُ

قال القاموس[3]: اللص، السارق ويثلث والجمع لصوص، وألصاص، وهي لصة والجمع لصات، و(العورة): الخلل في الثغور وغيره، [28/27] وكل ما كان

=

بني زهرة أحلافه فصدهم على الانضمام إلى المشركين فقيل: إنه كان يظهر الإسلام وهو منافق، وقال ابن عطية: لم يثبت أنه أسلم قط، ولكن كان يظهر الود للرسول فلما انقضت وقعة بدر قيل: إنه حرق زرعا للمسلمين وقتل حميرا لهم فنزلت فيه هاته الآية ونزلت فيه أيضا (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم) ونزلت فيه (ويل لكل همزة لمزة) ، وقيل بل كانت بينه وبين قومه ثقيف عداوة فبيتهم ليلا فأحرق زرعهم وقتل مواشيهم فنزلت فيه الآية وعلى هذا فتقريعه لأنه غدرهم وأفسد. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص: 567.

(1) البقرة 204.

(2) عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن علي، من أهل بدر، وشهد العقبة. مات بالمدينة سنة خمس وخمسين. أبو بشر الدولابي، الكنى والأسماء، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000، ج1، ص: 186.

(3) راجع، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 205.

للستر، والعوراء بالمد، الكلمة أو الفعلة القبيحة، أي ولا ترى في مجالات الاصطياد متلصصا يراقب عورة، كخللا في المنزل أو غيره، ليوقع فيه فسادا، و(السمة)؛ العلامة، والنسك مثلثة، وبضمتين؛ العبادة، وكل حق لله عز وجل، وهو في الباطن مخادع بالسرقة والخيانة والاختلاس ونحو ذلك، على (إظهاره) علامة النسك، إنما هي مخادعة لك كي يظفر بمراده منك.

وفي الحديث: "اللهم اجعلني مغشى ولا تجعلني مموها"[1]، وقوله(ولا سارق للسمع)؛ هو معنى قوله بعده (للقيل لاقط)، ومن معنى القيل في أول الكتاب. قد أشار الناظم في هذا الشطر للنميمة والسعاية والبغي. وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾[2] وقالوا: قبول النميمة شر من النميمة.

وقد جعل الله السامع شريك القائل فقال: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ ﴾[3]، وقال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الأَمِيرَ عَدُوُّهُ وَلَكِنَّمَا سَبَّ الأَمِيرَ المُبَلِّغُ[4]

وقال صالح بن عبد القدوس[5]:

تَجَنَّبْ قَرِينَ السُّوءِ وَاصْرِمْ حِبَالَهُ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ عَنْهُ مَحِيصاً فَدَارِهِ
وَلِلهِ كَعرْضِ السَّمَوَاتِ جَنَّةٌ وَلَكِنّهَا مَحْفُوفَةٌ بِالمَكَارِهِ

وقوله (ولا فاسق يرمي) أي يحدث ويفاخر بما صنع، وهو ذو الفسق المجاهر، الذي تجوز غيبته لأنهم قالوا: لا غيبة في فاسق. أما لو تحدث بذلك ندما

---

(1) لعل فيه تصحيف كثير، إذ لا معنى له.

(2) يونس: 23.

(3) المائدة: 42.

(4) راجع: أبو عبيد الله، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1971، ص: 104.

(5) ابن عبد القدوس: (... - نحو160هـ=... - نحو777م) صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الازدي الجذامي، مولاهم، أبو الفضل: شاعر حكيم، كان متكلما، يعظ الناس في البصرة. له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وشعره كله أمثال، وحكم وآداب. اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله ببغداد. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 192.

ومعظما لنفسه فهو ممدوح. قال ابن عطاء الله في الحكم[1]: "رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت استكبارا" لذا قالوا[2] سادة الطريق[3]: "رُبَّ ذنب أدخل الجنة"[4]. وقوله (ولا متعرض..) أشار به إلى الغيبة، والعرض بكسر العين هو ما يصان به جانب الرجل، وقد تقدم الكلام فيه.

و(الفظائع)، من فَظُع الأمر ككرم، إذا اشتدت شناعته، وجاوزت المقدار في ذلك، وقوله: (ولا أهل فتنة) أي الذي يفتنك في دينك وعرضك، وهؤلاء جوارهم حرام على ما تتابع عليه أهل الفتوى من العلماء، وقد قالوا: "إن دار الفاسق تهدم عليه أو تباع"[5] وقالوا: "إن السكنى مع الولد الخمار محرمة فكيف بغيره"[6]. وقال سادات الصوفية: "الطاعة بين الفجار كالمعصية بين الأبرار"[7] وأوتي لأبي مسلم الخراساني[8] صاحب الدعوة بفرس عتيقة[9]، فقال لقواده لم يصلح هذا؟ قالوا: لأن يغزى عليه للعدو، قال لا، و[لاكن][10] يركبه الرجل فيهرب من جار السوء[11].

فَمَا إِنْ تُرَى لِلَحْمِ الإِنسان آكِلاً وَلَكِنَّ لَحْمَ الصَّيْدِ مَا مِنْهُ مَانِعُ

---

(1) سبقت ترجمته.

(2) كذا في الأصل والصواب قال.

(3) يقصد طريق القوم الصوفي.

(4) ينظر: ابن الجوزي، اللطائف، ص: 79.

(5) لم أعثر على هذا المعنى في أكثر من مرجع.

(6) محرمة أو قال "جريمة" غير واضحة في المخطوط وكلاهما يتناسب مع السياق.

(7) وهذا المعنى أيضا لا وجود له في المراجع المتوفرة لدينا.

(8) أبو مسلم الخراساني: (100 - 137هـ=718 - 755م) عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. ولد في ماه البصرة (مما يلي أصبهان) عند عيسى ومعقل ابني إدريس العجلي، فربياه إلى أن شب، فاتصل بإبراهيم ابن الإمام محمد (من بني العباس) فأرسله إبراهيم إلى خراسان، داعية، فأقام فيها واستمال أهلها. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 37.

(9) كذا في الأصل والصواب بالفرس العتيقة.

(10) كذا في الأصل والصواب لكن.

(11) ينظر في هذا المقام: إسماعيل حقي ابن الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص: 325.

أراد بآكل لحم الإنسان، غيبته لأن من اغتاب أحدا فكأنه أكل لحمه، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾[1].

وقال حسان بن ثابت[2] ﷺ في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

حـــصَان رزان مـــا تـــزن بِـــرَيْبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ[3]

الغرثى: الجيعانة[4]، أراد أنها لا تغتب، ومعنى كلام الناظم أنك لست ترى في مواطن الصيد من هو مغتابا لأحد من المسلمين، لاشتغال كل صايد[5] بنفسه، وقنص الصيد وغرته[6]، وانفراده وتحيله عليه ونصب المكايد في التوصل إليه.

ولكن لحم الصيد لا مانع من أكله، لإجماع الأئمة عليه، ونصوص كتاب الله مصرحة حُليته، كما مر بخلاف أكل لحم الإنسان، أي غيبته بالإجماع على حرمة ذلك. ولله در الناظم في هذه البلاغة العجيبة والمقالة الغريبة ثم قال:

---

(1) الحجرات: 12.

(2) حسان بن ثابت (000 - 54هـ=000 - 674م) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الانصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، وكان من سكان المدينة، واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعمي قبيل وفاته بالمدينة، فقد كان شاعر الانصار في الجاهلية، وشاعر النبيﷺ في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 175.

(3) كذا في الأصل والصواب:

حـــصان رزان مـــا تـــزن بـــريبة حلـيلة خيـر الـناس ديـنا ومنـصبا

مهذبـــة قـــد طـــيب الله خـــيمها وتـصبح غرثـى مـن لحـوم الغـوافل

انظر: أبو اسحاق النيسابوري، الكشف والبيان، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002، ج7، ص: 77.

(4) كلمة عامية يراد بها الجائعة.

(5) كذا في الأصل والصواب صائد.

(6) يقصد بها جسمه والغُرَّة: سُنَّة الإنسان، وهي وجهه، ثم يعبَّر عن الجسم كلِّه به. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 380.

[الإشادة بِالخَيْلِ]

وَخَيْلِي حَلِيبُ الشَّوْلِ صِرْفاً شَرَابُهَا وَصَافِي النَّصِيّ رَعْيُهَا لاَ المَزَارِعُ
وَتَعْلِفُ أَبْيَضَ الشَّعِيرِ، وَأَنْتَقِي لَهَا مِنْ نَبَاتِ الأَرْضِ مَا هُوَ نَافِعُ

(الشول)، جمع شائلة على غير قياس، وجمع الجمع أشوال، وهي الناقة التي أتى من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها، أما الناقة الشائل بلا تاء، فهي التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها أصلا. جمع شُوَل كَرُكَّعٍ، يقال: شالت الناقة بذنبها شولا، وشولان وأشالته، رفعته، فشال الذنب نفسه لازم ومتعدي[1] و(صرفا) أي خَالِصًا، لا ماء فيه، وهو بكسر الصاد، قال في القاموس: الصرف بالكسر، صبغ أحمر والخالص في الحمرة وغيرها. قال الشاعر:

أَيَشْرَبُهَا صِرْفاً يَفِضُّ خَاتَمُهَا أَبُو خَالِدٍ وَيُجْلَدُ الحَدَّ مَيْسُورُ[2]

وأبو خالد هو يزيد بن معاوية، و(النصي) نوع من المرعى، والنصية من القوم الخيار، والجمع نصي، وجمع الجمع أنصاء، والأرض كثر نصيها، وقوله(لا المزارع) إشارة إلى أهل الحاضرة ومن في حكمهم، ورعيهم الدواب في النصايين حتى تقع في الزروع فيلزم المحذور[3] وقد قال الحافظ[4] في فتح الباري: "وجرت

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص: 230.

(2) هو ميسور بن مخرمة، والقصة أن ابن يزيد بن معاوية بلغه أن ميسور هذا يرميه بشرب الخمر فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلد ميسوراً حد القذف ففعل. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص: 457.

(3) إشارة هنا إلى حرمة ما يقوم به الذي يرعى إبله أو دوابه في مزارع المسلمين، وهي ظاهرة كانت منتشرة في زمان الشاعر، وهو هنا ينزه نفسه عن هذا الفعل القبيح باستعماله "لا" النافية (لا المزارع).

(4) ابن حجر العسقلاني (773 - 852هـ=1372 - 1449م) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالادب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، =

عادتهم بإرسال الدواب في الزروع فهو مستغرق الذمة.

وقوله (وتعلف.. إلخ) أي لأنه هو النافع لها دون القديم والمسوس منه، وكأنه تعريض بالحضارة، ومن في حكمهم لأن غالبهم يعلف خيله القديم ويأكله هو أيضا، لكثرته حتى يكون في ذلك تخفيف عليه، بخلاف أهل الصحاري، فلا يدخرون ذلك غالبا، كما أن غالبهم يكيل[1] فلا يكون عندهم إلا أبيضا جديدا ولذا قال سيدنا الحسن البصري[2]: "فاز المخففون"[29/28] وقوله (انتقي) أي أن [عشوب][3] الصحراء نقية عفية جدا، تكون نافعة للدواب بخلاف عشب الحاضرة، ومن في [حكمهم][4] فيتخذها في الغالب، وخيمة عفنة من كثرة الزبل، [فعافها][5] الخيل، ولا تكرار بين قوله وصافي النصي رعيها، وقوله (أنتقي لها... إلخ)، لأن الأول في حال إرسالها إلى المرعى، والثاني يؤتى لها وهي مربوطة في اصطبلاتها ونحوه.

وإكرام الخيل قد فعله النبي ﷺ والسلف، ففي كتاب لباب الأدب عن يحيى بن سعيد، قال: إنه رأى النبي ﷺ يمسح وجه فرسه بردائه فلما سئل عن ذلك فقال: إني عوتبت البارحة في الخيل وعن جرير قال: رأيته ﷺ [يقبل][6] ناصية[7]

=

صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) أربعة مجلدات، و(لسان الميزان) ستة أجزاء، تراجم، و(الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام) و(ديوان شعر) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 178.

(1) الكيل إشارة إلى تجديد العلف وكذا في الأصل ما يأكله، والكيل من كال يكيل كيلا "وأوفوا الكيل" وبر مكيل، ويجوز في القياس مكيول.

(2) الحسن البصري من سادات التابعين وكبرائهم جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان: 548.

(3) كذا في الأصل والصواب عشب.

(4) كذا في الأصل والصواب حكمها.

(5) كذا في الأصل والصواب فعافتها.

(6) في هامش المخطوط "يقلب ناصيته" وهو الصواب.

(7) الناصية هي الشعر على عنق الفرس وتختلف تسميتها باختلاف لونها.

فرسه بين أصابعه، ويقول: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم". وعن ابن وهب[1]: "ارتبطوا الخيل وامسحوا نواصيها وأكفالها وقلدوها"[2] وعن مجاهد قال: قال ﷺ: "لا تحضر الملائكة شيئا من لهوكم إلا لرهان الخيل والنضال"[3].

[جيران الصِّدْقِ]

وَجِيــرَانُنَا إِخْــوَانُ صِــدْقٍ أَجِلَّــةٌ كِـرَامُ الـسَّجَايَا، وَالمَعَالِـي طَـبَائِعُ

هذا مدح من الناظم لجيرانه لأنه من الصالحين الكرام، الذين يبجلون الجار وذوي الأرحام، لأن من علامة الجار الصالح، إذا رأى خيرا أذاعه وإذا رأى شرا ستره، عكس [الجار][4] السوء. يقال هو رجل صدق وصديق صدق مضافين، وكذا امرأة صدق، وجار صدق.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٍ﴾ [5]، أنزلناهم منزلا صالحا، ويقال: هذا الرجل الصَّدق بالفتح، فإذا أضفت إليه كسرت الصاد. وصَديق كأمير؛ الحبيب، والصداقة المحبة[6]. وقوله (أجلة) [7]، فهو من جل يجل جلالة،

(1) ابن وهب الفقيه المالكي: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم، القرشي بالولاء الفقيه المالكي المصري مولى ريحانة مولاة أبي عبد الرحمن يزيد بن أنيس الفهري، كان أحد أئمة عصره وصحب الإمام مالك بن أنس، رضي الله عنه، عشرين سنة، وصنف " الموطأ الكبير " و" الموطأ الصغير " وقال مالك في حقه: عبد الله بن وهب إمام. وقال أبو جعفر ابن الجزار: رحل ابن وهب إلى مالك في سنة ثمان وأربعين ومائة ولم يزل في صحبته إلى أن توفي مالك. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1900، ج3، ص: 36.

(2) أبو اسحاق النيسابوري، الكشف والبيان، ج3، ص: 27.

(3) ينظر: ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، الدار السلفية الهندية القديمة، ج6، ص: 529، ح 33567.

(4) كذا في الأصل والصواب عكس جار السوء.

(5) يونس: 93.

(6) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 212.

(7) نفسه، ج1، ص: 417.

عظم فهو جليل، وأجله عظمه، والجلى، كربى، الأمر العظيم. والجليل والحقير ضد، و(المعالي)؛ مكاسب الشرف، وعلا في المكارم كرضي، وأعلاه وعلاه جعله عاليا[1]. والطبيعة والطباع بالكسر، السجية جُبِلَ عليها الإنسان، وطباع ككتاب، ما ركب فينا من المطعم والمشرب، وغير ذلك من الأخلاق التي لا تزايلنا كالطابع[2] ثم يقول

[لوم النَّفْسِ]

وَفِـي لَـذَّةِ الدُّنْـيَا وَأَرْغَـدِ عَيْـشِهَا فَلَـوْلاَ سُـيُوفٌ لِلـصُّرُوفِ قَوَاطِـعُ
وَدَاعِـي الـرَّحِيلَ كُـلَّ وَقْـتٍ يُرَوعنِـي وَهَـوْلٌ وَعَـوْلٌ فِـي الفَرِيـضَةِ وَاقِـعُ
لَطَـابَ الـسُّرُورُ وَاطْمَأَنَّـتْ نُفُوسُـنَا وَلَكِـنَّهَا دُنْـيَا سَـرِيعاً تَقَاطَـعُ

يعني ونحن وحياتنا في لذة رفاهية الدنيا، و(أرغد عيش) هو الواسع الطيب، و(صروف الدهر) سيوف قواطع على طريقة الاستعارة المكنية والتمثيلية (وداعي الرحيل) هو موت الأقارب والأصدقاء، و(الروع) الفزع من أمر مكروه، و(هول) [3] من هاله هولا، أفزعه كهوله فاهتال، والهول، المخافة من الأمر، لا يدري ما هو عليه منه، و(العول)[4] الزيادة، (والفريضة) هي أحد فرائض الشركات، ومعناها هو إذا ذاقت السهام عن أصحاب الفروض، يزاد على ما صحت منه الفريضة بلا عول، حتى يدخل النقص على جميعهم كما فصل في محله، وأول ما وقع العول في زمان عمر ﷺ، وكنى بذلك هنا عن ازدياد شدائد الزمان ومصائبه، وتراكمه وعدم انقطاعه، ففي الحديث"ما من عام يأتي إلا والذي بعده شر منه"[5].

وقوله (لطاب السرور) جواب لولا، ومعنى (تقاطع) أي يتقاطع نصيبها

(1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج4، ص: 365.
(2) نفسه، ج3، ص: 438.
(3) نفسه، ج6، ص: 20.
(4) الرازي، مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1995، ص: 467.
(5) البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، تح: مصطفى ديب البغا، بيروت، ط3، 1987، ج6، ص: 259. ح6657.

ولذائذها، وقد كان محمد بن يزيد بعثه سليمان بن عبد الملك أن يقتل كل من بلغ الحلم من آل أبي عقيل رهط الحجاج بن يوسف، وذلك بعد موت الحجاج، ففعل، وضيق على صاحبه يزيد بن مسلم حتى هرب إلى إفريقية، ولما ولاّه يزيد بن عبد الملك عليها بعد ذلك ظفر بمحمد بن يزيد، فقال له بعدما أوثقه، والله لا نجوت مني بعد أكل هذا العنقود، ولو أتى ملك لقبض روحك لسبقته، فأقيمت صلاة المغرب فوضع العنقود من يده وأحرم، وإذا برجل ضربه بعمود حديد فقتله، فجاء أهل القيروان وحلوا وثاق محمد بن يزيد وقالوا له: اذهب حيث شئت.

وكان يزيد بن عبد الملك[1]، كثير العشق بجاريته حبابة فقال لحاجبه يوما: أردت أن يصفو لي هذا اليوم من الكدر، فلا تستأذن لي على أمر، ولو كان فيه ذهاب ملكي، واختلا[2] بها، ونثر لهما رمان، وذلك بوقت الربيع، فتناولت منه شيئا فشرقت فماتت ومات هو بعدها بقليل كمدا من حبها.

وكان المعتمد بن عباد[3] بلغ من لذة الدنيا ما لم يبلغه غيره حتى أنه له

---

(1) يزيد بن عبد الملك (71 - 105هـ=690 - 724م) يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة الاموية في الشام. ولد في دمشق، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز (سنة 101 هـ) بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك. وكانت في أيامه غزوات أعظمها حرب الجراح الحكمي مع الترك وانتصاره عليهم. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 185.

(2) كذا في الأصل والصواب اختلى.

(3) المعتمد بن عباد: (431 - 488 هـ/1040 - 1095 م): محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي أبو القاسم المعتمد على الله، صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمور، ولد في باجة بالأندلس وولي إشبيلية بعد وفاة أبيه سنة 461هـ وامتلك قرطبة وكثيراً من المملكة الأندلسية، واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مرسية، وأصبح محط الرجال يقصده العلماء والشعراء والأمراء، وما اجتمع في باب أحد من ملوك عصره ما اجتمع في بابه من أعيان الأدب. وكان فصيحاً شاعراً وكاتِباً مترسلاً بديع التوقيع له (ديوان شعر) . وقد وقعت بينه وبين أفونس السادس معركة الزلاقة سنة 479هـ يعاونه يوسف بن تاشفين فأوقعوا به هزيمة نكراء وأبيد أكثر جيشه. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 334.

ثمانمائة جارية[1]، وفي بطن بناته الأعلى المسك والكافور، فسلبه الأمير يوسف بن تاشفين[2] وحبسه ب(أغمات)[3] بإزاء مراكش[4] وصار بناته يغزلن ويتكففن في الأبواب ويأتينه بما يأكل، حافيات عاريات، وقالت له الرميكة[5] قيمة جواريه وأم ولده، مولاي: أين جاهنا؟ فقال لها [إلاهنا][6] صيرنا إلى

(1) كذا في الأصل والصواب ثمان مائة.

(2) يوسف بن تاشفين بن علي (000 - 539هـ=000 - 1145م) تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني، أبو المعز: صاحب المغرب، من ملوك دولة الملثمين. كان شجاعا بطلا، تولى في أيام أبيه غزو الفرنجة بالاندلس (سنة 520 هـ) فعبر البحر، وافتتح حصونا من طليطلة، وظفر في معركة (فحص الصباب) واحتل مدينة (كركي) ج2.

(3) آغمات: بأرض المغرب بقرب وادي درعة وبينها وبين نفيس مرحلة...، واغمات مدينتان إحداهما تسمى اغمات وريكة والأخرى اغمات هيلانة وبينهما نحو ثمانية أميال، وبأغمات وريكة تسكن الأعيان وبها ينزل التجار على القديم لأنها كانت دار التجهز للصحراء، وهي في فحص أفيح طيب التراب، والمياه تخترقها يميناً وشمالاً وحولها جنات وبساتين وأشجار ملتفة، وبها نهر جريته من القبلة إلى الجوف يشق المدينة بعضه، وماؤه زعاق وعليه أرحاء وحوله بساتين كثيرة، وهي بلد متسع كثير الرخاء والخصب. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980، ص: 46.

(4) مراكش: شمال أغمات وعلى اثني عشر ميلاً منها بداخل المغرب، بناها يوسف بن تاشفين أمير المسلمين في صدر سنة سبعين وأربعمائة، وقيل سنة تسع وخمسين وأربعمائة، بعد أن اشترى أرضها من أهل أغمات بجملة أموال واختطها له ولبني عمه، وهي في وطاء من الأرض، وليس حولها من الجبال إلا جبل صغير يسمى ايجليز، ومنه قطع الحجر الذي بني منه قصر علي بن يوسف أمير المسلمين، وليس بموضع مراكش حجر إلا ما كان من هذا الجبل، وبناؤها بالطين والطوب والطوابي، ثم استخرجوا مياهها، فكثرت فيها البساتين والجنات، واتصلت عمارات مراكش وحسن قطرها، ثم بنى أسوارها علي بن يوسف بن تاشفين سنة أربع عشرة وخمسمائة. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص: 540.

(5) الرميكة: جارية ذات حسن وجمال تزوجها ابن عباد. جلال الدين السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، مكتبة القرآن، القاهرة ط1، 1980، ص: 71.

(6) كذا في الأصل والصواب إلى هنا. ينظر: أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1968، ج4، ص: 212.

هنا[1] ؛ ولما مات في السجن سنة (484هـ)[2] نودي للصلاة على الغريب[3] إلى غير ذلك من الأمور التي لا تنحصر، ولقد صدق من قال: سحابة صيف عن قليل تقشع[4].

وَلاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الأُخْرَى لِمُبْتَغٍ نَعِيمًا مُقِيماً دَائِماً لاَ يُوَادِعُ

في الحديث: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة"[5]، وقالوا: كل لذة دون الجنة فانية، [29 - 30] وكل بلاء دون النار عافية، إلا أن هذه مزرعة للآخرة يتزود لها منها. وقال ابن أبي جمرة[6]: "إن حلال الدنيا حساب، وحرامها عقاب"[7]، وقوله(لا يوادع) أي بموت عنه أو ذهاب، بل هو مقيم معك قال تعالى: ﴿ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[8].

وسئل بزر جمهر الفارسي الحكيم[9] قيل له: ما لذة ساعة؟ قال: الجماع، وما لذة يوم؟ قال: دخول الحمام. وما لذة جمعة؟ قال: غسل الثياب. وما لذة شهر؟ قال: لبس جديد، وما لذة سنة؟ قال: تزوج الأبكار، وما لذة الدنيا؟ قال مجالسة الإخوان، وما اللذة الأبدية؟ قال: نعيم الجنة.

خَلِيلِي عُوجَا بِي على الربع وَاسْأَلا رُسُومَ الديار أين صَارَ النَّوَاجِعُ

(1) كذا في الأصل والصواب صيرنا إلهنا. ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص: 212.

(2) يذكر أبا راس أن وفاة ابن عباد كانت في سنة 484هـ، غير أن جل الروايات التاريخية تتفق على أن وفاته كانت في 488هـ. / ينظر الوافي بالوفيات/ الصفدي: 366 .

(3) يقصد بها صلاة الغائب على الميت.

(4) قائل هذا المثل هو خالد بن صفوان وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء تلفت يميناً وشمالاً ثم قال: سحابة صيف عن قليل تقشع. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج10، ص: 516.

(5) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْمِقْدَامِ. ابو بكر بن علي البيهقي، السنن الكبرى، ج 7، ص: 48.

(6) سبقت ترجمته، ص: 116.

(7) والقول لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(8) التوبة: 21.

(9) الحكيم الفارسي بزر جمهر: حكيم زمانه كان وزيرا لدى كسرى بدولة الفرس. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8، ص: 51.

وَأَيْـنَ اسْـتَقَرُّوا بَعْـدَ مَـا قَـدْ تَـرَحَّلُوا وَهَـلْ آبَ مِـنْهُمْ بَعْـدُ لِلْحَيِّ رَاجِـعُ

(خليلي) منادى على حذف حرف النداء، وجرى الناظم بذلك على أسلوب العرب من نداء واحد أو اثنين، وليس ذلك مشخصا حاضرا كقوله[1]: دعاني من نجد فإن سنينه... الخ. وقول امرئ القيس: قفا نبك من ذكرى حبيب[2] بلفظ المثنى، مع أنه لم يكن معه إلا واحد، بدليل قوله:

بَكَا [3] صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيْقَـنَ أَنَّـا لاَحِقَـانِ بِقَيْـصَرَا

(وعوجا بي) أي: ميلا بي، ومنه قول الشاعر:

عُـوجَا بِـي عَلَـى الـرَّبْعِ الـذِي أَرَدْتُـهُ لِنَكْـتَالَ مِـنْ آلِ العَزِيـزِ بِـضَاعَةً

و(الرسوم) جمع رسم وهو الأثر أو بقيته، أو ما لا شخص له من الآثار والجمع أرسم ورسوم، وترسم نظر إليها، ورسم الغيث الدار وأعفاها وأبقى أثرها لاصقا بالأرض[4].

و(النواجع) هم طلاب الكلأ في موضعه[5] والمنتجع، المنزل في طلب الكلأ، والنُّجعة بالضم طلب الكلأ أيضا، وقوله (استقروا، وهل آب راجع) المراد بالأهل هنا من خلفوه في الوطن.

وكان الشريف بن هاشم[6]، وهو شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن

---

(1) إشارة إلى الصمة بن عبد الله القشيري من شعراء الدولة الأموية. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص: 256.

(2) ابو طاهر السلفي، أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1963، ص: 99.

(3) كذا في الأصل والصواب بكى، والبيت من الطويل.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص: 393.

(5) نفسه، ج5، ص: 395

(6) الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ويسمونه شكر بن أبى الفتوح وأنه أصهر إلى الحسن بن سرحان في أخته الجازية فأنكحه إياها وولدت منه ولدا واسمه محمد وأنه حدث بينهم وبين الشريف مغاضبة وفتنة وأجمعوا الرحلة عن نجد إلى افريقية وتحيلوا عليه في استرجاع هذه الجازية فطلبته في زيارة أبويها فأزارها إياهم وخرج بها إلى حللهم فارتحلوا به وبها وكتموا رحلتها عنه وموهوا عليه بأنهم يباكرون به للصيد والقنص. ابن خلدون، =

أبي هاشم محمد بن موسى بن عبد الله بن أبي المكارم بن موسى الحرز ابن عبد الله الكامل ابن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - [1] أمير مكة ونواحيها، أثمر إلى الحسن بن سرحان الهلالي في أخته الجازية فأنكحه إياها، ولد منها ولدا اسمه محمد، ثم حدث بينها وبين الشريف مغاضبة وأجمعوا[2] أهلها على الرحلة إلى إفريقية لما دعاهم المستنصر العبيدي[3] لذلك، غضبا على أميرها المعز بن باديس الصنهاجي[4] لما بلغ عنه أنه بايع للقائم ابن أبي جعفر ابن القادر العباسي سنة 437هـ[5].

وقد شق على قومه تركها وراءهم فتحايلوا على الشريف في أخذها منه،

=

تاريخ ابن خلدون، ج6، ص: 18.

(1) نشير هنا إلى أن أبا راس له دراية ومعرفة بعلم الأنساب لذا نجده في جل مدوناته يذكر سلسلة نسب أي علم من الأعلام.

(2) كذا في الأصل والصواب وأجمع.

(3) المستنصر العبيدي (420 هـ - 487 هـ): أبو تميم معد الملقب المستنصر بالله ابن الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم ابن العزيز ابن المعز لدين الله المذكور قبله، وقد تقدم بقية النسب؛ بويع بالمر بعد موت والده الظاهر، وذلك يوم الأحد النصف من شعبان سنة سبع وشعرين وأربعمائة، وجرى على أيامه ما لم يجر على أيام أحد من أهل بيته ممن تقدمه ولا تأخره. ولي الأمر وهو ابن سبع سنين، ومنها أنه أقام في الأمر ستين سنة، وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، ص: 229.

(4) يحيى بن تميم (457 - 509هـ=1065 - 1116م) يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي الحميري، أبو طاهر: صاحب إفريقية الشمالية. من ملوك الدولة الصنهاجية. تولاها بعد وفاة أبيه (سنة 501 هـ) وكان أبوه قد ولاه المهدية سنة 497 فلما استقل جعل الخطبة للعبيديين، وكانت للعباسيين. كان عاقلا شجاعا محبا للفتح، بنى أسطولا ضخما غزا به جنوة وسردينية، وله اطلاع على الأدب، كان يقول الشعر، وتركه بعد أن تولى. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 139.

(5) القائم بأمر الله (791 - 862هـ=1389 - 1458م): حمزة بن محمد المتوكل على الله ابن المعتضد، أبو البقاء: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويع له بالقاهرة بعد وفاة أخيه المستكفي ج2، ص: 280.

فطلبوه لزيارتها إياهم فخرج بها من دار ملكه بمكة إلى [جمالهم] لأنهم عرب ناجعة، فارتحلوا به وأتموا رحلتهم بها، وموهوا عليه بأنهم يباكرون به للصيد، ثم يروحون به إلى بيتهم بعد بنائها ليلا، وقد ظن أنهم بمنزلهم الأول لعدم شعوره برحلة الحي إلى أن فارق مَوْضِع ملكه، وصار حيث لا يملك أمرا عليهم فتغلبوا عليه حينئذ وأخذوها منه، وجَدُّوا في الرحلة إلى المغرب، فلما رأى ذلك رجع إلى دار ملكه بمكة، وبين جوانحه داء بها.

ثم أنها لما صارت إلى إفريقية تزوجها ماضٍ بن مقرب[1] ثم إن الجازية غاضبت زوجها ماض، وذهب إلى أخيها حسن، فاجتمعت قوة وتوجه لحربه فقتل حسن، ثم إن الجازية بعد ذلك كلفت بالشريف إلى أن ماتت بحبه، وابنها محمد منه، وَلِي ملك مكة بعد أبيه... إلخ القصة.

[التَّوسل إلىَ الله]

إِلَهِي! قَضَيْتَ ثُمَّ أَمْضَيْتَ عَادِلاً ... وَمَا لَكَ فِي فَصْلِ القَضَاءِ مُنَازِعُ
فكَانَ الذِي قَدْ كَانَ مِنَّا، وَلَوْ تَشَا ... عَصَمْتَ وَلَكِنْ كَيْفَ وَالفَضْلُ وَاسِعُ
تَسَمَّيْتَ بِالغَفُورِ قَبْلَ وُجُودِنَا ... فَلاَ بُدَّ أَنَّا لِلْخَطَايَا نُوَاقِعُ
وَتَغْفِرُهَا فَضْلاً فَهَبْ لِي خَطِيئَتِي ... فَمَا لِي إِلَيْكَ غَيْرُ فَضْلِكَ شَافِعُ

[الاهي][2] على حذف حرف النداء، أي يا إلهي، قضيت أي حكمت على خلقك بما تشاء من خير وشر، ثم ألقيت ذلك الحكم، إن بخير ونعمة فهو فضل، وإن كان بعقاب ونقمه فهو عدل لا (نجيب) عليك ربنا شيئا، وقلت وقولك الحق، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]، فلا مشارك له تعالى في أحكامه وربوبيته، ولا نعادله في جبروته وفي ألوهيته ولا ننازع له في إبراماته وأقضيته. فلا تدخل الجنة بإيمانك إلا بفضل الله. ولذا ورد في حديث وفد عبد القيس: أنه ﷺ

(1) هو المقرب بن ماض: أمير الواحات، كريم وسخي بهباته وعطاياه. أبو طاهر الأصبهاني، معجم السفر، تح: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ص: 282.

(2) كذا في الأصل والصواب إلهي.

(3) الأنبياء: 23.

قال: "لن يدخل أحدكم الجنة بعمله" قال الصحابة: "ولا أنت يارسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته"[1].

تنبيه: في كتاب الإحياء للغزالي[2] - رحمه الله - أن عبد الله بن مسعود[3] ناظر يزيد بن عميرة في الإيمان. قال عبد الله: لو قلت: إني مؤمن لقلت: أنا في الجنة، فقال يزيد بن عميرة: يا صاحب رسول الله ﷺ هذه زلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله والبعث والميزان، وتقيم الصلاة والصوم والزكاة، ولنا ذنوب لو علمنا أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة، فمن أجل ذلك تقول: إننا مؤمنون ولا تقول: إننا من أهل الجنة. فقال ابن مسعود: صدقت والله إنها مني زلة[4].

وقوله مني (فكل الذي... إلخ) أي من طاعة ومعصية. (ولو تشاء[31/30] عصمت) أي عذبت الجميع، لأنه اعتراض عليه تعالى، ولكن كيف يفعل ذلك وهو ذو الفضل العظيم، الذي سمى نفسه بالغفور، من غفر[5] يغفر إذا نشر ذنبه وغطى عليه، وعفا عنه، وتلك التسمية قبل وجودنا معشر الجن والإنس، لأنه لا يعذب بناره إلا الثقلين كما بين ابن أبي جمرة، وغيره، فلا بد أن تقع في الخطايا والآثام

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ج8، ص: 380.

(2) أبو حامد الغزالي: (450 - 555هـ/1058 - 1160م): محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف بعضها بالفارسية، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو ألى غَزَالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من أشهر كتبه (إحياء علوم الدين) و(تهافت الفلاسفة) . الذهبي، سيرأعلام النبلاء، ج20، ص: 301.

(3) ابن مسعود (000 - 32هـ=000 - 653م) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي، من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله الأمين. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 137.

(4) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص: 96.

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 385.

لتصدق صفته تعالى [أنها][1] غفور، إذ لو لم يقض علينا بذنب، لا تجد المغفرة موضعا تقع عليه، ولذا ورد في الحديث: "لولم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون فيغفر لهم"[2] ليقع كرمه وحلمه وعطفه، وقال ابن أبي جمرة[3]: "رب ذنب أدخل الجنة". وقال يهودي من غرناطة[4] لابن لب[5]: "إن الله قضى بكفري، وهو سبحانه قال: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾[6] فما وجه الحيلة، فكان الجواب بقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[7]، وانظر الجامع لصاحب المعيار[8] فقد أطال فيها

(1) كذا في الأصل والصواب أنّه.

(2) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه. أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1999، ج7، ص: 109.

(3) سبقت الإشارة إليه.

(4) غرناطة بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون وبعد الألف طاء مهملة قال أبو بكر بن طرخان بن بجكم قال لي أبو محمد عفان الصحيح أغرناطة بالألف في أوله أسقطها العامة كما أسقطوها من ألبيرة فقالوا لبيرة قال ابن بجكم وقال لي الشيخان أبو الحجاج يوسف بن علي القضاعي وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد البردي الحياني غرناطة بغير ألف قال ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس سمي البلد لحسنه بذلك قال الأنصاري وهي أقدم مدن كورة ألبيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج4، ص: 195.

(5) ابن لب: (701 - 782هـ=1302 - 1381م) فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، أبو سعيد التغلبي الغرناطي: نحوي، من الفقهاء العلماء، انتهت إليه رياسة الفتوى في الاندلس، ولي الخطابة بجامع غرناطة. له كتاب في " الباء الموحدة "، و" الاجوبة الثمانية " قصيدة لامية، وشرحها، نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط ضمن مجموع رقم: 262، وأرجوزة في " الالغاز النحوية " تقع في 70 بيتا، مع شرح له عليها في 10 أوراق، ورسالتان في الفقه. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 140.

(6) الزمر: 7.

(7) الكهف: 29.

(8) الونشريسي(834 - 914هـ=1430 - 1508م) أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني، أبو العباس: فقيه مالكي، أخذ عن علماء تلمسان، ونقمت عليه حكومتها أمرا فانتهبت داره وفر إلى فاس سنة 874 هـ، فتوطنها إلى أن مات فيها، عن نحو 80 عاما، من كتبه (إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك) و(المعيار المعرب عن فتاوي علماء إفريقية =

نظما ونثرا، إلا أن الأشعرية[1] والماتريدية[2] اختلفوا، هل الله لا يرضى لعباده الكفر عموما، أو للخواص منهم؟

وقوله (فنغفرها) أي نعفو عنها، ومن يغفر الذنوب إلا الله، وقوله (فضلا) أي تفضلا، لا في مقابل العمل. وتهب لي خطيئتي بجودك، وهذه طريقة الكلام لأنهم لا ينظرون إلى أعمالهم، وإنما ينتظرون عفو الله وسعة كرمه، ولذا قال ﷺ: "ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمته"[3].

وحمل العلماء قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[4] ونحوه من الآي على عموم المسلمين. انظر ابن أبي جمرة في حديث وفد عبد القيس وفيه أيضا أن دخول الجنة برحمة الله، والدرجات بالأعمال، و(الشافع) هو الذي يقضي إليك حاجتك من عند الأمير ونحوه بجاهه، أو غير ذلك.

وَمَاذَا أَقُولُ، مَا اعْتِذَارِي وَحُجَّتِي لِمَنْ أَشْتَكِي، لِمَنْ أَفِرُّ يُدَافِعُ
سِوَاكَ وَهَا أَنَا بِبَابِكَ وَاقِفٌ وُقُوفَ الرَّجَا وَالعَبْدُ فِي الإِذْنِ طَامِعُ

=

والاندلس وبلاد المغرب)، و(القواعد) في فقه المالكية، و(المنهج الفائق، والمنهل الرائق في أحكام الوثائق) و(غنية المعاصر والتالي على وثائق الفشتالي) و(نوازل المعيار) . خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 269.

(1) الأشعرية: أبو الحسن الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ هو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص: 284.

(2) الماتريدية: فرقة دينية كلامية تختلف في رؤاها عن الأشعرية، تنسب إلى أبي المنصور الماتريدي.

(3) الرد على ابن النغريلة، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981، ج3، ص: 44. ورد الحديث في البخاري (رقاق: 18) ومسلم (منافقون: 71 - 73) وابن ماجة (زهد: 20) وفي مواضع كثيرة من مسند أحمد، انظر مثلاً ج2، ص ص: 235، 256، 264، 319. ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج7، ص: 109.

(4) النحل: 32.

أي ماذا أقول بين يدي ربي في موقف القيامة؟ وما عذري الذي أعتذر به؟ وما حجتي التي أحتج بها؟ وقد بين على لسان نبيه محمدﷺ طرق الرشد وأمرني باتباعها، وطرق الغي وأمرني بتجنبها، فخالفت وعصيت أمره، ولمن أشتكي يدافع عني ما أنا فيه في اليوم الذي لا خلة فيه سوى ما قدم الإنسان من صالح العمل؟ وقد قالﷺ: "يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا"[1].

ولما نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾[2] قام ﷺ على مرتفع وقال: يا صباحاه على عادة العرب في الإنذار بالأمر المخوف فانتبهت قريش يهرعون من أنديتهم، وقالوا: ما هذا؟ قال: إني نذير لكم، بين يديَّ عذاب شديد، فقال عمه أبو لهب: ألهذا تدعونا؟ ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ ﴾[3] إلخ".

وقوله (وقوف الرجا) أي رجاء الظفر بالحاجة، وفي حديث [مناد][4] الذي هو آخر أهل النار خروجا وآخر أهل الجنة دخولا، دليل على قوة الرجاء، وقيل المطلوب: يؤخذ ذلك من أن هذا السيد قد صح أنه من أهل النار، ثم تفضل الله عليه، وأناله رحمته، فكيف بمن هو في حال الاحتمال، لأن الناس كلهم في هذه الدار محتملين للسعادة وغيرها، فهو أقرب من رحمة أرحم الراحمين مع أنه لم يدع بشيء، وإن كان الدعاء يرجى قبوله يوم القيامة، وإنما طلب حاجته وشكى ضره بأن قال: أصرف وجهي عن النار، فكشف الله ضره، بأن صرف وجهه عنها، ثم رأى باب الجنة فرجى أن يكون واقفا فيه، ثم طمع في الإذن لدخولها، فتفضل الله عليه، إلى أن تمكن منها وصار من أهلها.

قال ابن أبي جمرة: وفي الحديث دليل على أن فكر الشخص وعقله وتخيله باق له هناك، بأنه يبعث على ما كان عليه، يؤخذ ذلك من هذه الحيلة اللطيفة. وكان

---

(1) شمس الدين الحنبلي، الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي، تح: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج1، ص: 289.

(2) المدثر: 1 - 2.

(3) المسد: 1.

(4) البغوي، معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1997، ج5، ص: 205.

سعيد بن عتبة[1] بن حصين إذا حضر باب واحد من الملوك جلس جانبا، فقيل له في ذلك، فقال: لأن أدنو عن بعد خير من أن أقصى عن قرب. وقال:

وَأَنَّ مَسِيرِي فِي البِلاَدِ وَمَنْزِلِي هُوَ المَنْزِلُ الأَقْصَى إِذَا لَمْ أُقَرَّبِ

وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية، فأذن للأحنف ثم لابن الأشعث، فدخل ابن الأشعث مسرعا قبله فقال له معاوية: "والله ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله، وكما أني وليت، نولي أدبهم"[2]. ونظر رجل إلى روح بن حاتم[3] واقفا في الشمس عند باب الخليفة فقال: "ليطول جلوسي في الظل"[4] ونظر رجل إلى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان فقال له: أمثلك يرضى بهذا؟ فقال:

أُهِينُ لَهُمْ نَفْسِي لأُكْرِمَهَا بِهِمْ وَلاَ يُكْرِمُ النَّفْسَ الذِي لاَ يُهِينُهَا

[وَعْظُ الإنسان ونصحه]

أَخِي أَيُّهَا الإنسان مَا لَكَ قُوَّةٌ وَمَا لَكَ إِنْ لَمْ يَدْفَعِ الله دَافِعُ
حَصَادُ امْرِئٍ مِنْ زَرْعِهِ، فَازْرَعِ التُّقَى فَهَلْ تَحْصِدَنَّ غَيْرَ مَا أَنْتَ زَارِعُ
فَسَدِّدْ وَقَارِبْ وَاقْتَرِبْ تَحْظَ بِالْمُنَى وَبِتْ قَانِتًا وَأَنْتَ لِلَّهِ رَاكِعُ

(1) عبد الله بن سعيد بن عتبة: عبد الله بن سعيد بن عتبة، الثقفي شاعر فارس ممن شهد فتنة أبي الهيذام، وكان جرح يوم باب كيسان جراحات كثيرة وكان من فرسان قيس. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج29، ص: 64.

(2) كذا في الأصل والصواب "وإنما كما نولي أموركم نولي آدابكم". ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج1، ص: 20.

(3) روح بن حاتم: (... - 174هـ=... - 791م) روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الازدي: أمير، من الأجواد الممدوحين، كان حاجبا للمنصور العباسي، وولاه المهدي ابن المنصور السند، ثم نقله إلى البصرة فالكوفة، وولاه الرشيد على فلسطين، ثم صرفه عنها، فتوجه إلى بغداد، فوافق وصوله نعي أخيه (يزيد بن حاتم، أمير إفريقية) فأرسله الرشيد إليها واليا على القيروان سنة 171هـ، فاستمر إلى أن مات فيها. ودفن إلى جانب أخيه.
وكان موصوفا بالعلم والشجاعة والحزم. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 34.

(4) شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح مفيد قميحة وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ج6، ص: 82.

أي أن الإنسان لا قوة له يدفع بها عن نفسه، وإنما القوة لله تعالى وما له حيلة يجلب بها لنفسه نفعا، أو يدفع بها ضرا، ولا لأحد من الخلق، وإنما النافع والضار هو الله تعالى، فلا رازق إن لم يرزق الله، ولا دافع إن لم يدفع الله، وفي الحديث: "لو اجتمعوا[1] أهل الأرض على نفع شخص أو ضره من دون الله تعالى ما قدروا"[2]. وقد قال تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾[3]، وقوله (حصاد امرئ) يعني أن من زرع التقوى فإنه يحصد الحسنات، كما أن من زرع الفجور يحصد الإثم، أي أن كل امرئ يحصد ما زرع وكل إناء بالذي فيه يرشح.

وقد مر عيسى عليه السلام بقوم من اليهود فقال خيرا فأجابوه بشر، فقيل له يا روح الله: تقول خيرا ويقولون لك شرا؛ فقال: كل إنسان ينفق مما عنده. وقد قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[4].

ووقف سائل بباب عائشة - رضي الله عنها - [32/31] فدفعت له حبة عنب، فقال: وما تغني عني هذه يا أم المؤمنين؟ فقالت: أتعرف كم تزن من ذرة؟ وفي الحديث: "إن الناس يحشرون [حفاتا][5] [عراتا][6] جياعا، فمن كسا لوجه الله في الدنيا أو [سقا][7] أو أشبع جائعا [جواز][8] وإلا فلا"[9].

وقد علم سيد نفسه من الصوفية هذا فوقف مع [العملة][10] عند فراغهم من

---

(1) كذا في الأصل والصواب اجتمع.

(2) صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 2002، ج1، ص: 137.

(3) الأعراف: 186.

(4) الزلزلة: 7 - 8.

(5) كذا في الأصل وكتبت في هامش المخطوط [حفاة] وهو الصواب.

(6) كذا في الأصل وكتبت في هامش المخطوط [عراة] وهو الصواب.

(7) كذا في الأصل وكتبت في هامش المخطوط [سقى] وهو الصواب.

(8) استدرك الشارح الأمر بتصحيحه في الهامش لكلمة [يجازا] وهو الصواب.

(9) ينظر: عبد الحق الإشبيلي، الأحكام الشرعية الكبرى، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشيد، الرياض، ط2001، ج2، ص: 486.

(10) كذا في الأصل وكتبت في هامش المخطوط [العمال] وهو الصواب.

الخدمة فأعطاهم رب الشيء المعمول أجرتهم ومنعه، فكلمه فقال: إنك لم [تخدم][1] فقال لنفسه: أعلم أن من لا يخدم لا يأخذ شيئاً. وفي الحديث "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من لم يعمل وتمنى على الله الأماني"[2].

وقال عمرو بن العاص[3] ﷺ" اعمل للدنيا عمل من يعيش أبدا وأعمل للآخرة عمل من يموت غدا". وقوله: (فسدد وقارب) هذا مقتضب من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ ونصه: "إن الدين يسر، ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"[4]. فيحتمل أن يكون قوله(فسددوا) وقاربوا بمعنى واحد، وهو الأخذ بالوسط كما مر.

وما في حديث ابن عمر[5] حين قال له النبي ﷺ: "صم وافطر وقم ونم"[6] ؛ وهو أن يمشي المرء في الأمور كلها على ما فرض وتربى من غير تغالي[7]، ولا تقصير في جهة من الجهات، ويكون المراد ب(قاربوا)، أي من لم يبلغ منكم إلى حد السراد الذي هو ما ذكرناه، ويعجز عن ذلك لعذر به فليقارب منه لأن ما قرب للشيء يعطى له حكمه. ومعنى (واقترب) أي اقترب من الله بطاعته (تحظ) أي [تفوز] وتظفر بالمنى، وقوله (وبت قانتا) أي قائما بوظائف الطاعة وأنت ساجد

(1) كلمة باللغة العامية يقصد بها لا تعمل.

(2) ابن الجوزي، تلبيس ابليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص: 323.

(3) عمرو بن العاص: (؟ - 3هـ) بن وائل بن هشام: صحابي، أسلم بعد الهدنة استعمله الرسول على جيش غزوة ذات السلاسل، من فتوحاته مصر وافريقية، ثم أصبح أميرا زمان عمر رضي الله عنه. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 86.

(4) أخرجه البخاري في باب الإيمان، فصل الدين يسر، ج1، ص: 93. والمصنف في شرح السنة: ج4، ص ص: 49 - 50. والدلجة: هي السير آخر الليل، وقيل: الليل كله. البغوي، معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1997، ج4، ص: 203.

(5) كذا في الأصل والصواب عبد الله بن عمرو بن العاص.

(6) أبو بكر بن علي البيهقي، السنن الكبرى، ج3، ص: 16.

(7) من المغالاة وهي الزيادة في الشيء.

وراكع وذاكر لله تعالى. وقال تعالى في مدح التهجد في أناء الليل: ﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[1] والآناء، الساعات و"التهجد" لغة هو القيام للصلاة بعد النوم، وأكثر العلماء في الترغيب في قيام الليل حتى قال بعضهم كابن أبي جمرة" أنه واجب قدر فواق[2] الناقة" أي قدر ما تحلب الناقة.

قال في الإحياء "وإذا [عوريت][3] آداب النوم احتسبت عبادة"، فقد نقل أنه إذا نام العبد على طهارة ذاكرا الله يكتب مصليا حتى يستيقظ، ويدخل شعره مَلَكٌ، فإذا تحرك في نومه فذكر الله تعالى، دعا له الملك واستغفر له، وفي الخبر إذا نام على طهارة وفد بروحه على العرش[4]. هذا في العوام، فكيف بالعلماء وأرباب القلوب الصافية، فإنهم يكاشفون[5] بالأسرار في النوم، ولذا قال ﷺ: "نوم العالم عبادة ونَفَسُهُ تسبيح"[6]. وقال معاذ بن جبل[7] لأبي

(1) آل عمران: 113.

(2) فُوَاق النَّاقَة، وهو رُجوع اللَّبنِ في ضَرعها بعد الحَلب. تقول: ما أقامَ عندَه إلاَّ فُوَاقَ ناقة، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 461.

(3) كذا في الأصل وكتبت في هامش المخطوط (روعيت) وهو الصواب.

(4) عبد الرحمن الحنبلي النجدي، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ج1، ص: 296.

(5) المكاشفة: يقال لها رفع الحجاب، الذي بين الروح الجسماني، الذي لا يمكن إدراكه بالحواس الظاهرة. وقد تطلق المكاشفة على المشاهدة أيضا على ما سيجيء في لفظ الوصال. قالوا: إنّ السالك حينما يضع قدمه في عليين الحقيقة بعدما يجذبها من طبيعتها السفلية بسبب جذبه الإرادة؛ فإنه يصفي باطنه بالرياضة، فلذا تصبح عينه في كل وقت مفتوحة. وبمقدار ذلك الصفاء يرتفع عنه الحجاب ويزداد لديه قوة صفاء عقل المعاني المعقولة، ويقال لهذا: الكشف النظري. ثم يجب على السالك أن يتجاوز ذلك ويخطو عدة خطوات أكثر ولا يبقى في طريق أهل الفلسفة والحكمة، وأن يجعل قلبه عاملا أكثر حتى يتصل بنور القلب الذي يسمى الكشف النوري. انظر: محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، عبد الله الخالدي؟ جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996، ج2، ص: 1366.

(6) أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تح: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005، ج1، ص: 67.

(7) معاذ بن جبل (20 ق هـ - 18 هـ=603 - 639م) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصاري =

موسى[1] كيف تصنع في قيام الليل؟ فقال: أقوم الليل أجمعه، لا أنام فيه شيئاً، فقال معاذ، لكني أنام ثم أقوم، وأحتسب نومة كما أحتسب قومة، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ: فقال معاذ أفقه منك. وقال في المدخل، نوم العالم خير من اجتهاد الجاهل[2].

[وَصْفُ أخذ الصيد]

وَإِنْ رُمْتَ بَسْطاً فَالبَسِيطَةُ، وَالأُولَى ... يَمِلْنَ إِذَا اعْتَرَضْنَ مَنْ هُوَ نَازِعُ
فَجَارِيَةٌ يَجْلُو صَدَا الصَّدْرِ صَيْدُهَا ... وَطَائِرَةٌ تُنْسِيكَ مَا أَنْتَ صَانِعُ
فَهَذِي بِإِثْرِهَا تَبِيعٌ يُرِيغَهَا ... وَذِه فَوْقَهَا مِنَ الصُّقُورِصَوَاقِعُ
وَأَنْتَ عَلَى مَتْنِ السَّبُوحِ تَحُثُّهَا ... أَخَا عَبْرَةٍ أَوْ حَبْرَةَ لاَ هَلاَ بِعُ

=

الخزرجي، أبو عبد الرحمن: صحابي جليل، كان أعلم الامة بالحلال والحرام. وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. أسلم وهو فتى، وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين جعفر بن أبى طالب، وشهد العقبة مع الانصار السبعين. وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه رسول الله، بعد غزوة تبوك، قاضيا ومرشدا لأهل اليمن. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 258.

(1) أبو موسى الأشعري (21 ق هـ - 44 هـ=602 - 665م) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ابن حرب، أبو موسى، من بني الأشعر، من قحطان: صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد (باليمن) وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة. ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن. وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة 17 هـ، فافتتح أصبهان والأهواز. ولما ولي عثمان أقره عليها. ثم عزله، فانتقل إلى الكوفة، فطلب أهلها من عثمان توليته عليهم، فولاه، فأقام بها إلى أن قتل عثمان، فأقره علي. ثم كانت وقعة الجمل وأرسل علي يدعو أهل الكوفة لينصروه، فأمرهم أبو موسى بالقعود في الفتنة، فعزله علي، فأقام إلى أن كان التحكيم وخدعه عمرو بن العاص، فارتد أبو موسى إلى الكوفة، فتوفي فيها. وكان أحسن الصحابة صوتا في التلاوة، خفيف الجسم، قصيرا. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، 14.

(2) أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ج1، ص: 149.

البسط ضد القبض، والمعنى أنك إذا أردت الانقباض على لذائذ الدنيا، فسدد وقارب واقترب، وبت قائما لله، وإن [رميت][1] البسط في زينتها حول حبها فدونك البسط أي خذه، فدونك اسم فعل [والأولى][2] لك أن ترتكب من طرق السبك ما [33/32] يملن الذي هو نازع عن الهوى إلى العبادة إذا اعترضته، والمعنى إن رأى من مال قلبه إليها، وهو الصيود الجارية في الأرض والطائرة في الهوى، [فهاذا][3]، أي الجارية من وحوش و[ظبا][4] ونحوهم بإثرها تبيع وهو الكلب يُريغها بضم الياء أي يطلبها، من أراد إذا طلب و"ذه" أي الطائرة من حبارى ونحوها. (فوقها من الصقور صواقع) أي مساقط، يسقطون عليها، وينقضون لقنصها، وقوله تعالى: ﴿ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾[5] أي بمساقطها لغروبها.

وقوله (يجلو صدى الصدر... إلخ)، هو من معنى ما مر من قوله (وينفي الهموم... إلخ) وقوله (تنسيك) المعنى إنها تأخذ بشراشر قلبك فتنسيك كل ما أنت صانع له ذلك الوقت، وكان الشعبي[6] يقال له تبطل الحوائج، أنه إذا رآه ذو حاجة يتحدث أو يُدَرِّسُ، ينسى ما هو فيه ويذهل عليه كله، ويقبل على الشعبي - رحمه الله - و(المتن) الظهر و(السبوح) الفرس التي لا تتعب راكبها كأنه يسبح على

(1) كذا في الأصل والصواب رمت.

(2) في هامش المخطوط والأولى لك.

(3) كذا في الأصل والصواب فهذا.

(4) كذا في الأصل والصواب ظباء.

(5) الواقعة: 75.

(6) الشعبي: (19 - 103هـ=640 - 721م) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر، وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز وكان فقيها. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 251.

الماء(تَحتُّها) أي [تزعجها][1]، (أخا) أي صاحب، عبرة بفتح العين هي الدمعة، وبكسرها الاعتبار، و(حبرة) السرور، أي أنك تكون تارة صاحب خشية وبكاء من خوف الله تعالى، و[يكون][2] صاحب حبرة أي سرور، فالأول راجع لقوله: (وبت قانتا) والثاني لقوله(وإن رمت بسطا).

وقوله (لا هلابع) بضم الهاء، اللئيم الجسيم الحريص على الأكل، ويقال للذئب أيضا، وهلبع: العظيم اللقم، وكدرهم، الكلب السلوق وكلب بعينه[3] وقوله (ذي وذه) كلاهما إشارة للمؤنث القريب.

[مدح الصيد]

فَمَنْ ذَا يُعِيبُ ذَا؟ وَمَنْ ذَا يَذُمُّهُ ... سِوَى قَرْصَعٍ قَدْ خَلَّفَتْهُ قَرَاصِعُ
لَعَمْرُكَ مَا فِي الصَّيْدِ عَيْبٌ تَذُمُّهُ ... وَلاَ فِيهِ ذَنْبٌ قَبَّحَتْهُ الشَّرَائِعُ
لَئِنْ عَابَهُ قَوْمٌ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا ... تَعِيبُ عَلَى الرُّؤُوسِ فِيهِ الأَكَارِعُ

(من) بفتح الميم، اسم استفهام إنكاري، وذا اسم موصول بوقوعها بعد الاستفهام، وعدم إلغائها. والمعنى من الذي يذم الصيد على هذه الصفة، ومن ذا الذي يعيبه سوى قرصع، بوزن جعفر وهو [اللئم][4]، ويقال أيضا للمرأة الجارية قليلة الحياء، والتي تكحل إحدى عينيها، وتلبس درعها مقلوبا، ومعنى (خلفته) بأن قالت بذم الصيد، و(الشرائع) جمع شريعة، وهي ما شرع الله تعالى لعباده، و(عيب الأكارع على الرؤوس)كريه. من عيب الجاهل على العالم، والوضيع على الشريف، والجبان على الشجاع ممن لا يقبل قولهم، ويكون دليلا على حمقهم وخرافة قولهم، وكان أولاد أنف الناقة[5] في العرب منحطي المنزلة بسبب هذا اللقب الذي

(1) كذا في الأصل والصواب يزجرها.
(2) كذا في الأصل والصواب وتارة.
(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج3، ص: 101.
(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 226.
(5) أنف الناقة: هو أنف الناقة جعفر بن قريع بن عوف، من تميم، من عدنان: جد جاهلي، كان =

عدته العرب ذما، فلما مدحهم الحطيئة[1] بقوله[2]:

قَـوْمٌ هُـمُ الأَنْـفُ وَالأَذْنَـابُ غَيْـرَهُمُ وَهَـلْ يُـسَوَّى بِأَنْـفِ الـنَّاقَةِ الذَّنَـبَا[3]

صار هذا اللقب مدحا وارتفعت منزلتهم به.

فَـدَعْ عَـنْكَ قَـوْلَ مَـنْ يَـذُمُّ بِجَهْلِـهِ فَـذَلِكَ فِـي جِـنْسِ الـبَهَائِمِ رَاتِـعُ

إِذَا آيَـةُ التَّكْلِـيبِ جَـاءَتْ وَغَيْـرُهَا فَكَـيْفَ لَـهُ بِغَيْـرِ عِلْـمٍ يُـنَازِعُ

عَـدِمْتُ خَـيَالَهُ بِأَيَّـةِ حُجَّـةٍ يُقَابِـلُ قَـوْلَ اللهِ، أَنَّـى يُخَـادِعُ

جعله من جنس البهائم لإنكاره من صار في الشرع معلوما بالضرورة، وقال العلماء ضرورية العلوم لا تعد من مسائله، ولا يؤجر على معرفتها، وقول بعض الصوفية أن العلوم كلها بالنسبة إلى النبي ﷺ ضرورية. قال شهاب الدين الخفاجي[4] قد رده (رروف)[5] لأنه إن حُمِل على ظاهره لزمه أن ينفى عند التكليف لأن العلوم الضرورية لا يكلف بها، ولا يوصي عليها واص[6]، إلا أنه لشدة ذكاء نفسه القدسية علمه بالكسبيات كغيرها، صحيح.

فعليك بادخار هذه الجواهر في جنان الأذهان، فإنك لا تراها في غير هذا المكان، وآية التكليب هي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ (يَا محمد) ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾

=

لقبه (أنف الناقة) وبه عرف بنوه، وكانوا يكرهون هذا اللقب. خير الدين الزركلي، ج2، ص: 126.

(1) الحطيئة: الحطيئة (000 - نحو45هـ=000 - نحو665م) جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو ملكية: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءا عنيفا، لم يكد يسلم من لسانه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه، وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، فقال: إذا تموت عيالي جوعا، له (ديوان شعر) . خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 118.

(2) كذا في الأصل والصواب ومن يسوى.

(3) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 126.

(4) قد سبقت ترجمته.

(5) غيرمفهومة.

(6) كذا في الأصل والصواب لا يوصى عليها واص.

(مـن الطعـام)، ﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ[1]﴾ أي المـستلذات، و (صـيدها) ﴿مَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾[2] الكواسب من الطير والكلاب والسباع، (مُكَلِّبِين) حال من كلَّبت الكلب بالتشديد، أي أرسلته على الصيد. (تعلمونهن) حال من ضمير مكلبين أي تؤدبونهن مما علمكم الله من أدب الصيد "فكلوا مما أمسكن عليكم"[3] وإن قتلته أو أكلت منه.

وقال الشافعي: فإن أكلت منه لم يؤكل، لأنه ليس مما أمسك على صاحبها، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ عِنْدَ إِرْسَالِهِ، وقوله (وغيرها) نحو ﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمًا﴾[4] أي وأحل لكم في غير ذلك. ونحو ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلاً طَيِّبًا﴾[5] وقوله يقابل قول الله أي يعارضه ومن عارضه فلا يخفى زيغه وإلحاده، وقوله (أنى) للاستبعاد، أي كيف يخادع أحدا أو يورطه، باتباع قول المخالف فيه، للعلم الذي كاد يكون ضروريا.

[الطرد الحلال]

أَحَـلَّ الإِلَـهُ الطَّيِّـبَاتِ بِفَـضْلِهِ ... وَثَنَّـى بِذِكْـرِ الـصَّيْدِ عَطْفـاً يُـتَابِعُ
فَمَـنْ يَدَّعِـي لِلَّهْـوِ فِـيهِ ذَرِيعَـةً ... وَقَـالَ: يَحِـقُّ أَنْ تُـسَدَّ الذَّرَائِـعُ
فَقُلْ فِي رُكُوبِ الخَيْلِ أَقْوَى ذَرِيعَةٍ ... وَفِـي قَاصِـرَاتِ الطَّـرْفِ، وَهِـيَ تُوَاقِـعُ
فَهَـلاَّ طَـرَدْتَ البَابَ فِـي ذَاكَ كُلِّـهِ ... وَإِلاَّ فَـسَلِّمْ أَوْ يَجِـيءُ الـتَّدَافُعُ

تحليل(الطيبات)، هو المراد بقوله تعالى: [يَسْأَلُونَكَ مَاذَا... إلى "الطَّيِّبَاتِ][6] واتبعه بالصيد عطفا له على الطيبات؛ أي وأحل لكم صيد ما علمتم من

(1) المائدة: 04.
(2) المائدة: 04.
(3) المائدة 04.
(4) المائدة: 96.
(5) البقرة: 168.
(6) إشارة إلى سورة المائدة: 04.

الجوارح[1]... إلخ ما مر قريبا. وقال ابن أبي جمرة "أكل الطيبات لا يقدح[2] في الزهد، يؤخذ ذلك من أن سيدنا محمد ﷺ أزهد البرية بلا شك، وهذا عامله على خيبر[3] قد ساق له الطيب من التمر ولم ينهه عن ذلك، وإنما نهاه عن الربا، إلى آخر كلامه. وقال ﷺ: "إن الله يحب أن تؤتى رُخَصُه كما تؤتى عزائمه"[4].

وقوله (فمن يدعي للهو فيه ذريعة... إلخ) أي من [ادعا][5] الاشتغال بالصيد فيه فتح ذريعة للهو، (وقال بحق) أي، يجب أن تسد الذرائع كما هو مذهب مالك[6] ﷺ (فقل له) في الجواب عَمَّا قال: عجبا، أي في ركوب الخيل أقوى ذريعة [34/33] للهو، ألا ترى إلى عمر ﷺ لما أركبه أجناد الشام لما ذهب على فرس فهملج[7] به هنيهة، ثم نزل عليه فقال إنه شيطان، حدثتني نفسي وأنا عليه بأمور.

---

(1) نفسها.

(2) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 68.

(3) عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، وأمه صفية بنت المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عمة خالد بن الوليد بن المغيرة هاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة هو وأخوه خالد بن سعيد وقدما معا على النبي ﷺ، وكان إسلام عمرو بعد أخيه خالد بيسير روى الواقدي عن جعفر بن محمد بن خالد عن إبراهيم بن عقبة عن أم خالد بنت سعيد بن العاص قالت: قدم علينا عمي عمرو بن سعيد أرض الحبشة بعد مقدم أبي بيسير فلم يزل هناك حتى حمل في السفينتين مع أصحاب النبي ﷺ فقدموا عليه وهو بخيبر سنة سبع فشهد عمرو مع النبي ﷺ الفتح وحنينا والطائف وتبوك، واستعمله النبي ﷺ على ثمار خيبر. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 78.

(4) أبو حفص الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج3، ص: 267.

(5) كذا في الأصل والصواب ادَّعَى.

(6) هو مالك بن أنس (95هـ - 179هـ) مالك بن أنس بن أبي عامر أبو عبد الله الأصبحي المدنى حليف عثمان بن عبيد الله القرشى سمع نافعا والزهرى روى عنه الثوري وشعبة قال ابن عيينة كان مالك إماما في الحديث. من كتبه الموطأ والمدونة في الفقه. البخاري، التاريخ الكبير، ج7، ص: 310.

(7) هملج: الهِمْلاَجُ حُسْنُ سَيْرِ الدابةِ في سُرْعَةٍ وقد هَمْلَجَ ودابةٌ هِمْلاَجُ الذكرُ والأنثى فيه سواءُ، مدلل منقاد. ابن سيده، المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996، ج2، ص: 99.

ومع ذلك أجمع المسلمون على جواز ركوب الخيل ورياضتها وكذا قاصرات الطرف، وهن النساء الحسان ففي مواقعتهن، أي جماعهن واللعب [بهن][1] أقوى ذريعة للهو، ومع ذلك، لا نجد من يقول في المسلمين بالنهي عن ذلك سدا لذريعة[2] اللهو، وهذان هما أعظم لذة الدنيا، ولقد صدق من قال:

وَمَا لَذَّةُ الدُّنْيَا إِلاَّ ظَهْرُ سَابِقٍ نَهَارًا وَبِاللَّيْلِ بُطُونِ الكَوَاعِبِ

فإن قال لنا إنها لهو قلنا: نعم و[لاكتها][3] حلال بلا نزاع لقولهﷺ: "لهو المؤمن لا يكون إلا في ثلاث: رميه عن قوسه، وتأديب فرسه، وملاعبة زوجته"[4]، فإن قيل قد جاءت إباحة اللهو في غير الثلاث المذكورة لما صرح النبي ﷺ دخل على عائشة - رضي الله عنها - يوم العيد، وعندها جوار من بني النجار، يضربن بالدف فاضطجع ﷺ على فراشه وجعل ظهره إليهن، وإذا بأبي بكرﷺ قد دخل فانتهرهن وقال: أمير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ، فرد رسول الله ﷺ رأسه إليه وقال: "دعهن فإنه يوم عيد".

وهذا أوضح فلا بحث فيه. أجيب بأن ذلك كان أول الإسلام والخمر إذ ذاك حلال والربا حلال، والقمار حلال، وكثير من الفرائض لم تفرض. ثم بعد [مجيء] الأمر بخلافه. ألا ترى إلى قوله ﷺ وهذا أوضح فلا بحث فيه. أجيب بأن ذلك كان أول الإسلام والخمر إذ ذاك حلال والربا حلال، والقمار حلال، وكثير من الفرائض لم تفرض. ثم بعد [مجيء] الأمر بخلافه. ألا ترى إلى قوله ﷺ يوم فتح مكة"إنما بعثت لكسر الدف والمزمار"، فخرج الصحابة - رضي الله عنهم -

---

(1) كذا في الأصل والصواب اللعب معهن.

(2) سد الذرائع: كلّ ذريعة ووسيلة تُفضي إلى محذور فإنّها ممنوعة، وهي قاعدة عظيمة، تُسمّى عند الأُصوليين: "قاعدة سدّ الذرائع"، قد تكلّم عليها بإسهاب الإمام ابن القيّم في كتابَيْه: "إعلام الموقّعين" و"إغاثة اللهفان"، وذكر لها تسعة وتسعين مثالاً. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 2002، ج2، ص: 221.

(3) كذا في الأصل والصواب لكنها.

(4) انظر: إسماعيل الإستانبولي الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ج5، ص: 375.

يأخذونها من أيدي الولدان ويكسرونها، انظر ابن أبي جمرة في حديث فضل العمل في أيام التشريق.

وقوله (فهلا طردت الباب)، هلا من ألفاظ الحضيض، وطرد الباب أي باب سد الذرائع[1]، وهو أن تكون كلها منهي عنها، سواء ركوب الخيل، ومواقعات قاصرات الطرف وغير ذلك. وقوله (وإلا) أي لو لم تقل بطرده في ذلك كله، بأن تقول يجب السد في بعض دون بعض، فسلم العلم لأهله، وانصف نفسك، فإن الإنصاف نصف العلم، ويحصل الوفاق بيننا وبينك في أن ركوب الخيل وما معه من اللهو، إلا أنه من اللهو الجائز لا من المحرم فإن لم تسلم جاء التدافع، أي التناقض في قولك بوجوب سد الذرائع، وعدم وجوب سدها، وهو تهافت لا معنى له، وهذا عند علماء الجدل من باب إرخاء العنان للخصم حتى يقع ويزل.

وَالأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ مِنْ كلّ عَامِلٍ وَمَا ضَرَّتِ الأَفْرَاحُ وَهِيَ تَوَابِعُ
علَى أَنَّهُ لِلَّهْوِ مَحْضاً أَبَاحَهُ رِجَالٌ فَثِقْ بِكُلِّ مَا قَالَ بَارِعُ

قوله (الأعمال بالنيات) أي صحتها واعتبارها، هذا بعض من الحديث المشهور الذي ابتدأ به الإمام البخاري، صحيحه: "إنما الأعمال بالنيات"... إلخ[2] وقوله (في كل عامل)[3] أي عملا حتى اللقمة يعملها في فم زوجته. ألا ترى أن الصوفية يأخذون في تنمية أفعالهم واجبا كان أو ندبا بحسن نياتهم أما الواجب فيزيدون فيه الإيمان والاحتساب، لما روى ابن مسعود أن الرجل إذا أنفق على أهله يحتسبها فهي صدقة، وأما المندوب فيزيدون فيه أكثر من ذلك، ينذرونه على أنفسهم فيصير واجبا، وبعد الوجوب يزيدون فيه نية الإيمان والاحتساب. وأما المباح فيتخذونه عونا على طاعة ربهم فيصير مندوبا فترتفع أعمالهم بذلك، وتسمو همهم لأن ما كان للدنيا وفيه عون على الدين فليس بدنيا. ولهذا كان لهم السبق، وإن كانت أفعالهم مع أفعال غيرهم في الظاهر على حد سواء، وقد قال ﷺ: «إنَّ اللهَ

(1) سبقت الإشارة إليها.

(2) خير الدين، الآلوسي، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، مطبعة المدني، ط1، 1980، ج1، ص: 327.

(3) كذا في الأصل والصواب من كل عامل.

لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلاَ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ولكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ»[1].

و(الأفراخ) جمع فرخ[2] وهو ولد الطائر، وكل صغير من الحيوان والنبات والجمع أفرخ وأفراخ وفراخ، وفروخ وأفرخة وفرخان، وتراضع بمعنى ترضع، وقوله (على أنه)، على هنا للاستدراك على المعترض، والمعنى أيها القائل إن الصيد من حيث هو، فيه ذريعة للهو، قد أباحه رجال مع أن صائده إنما قصد اللهو فقط.

وهذه الصورة أكثرها الشيوخ مما[فيها من] الكراهة، وأباحها ابن عبد الحكم[3] من أكابر أصحاب مالك - رحمهما الله - وهو الذي عنى[4] الناظم بالبارع، وقول ابن ناجي[5] في شرح المدونة في [السلم][6]، الأولى عنه قوله"ومن سلف دنانيرا إلى صبيان على صنف من الطير كل يوم كذا وكذا طائر"، قال شيخنا أبو مهدي[7]: "وليس فيها ما يدل على جواز جعل الطير في القفص ولا على منعه"،

---

(1) الحديث تنقصه كلمة " وأعمالكم" ونص الحديث هو «إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلاَ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ولكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أبو إسحاق النيسابوري، الكشف والبيان، ج9، ص: 88. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج7، ص: 214.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 500.

(3) ابن عبد الحكم: (150 - 214هـ=767 - 829م): عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد: فقيه مصري، من العلماء، كان من أجلة أصحاب مالك، انتهت إليه الرياسة بمصر بعد أشهب، ولد في الاسكندرية وتوفي في القاهرة، له مصنفات في الفقه وغيره، منها " سيرة عمر بن عبد العزيز " و" القضاء في البنيان" و"المناسك " و" الأهوال "خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 95.

(4) كذا في الأصل والصواب عَناَهُ.

(5) ابن ناجي(000 - 837هـ=000 - 1433م) قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني: فقيه، من القضاة، من أهل القيروان، تعلم فيها وولي القضاء في عدة أماكن، له كتب، منها "شرح المدونة" وزيادات على معالم الايمان " مع المعالم، و" شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني " و" مشارق الأنوار والقلوب " و" شرح التهذيب للبراذعي ".ج5، ص: 179.

(6) كذا في الأصل والصواب فإن في السلف.

(7) السكتاني (000 - 1062هـ=000 - 1652م) عيسى بن عبد الرحمن، أبو مهدي الرجراجي السكتاني، مفتي مراكش وقاضيها وعالمها في عصره، مولده ووفاته فيها، تفوق في فقه =

وفي اللفظة ما يوهم جوازه، وهو قوله: إذا حل رجل قفص طائر فإنه يظن. قيل فإن قوله عليه السلام: "أبا عمير ما فعل النغير"؟[1] يقتضي جوازه، انظر (الخطاب).

وقوله (فثق) أي صدق، واعمل بكل ما قال البارع من "برع وقيلت براعة وبروعا، فائق أصحابه في العلم وغيره، أو في كل فضيلة وجمال، وهو بارع وهي بارعة"[2].

أَعَـنْ طَيِّـبَاتِ الـرِّزْقِ وَالـزِّينَةِ التِـي لَـنَا أُخْـرِجَتْ فَـضْلاً يَـصُدُّكَ شَـانِعُ
وَقَدْ جَاءَ فِي الأَعْرَافِ (قُلْ مَنْ) بِنَصِّهِ إِلَـى (يَعْلَمُـونَ) أَيْـنَ جَـاءَ المَوَانِـعُ

(الطيب) خلاف الخبيث (والرزق) بالكسر ما تنفع به كالمرتزق والمطر والجمع أرزاق، وبالفتح المصدر، و(الزينة) بالكسر ما تتزين به، وقوله (أحلت لنا فضلا) [3] أي تفضلا من الله علينا، وأصل النشع الانتزاع بعنف، وفلانا الكلام لَقَّنَه إياه، والمعنى أيصدك صاد عن حِلّية طيبات الرزق، والزينة التي أباحها الله لنا فضلا منه. والحال أنه قد جاء في سورة الأعراف بنصه أي القرآن المجيد، أو الله، وقوله (قُلْ) أراد به ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ

=

المالكية والتفسير، ولي القضاء بتامسنا في مدة المولى أحمد، ثم ولي قضاء تارودنت، فقضاء مراكش أزيد من 34 سنة، وصنف كتبا منها: "حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي" في التوحيد، وكتاب في "النوازل".

(1) النغير: فِراخُ العصافير يقال لها النغَر ولعلَّ ذلك لصوتها المتدارك، الواحدة نُغرة، والذّكَر نُغَر، والجمع نُغْران. قال الشاعر:

يَحْمِلْـنَ أوعِـيةَ المُـدامِ كأنمـا يحمِلْـنَها بأكـارع النّغْـرانِ

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 453. تحمل قصة أبي عمير الذي كان معه طائر صغير يلعب به، يقال له: النغير فمات هذا الطير، فحزن الصبي لموته فكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول لهذا الصبي من باب الممازحة: "يا أبا عمير ما فعل النغير ".

(2) قالت الخنساء :

جلـدٌ جمـيلٌ أصـيل بـارعٌ وَرِعٌ مـأوى الأرامـلِ والأيـتامِ والجـارِ

(3) كذا في الأصل والصواب لنا أخرجت.

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1] ؛ هذا معنى قوله (إلى يعلمون) ، أين جاءت نصوص الموانع أي التي تمنع الزينة والطيبات مع هذا النص القاطع المجمع عليه، لقد جيئت آية القائل بالمنع شيئا فريا. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ ﴾[2].

قال الغزالي في الإحياء في كتاب العلم وهو الكتاب الأول منه، [35/34] وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفل كتب إلى الملك رحمهما الله، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد في الأولين والآخرين: "من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد: فإنه بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطئ، وتجعل على بابك حاجبا، وقد جلست مجلس العلم، (وقربت إليك بساط المطى)[3] وارتحل إليك الناس، فاتخذوك إماما، ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع، كتبت إليك بالنصيحة مني كتابا ما اطَّلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام".

فكتب إليه مالك - رحمه الله - بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما: "من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد، سلام الله عليك أما بعد: فقد وصلني كتابك، فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والأدب، أمتعك الله بالتقوى وجزاك الله بالنصيحة خيرا، وأسأل الله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما ما ذكرت لي أني آكل الرقائق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطئ، فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى. وقد قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[4]؛ وإني لأعلم أن ترك ذلك

(1) الأعراف: 32.

(2) النحل: 116.

(3) كذا في الأصل والصواب، وقد ضربت إليك المطى.

(4) الأعراف: 32.

خير من الدخول فيه، ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام".

فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه[1] وأفتى بأنه مباح، ولقد صدق فيهما بمثل مالك في منصبه إذ سمحت نفسه بالإنصاف، والاعتراف في مثل هذه النصيحة. فتقوى نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءات والمداهنة، والتجاوز إلى المكروهات، وأما غيره فلا يقدر عليه. والاستفهام في كلام الناظم في الموضوعين للإنكار.

[اللهو والانشغال عن الصيد]

فلو قال: لاتِّبَاعِ مُلْهٍ وَشَاغِلٍ لَوَافَقَ نَصًّا لَيسَ فِيهِ [تَوَاقُعُ]
وَأَقْبَحُ شَيْءٍ أَنْ يُرَى المَرْءُ لاَهِياً بِشَيْءٍ عَن الذِي لَهُ الكُلُّ رَاجِعُ
تَنَبَّه فَإِنَّ الحَقَّ كَالشَّمْسِ ظَاهِرٌ وَلاَ تَلْتَفِتْ لِكُلِّ مَا أَنْتَ سَامِعُ

يعني لو قال المخالف لمن تبعه أي للمقلد له، الأخذ بقوله إن الصيد مله عما هو [الأهم][2] بالإنسان، وشاغل له عن ذلك لوافق نصا من نصوص العلماء (ليس فيه تواقع) [3] أي إشكال أو رد، هذا في الصيد الذي لم يجب للمتعسر والتوسعة المعتادة. فإن وجب للمتعسر أو ندب للتوسعة المعتادة، فليس بمله ولا شاغل، وإنما هذا في صيد اللهو المكروه على غير قول ابن عبد الحكم[4]، وفي المباح الذي لتوسعة غير معتادة. و(أقبح شيئا)[5] أن يرى الإنسان لاهيا أي مشتغلا بما لا يعنيه من أي شيء من الأشياء ويُعْرضُ عن الذي له الكل من ذوي العقول راجع من الاشتغال؛ يعني أن العاقل هو الذي يشتغل بما يعنيه. وفي الحديث "ما من ساعة تمر على الإنسان ولم يكن فيها ذاكرا ولا متفكرا ولا مصليا ولا مشتغلا بما يعنيه إلا كانت عليه ترة يوم القيامة أي حسرة وندامة".

---

(1) ينظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص ص: 91 - 92.

(2) كذا في الأصل والصواب "أهم".

(3) في النظم "تنازع" وهو الصواب وشرحها (تواقع).

(4) قد سبقت الإشارة إليه.

(5) كذا في الأصل والصواب شيء.

ولقي هرم بن حيان[1] الزاهد أويس [القراني][2] قال: حَدِّثْنَا، قال: لا أحب أن أكون قاضيا ولا محدثا، وأنا بك إنسا، ومعك شغل، قال ثم أقبل على ذكره وأعرض عني. وأتى صبي إلى أبيه فقال: حفظت لوحتي[3] فإني أذهب لألعب؟ فسكت عنه، فقال: من حضر [الدور][4] فإن اللعب مما ينصح به الصبيان، فقال: لا أحب أن يكتب في صحيفتي اذهب تلعب. وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه[5]: "لا تجلسوا إلا عند زراد أو وراق"[6] ورأى لقمان داوود عليهما السلام ينسج درعا، ولم يسأله عن ما تصلح له قائلا بأن هذا السؤال لا يعنيني حتى علم بعد ذلك من غير سؤال.

وقوله (ولا تلتفت... إلخ) يقول الحكماء: "كفى بالمرء حمقا أن يصدق بكل ما سمع"، وفي كتاب العقد لابن عبد ربه أن أبا الدرداء[7] قال: "أنصف أذنيك من فيك، فإنما جعل [أذناك اثنان][8] وفمك [واحد][9] لتسمع أكثر مما تقول"؛

---

(1) هرم بن حيان (.. - بعد 26 هـ=.. - بعد 647م) هرم بن حيان العبدي الازدي، من بني عبد القيس: قائد فاتح، من كبار النساك، من التابعين. كان أمير بني عبد القيس في الفتوح، وولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان، بأرض فارس، وحاصر " بوشهر سنة 18 ودخلها، وكان من سكان البصرة. عده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية، من كبار التابعين، وسماه الجاحظ في النساك الزهاد من أهل البيان. خير الدين الزركلي، ج8، ص: 82.

(2) كذا في الأصل والصواب القرني: أويس القرني (000 - 37هـ=000 - 657م) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قرن بن ردمان بن ناجية ابن مراد: أحد النساك العباد المقدمين، من سادات التابعين، أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، وأدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، فوفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة، وشهد وقعة صفين مع علي، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها خير الدين الزركلي، ج2، ص: 32.

(3) إشارة إلى طريقة حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب لدى المغاربة عموما.

(4) كذا في الأصل والصواب من حضر الدرس.

(5) قد سبقت الإشارة اليه.

(6) ذكر الرواية صاحب العقد الفريد، انظرها.

(7) سبقت ترجمته.

(8) كذا في الأصل والصواب أذنيك اثنتين.

(9) كذا في الأصل والصواب وفمك واحدا.

وخطب أرسطو الحكيم[1] فأطال، وعنده شاب ساكت. فقال له ما لك لا تتكلم؟ فقال: إن الله تعالى خلق للإنسان أذنين ولسان واحد ليكون يسمع أكثر مما يقول" وقال يحيى بن خالد البرمكي[2]: الناس يكتبون أحسن مما يسمعون، ويحفظون أحسن مما يكتبون ويحدثون بأحسن مما يحفظون.

وَإِنْ عَكَـرُوا، وَأَنْكَـرُوا، ثُـمَّ أَكْثَـرُوا وَنَقَّـتْ بِلَـوْمِهَا عَلَـيْكَ الـضَّفَادِعُ
وَشَقْـشَقَ مِـنْهُمْ كُـلُّ جِلْـفٍ وَأَبْلَـهٍ وَصَـرَّحَ بِالتَّحْـرِيجِ أَوْ إِنْ شَـاكِعُ
بَـذِيٌّ وَلُـوعٌ بِالإِذَايَـةِ بَرْشَـعٌ لَـهُ بَـيْنَ فَقْمَـيْهِ الكَـرِيهَيْنِ لاَسِـعُ

يقال عكر على الشيء يعكر عكرا وعكورا واعتكر: كر وانصرف، واعتكر الليل، اشتد سواده والتبس، والمطر اشتد، والريح جاءت بالغبار"[3] والمراد هنا عارضوك وليسوا عليك، ولم يسلموا لك ما قلت، وأنكروه، وقوله (ونقت بلومها)، يقال: نق الضفدع ينق نقيقا؛ صاح وصوت، والنّقّاقة، الضفدع والنقنقة صوتها. انظر القاموس[4]، و(شقشق) من الشِّقشقة بالكسر، وهي شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، ولذا يقال شقشق الفحل[5] إذا هدر والعصفور إذا صوت، وأراد بها الناظم هنا الكلام الذي لا يجدي نفعا، و(الجلِف) بالكسر، الرجل الجافي، كالجليف. والأبله معروف، وأصل التجريع ابتلاع بعد مرة بعد مرة لقبحه وكراهته، والمراد هنا

(1) أرسطو(384 - 322 قبل ميلاد المسيح): فيلسوف يوناني؛ يعد واحدا من أعظم الفلاسفة في جميع العصور من أهم مؤلفاته: (المقولات، الجدل، الخطابة،..). خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 145.

(2) الفضل بن يحيى: (147 - 193هـ=765 - 808م): الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي: وزير الرشيد العباسي، وأخوه في الرضاع: كان من أجود الناس، استوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولاه خراسان سنة 178 هـ فحسنت فيها سيرته، وأقام إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة سنة (187هـ) وكان الفضل عنده ببغداد، فقبض عليه وعلى أبيه يحيى، وأخذهما معه إلى الرقة. ج 5، ص: 151.

(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج2، ص: 94.

(4) نفسه، ج3، ص: 94.

(5) برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ج3، ص: 257.

صرح بما ينكر ولا ينبغي له ما لم يعهد ولم يعرف.

وقوله (أو إن) من الأنين الذي يصدر من التوجع، فهذا كله عن سخف القول الصادر عنه، و(الكاشح) [1] من الكشح وهو الضجر، وكشح القوم عن قتيل، تفرقوا عنه و(الباذي) هو فاحش النطق وبذيت عنهم وأبذوهم وأبذيتهم[2].

(1) اختلط الأمر على أبي راس الناصر بدل شرحه لكلمة شاكع شرحها كاشح.

(2) انتهى المخطوط في ورقته الخامسة والثلاثين حسب الترقيم العادي.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	الصفحة
البقرة		
﴿ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾	168	219
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾	204	193
آل عمران		
﴿ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴾	113	214
النساء		
﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾	59	176
﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُواْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ ﴾	66	168
الأنعام		
﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾	124	147
المائدة		
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ ﴾	4	118
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ ﴾	4	218
﴿ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡ ﴾	4	218
﴿ مَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ ﴾	4	219

السورة	الآية	الصفحة
﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾	4	219
﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾	42	194
﴿ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمًا ﴾	96	118
﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ ﴾	96	118
﴿ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمًا ﴾	96	219
الأعراف		
﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾	32	225
﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾	32	225
﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾	186	212
التوبة		
﴿ لَهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٞ﴾	21203	
يونس		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾	23	194
﴿ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾	93	199
هود		
﴿ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخٗا ﴾	72	191
النحل		
﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	32	209
﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ﴾	116	225

السورة	الآية	الصفحة
﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾	53	166
الكهف		
﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾	29	208
الأنبياء		
﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	206
الزمر		
﴿ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ ﴾	7	208
الحجرات		
﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتًا ﴾	12	196
﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾	13	178
الواقعة		
﴿ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾	75	216
الملك		
﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾	الملك: 15	132
المدثر		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ ﴾	2 - 1	210
الزلزلة		
﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾	8 - 7	212
المسد		
﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾	1	210

فهرس الأحاديث النبوية

أطراف الحديث	الصفحة
«الخلوة عبادة»	123
«سافروا تصحوا وتغنموا»	131
«لَوْلا أَصْوَاتُ السَّافِرة لَسمِعْتُم وَجْبَةَ الشَّمس»	131
«هل يسب ابن آدم الدهر»	148
«إنا وجدناه لحبرا»	162
«اللهم حبب لنا المدينة»	167
«هذا سيد الوبر»	177
«إياكم والجلوس عن الطرقات»	189
«لا تحضر الملائكة شيئا من لهوكم»	199
«لن يدخل أحدكم الجنة بعمله»	207
«لولم تذنبوا لأتى الله بقوم»	208
«ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمته»	209
«يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا»	210
«إن الدين يسر»	213
«صم وافطر وقم ونم»	213
«نوم العالم عبادة ونَفَسُهُ تسبيح»	214
«دعهن فإنه يوم عيد»	221
«إنما بعثت لكسر الدف والمزمار»	221
«إنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ»	223 - 222

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

الكتب المخطوطة:

- ابـن عـبد الجلـيل التونـسي، الجوهـرة الكبـرى، مخطـوط مصور عند محمودي البشير، البرج، معسكر.
- أبو راس الناصر، الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأنـدلس وثغـور المغـرب، مخطـوط المكتبة الوطنية الجزائـرية، الجزائـر، رقم: 3182.
- أبـو راس الناصـر، عجائـب لأسـفار ولطائـف الأخـبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم: 1632.
- حمـادوش بـن عـبد القـادر، الـدرر فـي أخـبار كـتاب الـسيد الإمام أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا مخطوط مجموع به موجود بخزانة محمودي البشير، البرج، معسكر.
- محمـد بـن علـي الـسنوسي، الـبذور الـسافرة فـي عوالـي الأسانيد الفاخرة، مخطوط المكتبة الوطنية رقم: 3142.
- محمـد الراشـدي المزيلي، عقـد الجمـان النفيس فـي ذكـر الأعيان من أشراف غريس لناسخه محمودي البشير، عام 1964م. مخطوط موجود بخزانة البشير محمودي.
- محمـد الـشريف، روضـة الأزهـار فـي التعـريف بـآل محمـد المختار، ناسخها محمودي البشير، البرج، معسكر.
- محمد الصغير، ظهور سعود الدراري في أخبار المرحومين قدور بلمخفي والحاج محمد المزاري، مخطوط بحوزة الشيخ محمودي البشير.

- المشرفي أبو محمد العربي بن عبد القادر الحسني، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير.
- مؤلف مجهول، الأنساب من المغرب والمشرق العربيين، مخطوط بالمتحف البلدي بوهران تحت رقم: AR/136.
- مؤلف مجهول، تاريخ القلعة، ناسخه الشيخ محمودي البشير، مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير، نسخة يوم 27 نوفمبر 1973م.

الكتب المطبوعة:

- أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق البدوي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة، ط1973.
- أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد بن عبد الكريم، مطبعة محمد، القاهرة، ط1 - 1969.
- إسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة، المطبعة الملكية، الرباط، ط 1991.
- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987.
- إسماعيل حقي ابن الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربى، بيروت. دت.
- الإبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة، ط 1، 1304 هـ.
- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر

الآداب وثمر الألباب، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

- أبو إسحاق القزويني، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.
- امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1978.
- ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح: بشير عيون، دار الفكر، بيروت. دت.
- ابن أبي الدنيا، الإشراف في منازل الأشراف نجم عبد الرحمان خلف، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1990.
- إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، باب محاسن إصلاح البدن، دار صادر، بيروت، ط1، 1970.
- أبو بشر الدولابي، الكنى والأسماء، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000.
- البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، تح: مصطفى ديب البغا، بيروت، ط3، 1987.
- ابن بطال، شرح صحيح البخارى، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 2003.
- برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.
- البغوي، معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1997.
- أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، حيدر آباد، ط1،

1344 هـ.

- بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1993.
- تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، تح: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1413هـ.
- ابن تغري بردي، النجوم الزهراة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ط2، 1963.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، 2001.
- ابن الجوزي، صفوة الصفوة، تح: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي دار المعرفة، بيروت، ط2، 1979.
- ابن الجوزي، تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001.
- ابن الجوزي، غريب الحديث، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985.
- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، دت.

ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ.

- ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تح: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط3، 1986.
- أبو الحسن الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ط1، 1980، ج2، ص: 148.
- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط1، 2001.

- ابـن خالـد الناصـري، الاستقـصاء لأخـبار دول المغـرب الأقصى، الدولة المرينية، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى.
- الخطـيب الـبغدادي، تـاريخ بغـداد، دار الكـتب العلمـية، بيروت، دت. خير الدين، الآلوسي، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، مطبعة المدني، ط1، 1980.
- ابـن خلـدون، تـاريخ ابـن خلـدون المـسمى كـتاب العبـر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1900.
- ابـن الخطـيب لـسان الـدين، الكتيبة الكامنة في مـن لقيـناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1963.
- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنـساء مـن العـرب والمـستعربين والمستـشرقين، دار العلـم للملايـين، بيروت.
- الدارقطني، كتاب الصفات، تح: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ط1، 1983.
- الرازي، مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1995.
- أبو راس الناصر المعسكري، فتح الإله ومنته في التحدث بفـضل ربـي ونعمـته، تـح: عـبد الكـريم الجزائـرية، الـشركة الوطنـية للنـشر والتوزيع، الجزائر، ط1977.
- رضـي الـدين الأستراباذي، شـرح شـافية ابـن الحاجـب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1975.

- رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1968.
- السيد سابق، فقه السنة، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط 13، 1997.
- ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2000.
- ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى.
- ابن الشارف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول للقاضي حشلاف، المطبعة التونسية، تونس، ط 1929.
- الشاطبي، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الرياض، ط1، 1997.
- شمس الدين الحنبلي، الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي، تح: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- شهاب الدين الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1986.
- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت، ط3، 1993.
- شهاب الدين العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط1، 1972.
- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2004.
- صالح بن فوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 2002.

- أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تح: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005.
- عاصي حسني، ابن خلدون مؤرخا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1991.
- أبو طاهر الأصبهاني، معجم السفر، تح: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، دت.
- أبو طاهر السلفي، أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1963.
- أبو عبيد الله، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1971.
- أبي عثمان سعيد بن منصور الخراساني، كتاب السنن، الدار السلفية، الهند، ط1، 1982.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1996.
- أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968.
- عبد الحميد بن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1959.
- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، ع. خاص، جويلية - أوت 1975.
- ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980.

عضد الدين الإيجي، كتاب المواقف، تح: عيد الرحمن عميرة، دار الجيل،

بيروت، ط1، 1997.

- عبد الرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1948.
- عبد الرحمن الفريان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1989.

ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تح علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998.

- عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1995.
- عبد القادر المستغانمي، مستغانم وأحوالها عبر العصور، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1، 1986.
- علاء الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1981.
- ابن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1415هـ.
- ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1998.
- العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر، العهد العثماني، مجلة مسيرتا، وزارة التعليم والبحث العلمي، ع3 1980.
- العيدروس، النور السافر من أخبار القرن العاشر، بغداد، ط 1، 1934.
- ابن فارس معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، بيروت، ط1، 2002.
- أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن

محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1999. مجموعة أساتذة، معسكر رجال وتاريخ، الحياة الروحية في الإسلام، ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين، وزارة الشؤون الدينية، معسكر، 26 أوت1 سبتمبر1987.

- أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1999.
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر بيروت، ط 1983.
- أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت. دت.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981.
- ابن قاضى شهبة، طبقات الشافعية، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1407هـ.
- ابن ماكولا، إكمال الكمال، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، دت.

- محمد أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، 1400هـ.
- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، ش. و. ن. ت، الجزائر، ط 1978.
- محمد بن علي السنوسي الخطابي، الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية، مطابع دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط - 1388هـ/ 1968م.

- محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط 1980. ص: 229.
- محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ.
- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1980، ج7.
- محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، دار الفكر العربي، نصر مصر، ط2 - 1997.
- محمد سي يوسف، دراسة مخطوط عجائب لأسفار لأبي راس الناصري، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع1974.
- محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، عبد الله الخالدي، جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996.
- المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط1، 1968.
- أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1965.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت.
- المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1994.
- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش. و. ن. ت، الجزائر، ط1979.
- مسلم بن عبد القدر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1987.

- ابن ناصر الدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1993.
- ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي بالجزائر، ط1986.
- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي بالجزائر في أواخر العهد العثماني (1792 - 1830م) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، ط 2 - 1985م.
- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني) المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1984.
- النيسابوري، الكشف والبيان، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002.
- النيسابوري أبو الفضل، مجمع الأمثال، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت. النيسابوري نظام الدين، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.
- المزاري ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، تحقيق يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت لبنان، ط1984.
- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995.
- يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500 - 1830م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ت).
- يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان

المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1999.

- يحيى بوعزيز، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصري المعسكري، المجلة التاريخية الغربية، الجمهورية التونسية، السنة السادسة، حتى 1989، عدد 53 - 54.
- اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1981.

المراجع باللغة الفرنسية:

- Au capitaine, le baron Henri, étude sur la caravane de la mec que et du commerce de l 'intérieur de l'afrique. J. claye. Paris.
- Boyer. (P), Le problème kouloughli dans régence d'Alger. N: Spécial,1970.
- Berbrugger (A)Un mémoire sur la peste en Algérie depuis 1552Jusqu'en1819. ImExploration scientifique de L'Algerie,ParisIm2emeCongres desscietes savant Alger,1930.
- Chantouf Taib, Les Sherifismes Dans La Region De Mascara Au Milieu Du XVIII Sciecle. Actes Du 1110 Congres D histoire Et De La Civilisation Du Maghreb TOM 1, ORAN 1983.
- El Mahdi El Bouabdelli ,Dalil El Hairan ou Anis Essahran Fi Akhbar Madinati Ouahran ,Bulltin de la société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, Oran, n - 01, 1975,T1.
- Emerit (M) la situation économique de la régence d'Alger en 1830,I. H mars - Avril 1952.
- Julian CH. A histoire de l'Afrique Contemporaine, la conquête et les débuts de la cocaïnisation 1827 - 1871 P. V. F, paris 1964 .
- Marcil. La Régence D'Alger vue par un Allemand, du xviii Siècle , In 2 ème Congrès des sociétés savantes Alger 1930.
- MELKI NORDINE Archives Historique National de MADRID - le tremblement de Terre d'Oran, Octobre 1790 et les tentatives du Bey de Mascara pour la libération de la ville d'Alger 1984; N10.
- P. raoul. Notice sur el - bordj, depuis la derniere periode de loccupation turque jusqu a nos jours, 1899.

- Ray Maud (P) ,Marche et origine des marche épidémies du nord de L'Afrique ,In. Congres médical du Caire.

- Richard et J. dalbomme, les guides bleus, Librairie nachatte Tunis, Paris. 1930.

- Saint James ,Degarmment, Relation entre la France et régence d Alger au xvii siècle, et Garrot Henri ,histoire générale Alger,1910.

فهرس المحتويات

مقدمة..... 3
القسم الأول التقديم للمؤلف والكتاب 5
دوافع التحقيق..... 7
مؤلف الكتاب وعصره..... 9
أ) بيئته السياسية..... 9
1) انتقال مقر الباي إلى معسكر..... 9
2) حوادث درقاوة..... 11
3) الحملات الصليبية على وهران..... 18
ب) الأحوال الاجتماعية والاقتصادية..... 19
الأحوال الاجتماعية..... 19
فئات المجتمع المعسكري..... 20
الحالة الصحية لسكان معسكر..... 21
فئات المجتمع المعسكري..... 23
1 - الأقلية التركية..... 23
2 - فئة الكراغلة 24
3 - فئة الحضر 25
4 - فئة اليهود والنصارى 27
الجوانب الاقتصادية..... 28
الحياة الثقافية..... 32
أهم معاهد العلم والثقافة بمعسكر..... 34
1 - المساجد 34

2 - الزوايا.....36
3 - المدرسة.....38
1 - المدرسة المحمدية.....39
2 - مدرسة القيطنة.....41
4 - المكتبات.....42
العوامل المؤثرة في طلبه للعلم.....43
1) تشجيع الباي للكتاب.....44
2) حب أبي راس للعلم.....46
حياته وثقافته.....48
1 - مولده.....48
2 - نسبه.....52
3 - طلبه للعلم.....59
1 - نشأته.....59
2 - رحلاته العلمية.....64
4 - شيوخه وإجازاته.....69
1 - شيوخه.....70
2 - إجازاته.....74
5 - المهام التي تقلدها.....78
مدوناته العلمية.....86
وفاته.....88
التعريف بالمخطوط والعمل في التحقيق.....91
أولا: موضوع الكتاب.....91
ثانيا: عنوان الكتاب.....91
ثالثا: دوافع تأليف الكتاب.....92

رابعا: وصف الكتاب..... 93
خامسا: محتوى الكتاب 94
سادسا: المصادر التي اعتمد عليها مؤلف الكتاب..... 96
أ - المصادر اللغوية والنحوية 96
ب - المصادر الأدبية والتاريخية..... 96
ج - المصادر الفقهية 97
د - مصادر أخرى 97
سابعا: قيمة الكتاب وأهميته 97
ثامنا: المخطوط وطريقة التحقيق 98
نماذج من صور المخطوط..... 103
القسم الثاني كتاب الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية للشيخ أبي راس الناصر المعسكري..... 107
مقدمة..... 109
مقدمة الناظم 113
شَرْحُ السّلْوَانِيَّة 115
مَنَافِعُ الصَّيْدِ 115
سمات الباز..... 153
كيفية انقضاض الباز على فريسته..... 159
وَصْفُ الحُبَارَى..... 160
المنى والأمنية..... 166
الحسرة عَلَى المَاضِي 182
فَضْلُ الاِصْطِيَادِ 187
من خصال الصائد..... 190
الإشادة بِالخَيْلِ..... 197

جيران الصِّدْقِ 199
لوم النَّفْسِ 200
التَّوسل إلىَ الله 206
وَعْظُ الإنسان ونصحه 211
وَصْفُ أخذ الصيد 215
مدح الصيد 217
الطرد الحلال 219
اللهو والانشغال عن الصيد 226

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية 233
فهرس الأحاديث النبوية 237
فهرس المصادر والمراجع 239
فهرس المحتويات 253